

إمام الأئمة

جعفر بن محمد الصادق
عليه السلام

فوزي السيف

دار المحجة البيضاء
بيروت

إمام الإسلام
جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

فوزي السيف

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى

٢٠٢٢-١٤٤٤



مقدمة

بين الإيمان بالكمال والإيمان بالتكامل فاصلة هي قلة الإنجاز أو الإنجاز.

كثير من الناس يؤمنون - ولو نظريا - بالكمال، فإذا فكر بأن ينشئ مؤسسة فإنه يريد بما يقايس الكمال والنهائية في الجودة، وإذا أراد كتابة كتاب فإنه ينتظر أن يكون هذا الكتاب خاتمة الكتب ويبقى سيد الساحة، ولا يكون فيه خلل أو نقص.

ومن الناس من يعتقد أن الحياة بتفاصيلها المختلفة لا تكون بالنحو السابق وإنما تكون بالبداية بنقطة ما، هي مقدار الاستطاعة ويتم التكامل بالتدريج، والبناء على تلك النقطة حتى تكبر وتنمو. فيبدأ في مؤسسته التجارية بـ مكان صغير وينميه بالتدريج حتى يصبح في الأخير بالنحو الذي تمناه، وربما لا يصبح كذلك.

ويؤلف المؤلف الكتاب من نقطة ما، ثم يزيد عليها ويطورها، حتى يصبح بالنحو الذي أراده أو تخيله. ولذلك رأينا بعض الكتب

في طبعاتها اللاحقة ربما صارت أضعاف طبعتها الأولى حجما وأعمق تحقيقا.

ومن آثار الفكرتين أن من يسلك الطريقة الأولى لا يستطيع الإنجاز أصلا أو لا يتمكن من الإنجاز كثيرا، إذ لا يوجد كتاب ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ولا يعتريه النقص والخلل سوى كتاب الله عز وجل. بل لو أراد نفس الشخص أن يكتب في نفس الموضوع في فترتين مختلفتين لجاء مختلفا ومتفاوتا. وقد عبر عن ذلك العماد الاصفهاني بقوله «إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر».

وهذا الكتيب ينطلق ضمن النظرة الثانية، فهو نقطة يراد البناء عليها وتطويرها وتكميلها. ولعل ذلك يحصل أيضا باقتراحات القراء الكرام وملاحظات الفضلاء.

٢ / كتب عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام الكثير من الكتب النافعة والمفصلة، وقد يتصور البعض أن الكتابة المفصلة والمبسوطة صعبة، غير أن قسما من الباحثين يرى أن الكتابة المختصرة هي الأصعب! فهل تستطيع أن تحتوي ماء البحر في جرة ماء؟

ويبدو بالنظر أن هذا الأمر صادق في الكتابة عن الإمام

الصادق عليه السلام، فهذا العملاق العظيم في كل جهاته.. كيف تستطيع أن تختصرها وتختزلها في صفحات قليلة؟ وكيف تستطيع أن ترسم هذه اللوحة الرائعة بتفاصيلها الجميلة في مساحة قليلة؟

وهنا يبدو الكاتب في مثل حالتنا محاصراً فلا هو يستطيع الاسترسال والتفصيل لكون الكتاب - بحسب هدفه - محكوماً بصفحات محدودة! ولا يستطيع في نفس الوقت أن يختصر إلى الحد الذي لا يعطي صاحب الشخصية حقه من التعريف! وهل يمكن لأحدٍ ذلك؟ لكن «لا بد من صنعاء وإن طال السفر» وعلى الله التوفيق في هذه المهمة. ولئن أخطأنا النتيجة أرجو أننا لم نخطئ النية.

٣/ ومن الكثير النافع والمفصل ما جمعه المرحوم العلامة عزيز الله عطاردي في كتابه مسند الإمام الصادق وقد عرّفت بخريطة المسند في هذا الكتاب، ومنه ما بدأ به المرحوم العلامة السيد كاظم القزويني وأكملة أبناؤه الكرام جزاهم الله خيراً في موسوعة الإمام جعفر الصادق والذي وصل حتى الآن إلى ثلاثة وستين جزءاً. ومنه ما حبره المرحوم العلامة باقر شريف القرشي ضمن موسوعته: سيرة أهل البيت عليهم السلام والتي كتب فيها عن سيرة الإمام الصادق تسعة أجزاء، ولا أنسى الكتاب المميز للمرحوم العلامة الشيخ أسد حيدر؛ الإمام الصادق والمذاهب الأربعة.

وهناك الكثير من العناوين والكتب التي تناولت حياة الإمام الصادق عليه السلام، حتى ذكر بعضهم أن ما ألف حوله يبلغ ثمانمائة

عنوان، وقد ذكر الدكتور عبد الجبار الرفاعي نحو أربعين عنواناً في كتابه معجم ما كتب عن الرسول وأهل بيته تحتص بالإمام الصادق، وحقَّ للإمام عليه السلام ذلك وأكثر.

وهذا الكتيب هو كلمة في مقالة، وعبارة في كتاب.. أرجو أن يكون وسيلة قرب لزعيم المذهب وإمام الإسلام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

فوزي بن المرحوم محمد تقي آل سيف

يوم الثلاثاء ٢٣ / ٢ / ١٤٤٤ هـ

الهوية الشخصية للإمام

الاسم: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

الوالدة: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

العمر: ٦٥ سنة.

الكنية: أبو عبد الله.

اللقب: الصادق

الولادة: سنة ٨٣ هـ.

الوفاة: سنة ١٤٨ هـ.

المدفن: البقيع - المدينة.

سيرة الإمام جعفر الصادق من الميلاد إلى الاستشهاد

١ / كانت ولادة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في المدينة المنورة في السابع عشر من شهر ربيع الأول وهو نفس التاريخ الذي شهد ولادة جده رسول الله صلى الله عليه وآله على المشهور عند الشيعة، هذا من حيث اليوم وأما من حيث السنة فقد كانت ولادته في سنة ٨٣ للهجرة، ومع كون شهادته في سنة ١٤٨ هـ فإن عمره الشريف يكون ٦٥ سنة.

وقد عاش مع أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام مدة إحدى وثلاثين سنة (٣١) باعتبار أن شهادة أبيه كانت في سنة ١١٤ هـ فيما كانت مدة إمامته عليه السلام بعده أربعاً وثلاثين سنة (٣٤).

٢ / أمه عليها السلام هي: أم فروة بنت القاسم^(١) بن محمد بن أبي بكر

(١) القاسم بن محمد بن أبي بكر: ذكره السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ١٥:٤٩ بالقول أنه عد في رواية من ثقات الإمام علي بن الحسين السجاد،

بن أبي قحافة، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر. ويظهر من رواية قرب الاسناد المعتمدة - في الهامش - أن أباهما القاسم كان على منهاج أهل البيت عليهم السلام، كما يظهر من اختيار الإمام الباقر عليه السلام لها أنها كذلك.

بل قد ورد في شأنها روايات مادحة عن المعصومين عليهم السلام: ففي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وكانت أُمِّي مِّنْ أَمْنٍ وَاتَّقَتْ وَأَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» ويروي عنها ما عن والده الإمام الباقر، بقوله: وقالت أُمِّي: قال أبي: يا أُمُّ فُرُوءِ إِنِّي لِأَدْعُو اللَّهَ لِمَذْنُوبِي شَيْعَتِنَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ مَرَّةٍ، لِأَنَّا نَحْنُ فِيهَا يَنْوَبُنَا مِنَ الرَّزَايَا نَصْبِرُ عَلَى مَا نَعْلَمُ مِنَ الثَّوَابِ وَهُمْ يَصْبِرُونَ عَلَى مَا لَا يَعْلَمُونَ^(١).

ولأجل أنها أخذت عن زوجها الباقر عليه السلام وربما عن أبيها

وقال «وروى عبد الله بن جعفر الحميري، عن أحمد بن محمد (بن عيسى)، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، قال: وذكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمد خال أبيه وسعيد بن المسيب، فقال عليه السلام: كانا على هذا الأمر، وقال: خطب أبي إلى القاسم بن محمد - يعني أبا جعفر (الباقر) عليه السلام -، فقال القاسم لأبي جعفر عليه السلام: إنما كان ينبغي لك أن تذهب إلى أبيك حتى يزورك. (وبعبارة أخرى كأنه يريد أن يقول إن أمره تابع لأمر السجاد وأن من يملك عقدة النكاح لها هو الإمام السجاد!!). قرب الإسناد: الجزء ٣، كتاب قرب الإسناد إلى الرضا عليه السلام، الحديث ٢٥».

(١) الكافي، الشيخ الكليني ١/ ٥٢٠، وكذلك نقل المسعودي نفس النص تقريبا في إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب ١٨٢ مع اشتباه في نسبة القول (إني لأدعو الله لمذنبني شيعتنا..). إلى الإمام السجاد، بينما القول للإمام الباقر عليه السلام

القاسم والذي كان من ثقات الإمام علي بن الحسين السجاد، فقد استغنت عن الأخذ عن أتباع مدرسة الخلفاء، ففي رواية معتبرة السند أوردها الكليني في باب الطواف بالكعبة، حاكيا عملها في الطواف، عن عبد الأعلى (ويلاحظ أن الرواية لا تنتهي إلى معصوم بل إليها) قال: رأيت أم فروة تطوف بالكعبة عليها كساء متنكرة فاستلمت الحجر بيدها اليسرى فقال لها رجل ممن يطوف: «يا أمة الله أخطأت السنة، فقالت: إنا لأغنياء عن علمك!»^(١).

وهنا ينبغي أن نشير إلى أن البعض قد أنكر أن تكون أم فروة هي بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وزعم أنها بنت القاسم لكن لا تنتمي إلى أبي بكر! ويظهر لي أن هذا من الموارد التي دخلت فيها قيود علم الكلام والنقاش العقائدي على التاريخ. فكأن القائل لما أراد أن ينكر ما نسب للإمام الصادق من القول «لقد ولدني أبو بكر مرتين»، وما يستتبع ذلك من السؤال حول مشروعية خلافته، وكذلك السؤال حول ما ورد من أنهم عليه السلام انتقلوا من الأصلاب الشاخنة إلى الأرحام المطهرة؟

فسلك هؤلاء الطريق الأسهل وهو إنكار كون أم فروة من نسل أبي بكر! لكنه ليس الطريق الصحيح. وذلك لأن في الموضوع قضيتين: الأولى تاريخية وتتصل بنسب أم فروة عليها السلام، والأخرى

(١) الكافي، الكليني، ج ٤ / ٤٢٨ ويلحظ أن الرأي المشهور عند مدرسة الخلفاء أن استلام الحجر وكذلك الإشارة إليه ينبغي أن تكون باليمين دون اليسرى.

قضية تدخل في علم الكلام والعقائد وهو كيف يجب على تلك الأسئلة! ولا ينبغي الخلط بينهما.

أما كونها بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، فهو مما اتفقت عليه كلمة أهل الروايات والتاريخ. فقد ذكره اليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) في تاريخه^(١) والشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ)^(٢) وكذلك المسعودي^(٣) (ت ٣٤٦ هـ) والشيخ المفيد^(٤) (ت ٤١٣ هـ) والشيخ الطبرسي^(٥). (٥٤٨ هـ) وأما من بعد هذا التاريخ فحدث ولا حرج فكل من تعرض لسيرة الإمام الصادق من مؤلفي مدرسة أهل البيت قد ذكر هذا وصرح به.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢ / ٣٨١ وتوفي أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، بالمدينة.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني ١ / ٥٢٠: ولد أبو عبد الله عليه السلام.. وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر.

(٣) إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، المسعودي ص ١٨٢ روي عن العالم عليه السلام أنه قال:.. وكانت أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وكان أبوها القاسم من ثقات أصحاب علي بن الحسين.

(٤) في كتابه الإرشاد ٢ / ١٧٦: باب ذكر ولد أبي جعفر عليه السلام.. أبو عبد الله جعفر بن محمد - وكان به يكنى - وعبد الله بن محمد، أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر. وكذلك في المقنعة / ٤٧٣ في ذكر الإمام جعفر الصادق: ولد بالمدينة سنة ثلاث وثمانين من الهجرة.. وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد النجيب بن أبي بكر.

(٥) إعلام الوری بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي ١ / ٥١١ ونقل نفس نص الشيخ المفيد في الارشاد..

وهكذا علماء الأنساب ومنهم صاحب المجدي في أنساب الطالبين (ت ٤٦٦ هـ)^(١).

وأما في الروايات فبعضها لا يشير إلى أصل الموضوع^(٢) فقط بل إلى تفاصيله كالرواية الصحيحة التي ذكرها الحميري في قرب الاسناد^(٣)، وفيها أن الإمام محمدا الباقر لما خطب أم فروة من أبيها القاسم، طلب منه القاسم أن يرجع إلى والده زين العابدين السجاد، (وهو والقاسم أبناء خالة) وكأنه يقول له: بأن ولي أمرها هو علي بن الحسين السجاد!^(٤)

٣/ هل قال الصادق: ولدني أبو بكر مرتين

ما أن تفتح مصدرا من مصادر مدرسة الخلفاء فيه ذكر للإمام جعفر الصادق عليه السلام حتى يواجهك عدة أحاديث تدور في إطار التقديس للخليفة أبي بكر، والاعتراف بشرعية خلافته وخلافة عمر بن الخطاب ولومه الشيعة (!) أنهم يسبون الخليفتين!

ولن نشير إلى وضع وافتعال تلك الأحاديث على الإمام عليه السلام

(١) المجدي في أنساب الطالبين، ابن الصوفي: ص ٢٨٤

(٢) تمت الإشارة إلى أصل الموضوع في حديث جابر بن عبد الله الذي نقله الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين مع تأمل في مقدمة الحديث!

(٣) قرب الاسناد، الحميري القمي، ص ٣٩٤

(٤) قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري ٤٩٢/٨ وقد علق الشيخ التستري على الرواية السابقة الذكر بأنه: قال له القاسم - لكونه من خُصّ شيعة السّجّاد عليه السلام: إنَّ أمر ابنتي بيد أبيك السّجّاد عليه السلام فينبغي لك أن تذهب إلى أبيك حتّى يزوّجك ابنتي.

فهذا ليس محل حديثنا الآن، ولكننا سنتعرض إلى ما يرتبط بولادته عليه السلام، وأنه نُسب إليه القول بأن الخليفة أبا بكر قد ولده مرتين!

فقد نقلوا عن حفص بن غياث، قال: سمعت جعفر بن محمد يقول: «ما أرجو من شفاعته عليّ شيئاً إلا وأنا أرجو من شفاعته أبي بكر مثله، ولقد ولدني مرتين».

وأول من نقلها في المصادر الشيعية كما يظهر هو علي بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣) في (كشف الغمّة)، واعتمد فيها على مصادر مدرسة الخلفاء، ولعل ذلك راجع إلى ما صرح به في مقدمة كتابه من قوله: «واعتمدت في الغالب النقل من كتب الجمهور؛ ليكون أدعى إلى تلقيه بالقبول» وقال في ذلك الكتاب: «وقال الحافظ عبد العزيز الأخضر الجنازدي أبو عبد الله جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمّه أمّ فروة واسمها قريبة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ولذلك قال جعفر: ولقد ولدني أبو بكر مرتين»^(١).

والظاهر أن الأربلي قد نقلها عن الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) بسنده عن حفص بن غياث، قال: سمعت جعفر بن محمد، يقول: ما أرجو من شفاعته علي عليه السلام شيئاً، إلا وأنا أرجو من شفاعته أبي

(١) كشف الغمّة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الأربلي، ٢ / ٣٧٤

بكر عليه السلام مثله، ولقد ولدني مرتين»^(١)

وعندما نقله الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) في سير أعلام النبلاء وفي طبقات الحفاظ، ومحمد الصالحى الدمشقي (ت ٧٤٤ هـ) في كتابه طبقات علماء الحديث زاد فيه كلمة الصديق فصارت وقد ولدني أبو بكر الصديق مرتين!

وهكذا أخذ الحديث يصول ويجول في الكتب. وكان مهما جدا بالنسبة لعلماء مدرسة الخلفاء، وذلك لأنهم كانوا يتمسكون بأي وسيلة مهما ضعفت من أجل إثبات أن أهل البيت كان يرون شرعية خلافة الخلفاء الثلاثة، فتارة يتمسكون بأن بعض أسماء أبناء الأئمة تشابه أسماء الخلفاء، وأخرى يتمسكون بأنه حصلت زيجات بين هؤلاء وهؤلاء، وثالثة بالتمسك بكلمات تحتمل وجوها متعددة لإثبات ما هم بصدده ليس إلا، ورابعة لا مانع لديهم من التمسك بأحاديث عليلة بحسب موازين علم الرجال.. كل ذلك للاستدلال بها على أن أهل البيت عليهم السلام كانوا منسجمين عن الخلفاء وراضين بخلافتهم وهذا يثبت صحة تلك الخلافة.

وقد ذكر العلماء بأن هذا الحديث ضعيف من حيث السند وأمانة التقيّة فيه واضحة لكون راويه - المفترض - مع الإمام

(١) فضائل الصحابة للدارقطني ص ٥٧: «حدثنا أبو بكر، أحمد بن محمد بن إسماعيل الآدمي قال: نا محمد بن الحسين الحيني، قال: نا عبد العزيز بن محمد الأزدي، قال...».

الصادق عليه السلام هو قاضي بغداد والكوفة للعباسيين^(١).

كذلك فإنه لا يتم لأتباع المدرسة الأخرى (توظيف) هذا الحديث حتى لو فرضنا أنه تامٌ سنداً وأنه لم يخرج مخرج التقيّة، لأن ثقافة مدرسة الخلفاء لا ترى ارتباطاً ضرورياً بين الوالد والولد، فكلُّ حسابه، فقد يكون الوالد صالحاً والولد غير صالح وبالعكس، فهم يرون مثلاً أن والد النبي إبراهيم كافر بالله بينما هو نبي من الأنبياء، ويزعمون بأن والدي النبي كافرين، وولدهما سيد الأنبياء.. ويرون أن أبا طالب بن عبد المطلب مات كافراً بالله بينما ابنه خليفة رابع! فبناءً على مسلكهم هذا لا ينفعهم التمسك بمثل هذا الحديث! فهبّ أن الإمام الصادق جده فلان!! فماذا يعني ذلك؟ إن ما هو عندهم أن نبوة إبراهيم لم تنفع أباه ومنزلة علي بن أبي طالب لم تنفع أباه وهكذا حسب رأيهم!

ثم إن أبا طالب أيضاً ينطبق عليه نفس ما ذكرناه في أبي بكر، فإن أم الإمام الباقر هي فاطمة بنت الحسن المجتبي وأبا الإمام الباقر علي بن الحسين جدهما أبو طالب.. فكيف لم يؤثر كون أبي طالب جدّاً للإمام الباقر من الجهتين في صلاح حاله بينما أثر ذلك في حالة الإمام الصادق؟

(١) تمت الاستفادة من الإجابة الموجودة في موقع مركز الأبحاث العقائدية على الانترنت وجاء فيها: سند هذا الحديث ضعيف، لأنّ فيه عبد العزيز بن محمد الأزدي، مجهول، قال فيه ابن قطّان: عبد العزيز لا يعرف، وقد تفرد به عن حفص بن غياث قاضي بغداد والكوفة للرشيد، وهذا أدعى لعدم قبوله إذا كان قد قاله الصادق عليه السلام! لأنّ الداعي لخروجه مخرج التقيّة سيكون قوياً فيه.

إن تقييم أي شخص ينبغي أن يكون من حيث أعماله بشكل أساس قبل أن ينظر إلى أنه ابن مَنْ؟ أو جدُّ من؟ ولا يعني ذلك أن الانتساب لرسول الله مثلا لا قيمة له، فله كل القيمة، لكن لو كان شخصٌ غير صالح فلا ينفعه ذلك الانتساب بمجردة، بل ربما كان عليه الحجة ألزم!

ثم إن هذه ليست خاصة لأبي بكر، فإنه يمكن لقائل أن يقول إن الإمام الصادق عليه السلام: ولده علي بن أبي طالب مرتين وولדתه فاطمة مرتين وذلك لأنه من طرف جدته فاطمة بنت الحسن وجده السجاد ينتسب لفاطمة، ويتنسب لعلي من الطرفين، بل يمكن أن ينتسب ليزدجرد - وهو غير مسلم - بهذا الاعتبار نفسه فإن أم جده السجاد شهربانو بنت يزيدجرد وأم جده (القاسم بن محمد) هي البنت الثانية ليزدجرد - على المشهور عند المؤرخين - فما الذي جعل الإمام يخص أبا بكر بين كل هؤلاء؟

وكما لاحظنا على أتباع مدرسة الخلفاء من أنهم يريدون توظيف انتساب الإمام الصادق إلى أبي بكر عبر والدته عليها السلام أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، فإننا نلاحظ خطأ آخر لدى بعض أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو أنهم ينكرون كون أم فروة هذه هي بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، ويقولون إنه صحيح أن اسمها أم فروة وأن أباها هو القاسم لكنه ليس حفيد أبي بكر الخليفة!

وكأنهم في سياق الإنكار على أتباع المدرسة الأخرى، ومنعهم من الاستفادة من النسب وتوظيفه لإثبات مشروعية خلافة أبي بكر، أرادوا أن ينفوا المسألة من أساسها، وهذا يذكرنا بما صنعه السيد أبو القاسم الكوفي عندما ابتكر فكرة عدم كون رقية وأم كلثوم بناتٍ للنبي ﷺ من أجل منع مدرسة الخلفاء من توظيف ذلك في إثبات تقدم عثمان بن عفان على أمير المؤمنين علي عليه السلام، عندما قالوا إن كان علي تزوج واحدة من بنات النبي فعثمان تزوج اثنتين، فجاء الكوفي وقال: إنهما لم تكونا بناته بل ربائبه! (١)

ويبدو لي أن الباعث لأصحاب هذا الرأي، كما هو الحال في موضوع ربائب النبي، هو الباعث العقدي قبل البحث التاريخي، فلكي يردّوا ما قاله أتباع المدرسة الأخرى من ما نسب للإمام الصادق من القول «ولدي أبو بكر مرتين» ويردوا توظيف المدرسة تلك لهذه الكلمة، فقد نفوا كون السيدة أم فروة حفيدة لأبي بكر الخليفة! وكان الصحيح أن يفصلوا بين الأمرين ذلك أن ثبوت انتسابها إليه لا يعني بالضرورة صحة نسبة الحديث للإمام الصادق ولا يعني بالضرورة أيضا أن تكون خلافة أبي بكر مشروعاً أو أن عمله مرضي!

ولم يُقم منكر و انتساب السيدة أم فروة لأبي بكر وكونها أم الإمام الصادق عليه السلام دليلاً على إنكارهم ذلك، سوى ما تمسكوا به

(١) راجع فصل بنات النبي من خديجة من كتابنا: من أعلام الأسرة النبوية.

من قول القرماني الدمشقي وهو متأخر جداً (توفي سنة ١٠١٩ هـ) في كتابه أخبار الدول^(١) وهو ليس من الكتب الرئيسة في التاريخ؛ من أن والدة الإمام هي (أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي سمرة) ولم يعرف من هو هذا القاسم بن محمد ولا أبوه أبو سمرة!

ولا ينفع كلام السيد العاملي رحمه الله تعالى من أن: «عدم ورود اسم القاسم بن محمد بن أبي سمرة في كتب التراجم، لا يعني أنه شخصية موهومة، إذ ما أكثر الأشخاص الذين لم ترد أسماؤهم في كتب التاريخ والتراجم لأسباب مختلفة..»^(٢) إذ مجهوليته ومجهولية أبيه وجده بشكل كامل بحيث لا يذكر أي منهم في أي كتاب لدى المسلمين جميعاً شيعة وسنة منذ ولادة الإمام في نهاية القرن الأول إلى تسعة قرون بعدها، حتى يأتي القرماني الدمشقي فيخلق هذا الاسم والمسمى! هو أمر في غاية الغرابة!

وقد مر علينا في صفحات ماضية ما ذكره أعلام الطائفة ومؤررخوها منذ زمان الكليني والمسعودي والمفيد في تشييد رأي

(١) أخبار الدول وآثار الأول / ١١٢ أحمد بن يوسف القرماني الدمشقي.

(٢) السيد جعفر مرتضى العاملي / موقع الميزان على الانترنت mezan.net. هذا مع أنه لم يتبين لنا بشكل واضح رأي المرحوم العاملي فبينما هو يقول في جواب، في الفقرات الأولى هكذا وجدناه في الفقرات التالية في نفس الموضوع يقول: إن مقام القاسم بن محمد بن أبي بكر عند أهل البيت عليهم السلام، ومقام أبيه محمد كان عظيماً، ولا سيما عند أمير المؤمنين عليه السلام، فلماذا لا يكرمه الله تعالى بجعل الإمام الصادق عليه السلام من نسله، وهو الذي حزن وبكى عليه أمير المؤمنين عليه السلام وأثنى عليه خيراً؟!!

المشهور من كونها ابنة القاسم بن محمد بن أبي بكر، فراجع.

٤ / كانت أكثر حياة الإمام جعفر الصادق عليه السلام في المدينة المنورة، وفيها أدرك من حياة جده الإمام السجاد نحو اثنتي عشرة سنة^(١)، وكان مع أبيه الإمام محمد الباقر إحدى وثلاثين سنة حتى استشهد والده عليه السلام سنة ١١٤ هـ. وحين اضطلع بمهمات الإمامة بقي في المدينة المنورة إلا من بعض الأسفار التي أجبرته السلطات فيها على الخروج من المدينة لوقت يقصر أو يطول، سواء في أيام الأمويين أو العباسيين.

فمن بدايات عمره المبكر كان في رعاية والديه؛ أبيه الباقر وأمه أم فروة بنت القاسم، وسنعرج على حوادث ثلاث ذكرت عن حياته المبكرة:

الأولى: ما ذكره مؤلف كتاب (الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب^(٢))، من أن الذي استقبل خبر ولادة الإمام الصادق كان جده الإمام زين العابدين السجاد، لأن والده الإمام محمدا الباقر لم يكن موجودا حينها في المنزل وأن الإمام السجاد عندما أتى له بحفيده الصادق سر سرورا كبيرا وقال إن عينيه زرقاوان تشبه عين أمه (أم السجاد؛ شهربانو).

(١) كانت ولادة الإمام الصادق كما تقدم سنة ٨٣ هـ وشهادة الإمام السجاد سنة ٩٥ هـ

(٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، تعريب د. نور الدين آل علي ص ٦٨

والثانية: ما ذكر في نفس الكتاب من أنه في سنة ٦٠ هـ بحسب الطبعة العربية، والظاهر أن المقصود سنة ٩٠ - كما فهمه المرحوم الشيخ القرشي ونقله أيضا في كتابه - حصل وباء الجدري في المدينة المنورة فخرجت والدة الإمام أم فروة به من المدينة إلى أطرافها وأريافها ونزلت به في قرية يقال لها الطنفسة، وبقيت فترة من الزمان، بينما بقي الإمام الباقر في المدينة يتابع مهامه في التدريس والتعليم، ثم دعا الله عند قبر النبي لشفاء ابنه، وهذا ما حصل فجاء إليهما وأرجعهما إلى المدينة.

والثالثة: الحوار المفصل بين الإمام الصادق الذي كان صغير السن حينها مع الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي الذي جاء سنة ٩١ هـ لمعاينة توسعة المسجد النبوي فرأى حلقة درس يلقيه الإمام الباقر، وكان الإمام جعفر أصغر تلاميذها، وكانت حول «الأرض والشمس والسماء والنجوم» ونقل حوارا بين الإمام الباقر والوليد الأموي، ثم حوارا بين الإمام الصادق والوليد كذلك.

وقد نقل المرحوم القرشي الحادثتين الأولى والثالثة، عن الكتاب المذكور. ولنا أن نلاحظ على الحوادث الثلاث ما يلي:

أولا: أن الكتاب لم يشر إلى مصدر هذه الحوادث من الكتب التاريخية، وبقدر ما استطعت فقد حاولت العثور على مصدر لأي واحدة منها فما وجدت.

ثانيا: إن هذه الحوادث وإن كان مضمونها المدح لأئمة

الهدى عليه السلام، وهم أهل لكل خير ومحل لكل ثناء إلا أن ذلك لا يسوغ للباحث خصوصاً في الكتاب الذي نتحدث عنه^(١) ونحن وإن لاحظنا أن التوثيق بشكل عام في الكتاب المذكور قليل إلا أن بعض ما يرتبط بحياة المعصومين وسيرتهم منه تحتاج إلى اهتمام أكبر وتوثيق أفضل.

ثالثاً: كذلك فقد حاولنا أن نعثر على معلومات تتفق مع ما ذكره الكتاب في الحوادث الثلاث، عبر تتبع سيرة الإمام زين العابدين وأقواله، وهل أنه شبه عيني حفيده بعيني جدته شهربانو أو لا؟ فما وجدنا في سيرة زين العابدين شيئاً من ذلك، كما أنه لم يذكر في وصف الإمام جعفر عليه السلام؛ وقد وصف شكله بأوصاف كثيرة؛ أن عينيه كانتا زرقاوين! وهكذا الحال في موضوع وباء الجدري الذي حدث في المدينة وأن والدته قد أخذته لخارج المدينة لقرية تسمى الطنفسة، فلم نعثر بمقدار من البحث في الكتب التاريخية على حصول مثل ذلك في سنة ٩١ هـ، كما لم نعثر على اسم (الطنفسة) في قرى المدينة بحسب معاجم البلدان. فهل هناك تصحيف في الاسم أو حصل عند الترجمة من اللغة الأصلية للكتاب أو غير ذلك؟

(١) قد ذكر في مقدمة الكتاب ص ٩ بأن جامعة ستراسبورغ الفرنسية عقدت دورة علمية اشترك فيها نحو عشرين عالماً في شهر مايو ١٩٦٨ عن التاريخ العلمي والحضاري للإمامية، وحياة الإمام جعفر الصادق وفكره، وقد نشرت تلك البحوث دار المطبوعات الجامعية الفرنسية في باريس ١٩٧٠ م وترجمها الدكتور نور الدين آل علي.

وكذلك ما نقل في موضوع تدريس الإمام الباقر عليه السلام للجغرافيا فإنه مع اعتقادنا بعلم الأئمة عليهم السلام المحيط بهذه العلوم وسواها، إلا أنه لم يعرف عن الإمام الباقر عليه السلام التصدي لتلك العلوم، بمقدار ما عرف عن الإمام الصادق عليه السلام.

٥ / مراحل حياته بشكل اجمالي: ذكرنا أن الإمام الصادق عليه السلام أدرك من حياة جده الإمام السجاد نحو اثنتي عشرة سنة، وبقي مع أبيه الإمام محمد الباقر إحدى وثلاثين سنة من ولادته حتى استشهد والده عليه السلام سنة ١١٤ هـ، ثم قام بأمور الإمامة الفعلية المباشرة نحو ٣٤ سنة من حين شهادة أبيه إلى شهادته عليه السلام مسموما بتخطيط المنصور العباسي.

في فترة حياته المباركة عاصر فيها من الحكام الأمويين الأساسيين ثمانية حكام^(١)؛ أربعة منهم هم أبناء عبد الملك بن مروان (الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام وهو أطولهم فترة)، وكذلك عمر بن عبد العزيز، ثم (من أحفاد عبد الملك: الوليد بن يزيد وابنه يزيد، ومروان بن محمد المعروف بالجعدي) حيث انتهت الدولة الأموية في عهده.

ومثلهم عاصر من ولاية المدينة المنورة أربعة عشر واليا في فترة

(١) وإلا فالمجموع يكون عشرة لكن بعضهم حكم أقل من سنة وبعضهم سنة واحدة، وبشكل عام فالمعدل العام كان ثلاث سنوات ونصف لكل حاكم، وأطولهم فترة كان هشام بن عبد الملك (٢٠ سنة) ثم الوليد بن عبد الملك (١٠ سنوات).

حكم بني أمية^(١)، يعني بمعدل كل ثلاث سنوات يذهب والٍ ويأتي غيره، لينخفض هذا المعدل إلى أن يكون والٍ في كل سنتين أيام العباسيين، وفي هذا وذاك من الدلالات على الطريقة السيئة في إدارة المجتمع والدولة، ما فيه. وإشارته الواضحة إلى أن تنصيب الوالي وعزله من قبل الخليفة أو الحاكم لم يكن له قانون ينظمه. وأيضا إشارته^(٢) لحجم الصراعات بين المتنافسين على هذا المنصب.

(١) كان منهم في الفترة الأموية: عمر بن عبد العزيز بن مروان (سيصبح خليفة فيما بعد) وتولى على المدينة نحو ١٣ سنة، وعثمان بن حيان وأبو بكر بن محمد بن حزم، وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري، وإبراهيم بن هشام المخزومي وأخوه محمد بن هشام. لكن صاحب كتاب أمراء المدينة المنورة يذكر نحو عشرين اسماً من ولاة المدينة أيام الفترة الأموية.

(٢) وللإطلاع على بعض تلك الصراعات وكيف أن أمير الأمس يُعزل اليوم ويُجلد وتستصفى أمواله، بل ويسقط اسمه واسم أهله من الديوان كما فعل عثمان بن حيان المري مع أبي بكر بن حزم (وكان على القضاء) بأمر الوليد بن عبد الملك.. وغيره مع غيره، وتفصيل بعض ذلك تجده في كتاب أخبار القضاة محمد بن خلف بن حيان (وكيع) ١ / ١٣٤ - ١٣٧ ومثل ذلك ما جرى من عزل عمر بن عبد العزيز كما ذكره ابن عبد البر في كتابه الاستذكار ٨/ ٢٢٨ من أن الحجاج كتب إلى الوليد في سنة ٩٣ هـ أن عمر بن عبد العزيز بالمدينة كهف لأهل النفاق والعداوة والبغضاء لأمير المؤمنين فجاوبه الوليد إني أعزله فعزله وولى عثمان بن حيان المري. وقصة تعذيب يوسف بن عمر الثقفي لإبراهيم بن هشام المخزومي أمير المدينة وأخيه محمد أمير مكة بعد عزلها بأمر الحاكم الأموي يزيد بن عبد الملك حتى ماتا في السجن، مذكورة في أكثر الكتب فراجع كتاب: تاريخ أمراء المدينة المنورة مؤلفه: عارف أحمد عبد الغني ١ / ٩٩.

وبطبيعة الحال كانت علاقة ولاية المدينة تتأثر بشكل مباشر وواضح بتوجيهات الخليفة الحاكم في دمشق أو بغداد، لكنها أيضا كانت تتأثر في أصلها أو في كفيات تنفيذها بالموقف الشخصي للوالي تجاه الإمام عليه السلام.

ونحن نسجل هنا بعض الحوادث التي تشير إلى نمط تعامل هؤلاء الولاة مع الإمام عليه السلام

١ / وجدنا في زمان العباسيين وبالذات أيام المنصور العباسي أن واليه على المدينة داود بن علي بن العباس (تولى المدينة سنة ١٣٢ هـ) بينما هو يخطب كاذبا في الكوفة أنه «ما سعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد، وأشار بيده إلى أبي العباس السفاح»^(١). وإذا به يستدعي بعد ولايته المدينة المعلى بن خنيس «فدعاه وسأله عن شيعة أبي عبد الله (جعفر الصادق) أن يكتبهم له، قال ما أعرف من أصحابه أحداً فإنما أنا رجلٌ واحد اختلف في حوائجه وما يتوجه إليّ ولست اعرف له صاحباً، قال: أما إنك إن كتمتني قتلتك!

قال المعلى: بالقتل تهددني؟ والله لو كانوا تحت قدمي ما رفعت قدمي عنهم لك ولئن قتلتي ليسعدني الله ان شاء الله ويشقيك الله! فقتله»^(٢). فنحن لا نعتقد هنا أن سياسة السفاح الرسمية

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري ٥ / ١١

(٢) مسند الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي ١ / ٩٦

كانت افتعال صراع معلن مع الإمام الصادق وشيعته، وإنما نعتقد أنه قرار خاص بـداود بن علي الذي كان يريد أن يرفع حظوظه في الترشيح للخلافة خاصة وأنه عم الخليفة السفاح وأخيه المنصور، لكنه خاب فما بقي بعد هذا القتل غير سنة واحدة حتى هلك بدعاء الإمام جعفر الصادق عليه السلام ^(١).

٢ / بالرغم من مواقف الولاة المتأثرة بالموقف العباسي العدائي للإمام الصادق عليه السلام إلا أنهم كانوا في قرارة أنفسهم - كسادتهم - يعترفون للإمام الصادق ولأهل البيت بالتفوق العلمي والمعرفة الدينية فيها هو الوالي محمد بن خالد القسري ^(٢) وقد أقبل إليه أهل

(١) إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي ج ١ / ٥٢٤، روي أنّ داود بن علي بن عبد الله بن عباس قتل المعلّى بن خنيس مولى جعفر بن محمد عليه السلام وأخذ ماله فدخل عليه جعفر عليه السلام وهو يجزّ رداءه فقال له قتلت مولاي واخذت مالي أ ما علمت ان الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب أما والله لأدعوك الله عليك! فقال له داود: أ تهددنا بدعائك كالمستهزئ بقوله فرجع أبو عبد الله عليه السلام الى داره فلم يزل ليله كله قائما وقاعدا حتى إذا كان السحر سمع وهو يقول في مناجاته: يا ذا القوة القوية ويا ذا المحال الشديد ويا ذا العزة التي كل خلقك لها ذليل اكفني هذه الطاغية وانتقم لي منه فما كان إلا ساعة حتى ارتفعت الأصوات بالصياح وقيل قد مات داود بن علي الساعة. أقول: ذكر ابن سعد في الطبقات الكبير ٧ / ٤٧١ أنه: «مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة، وإنما أدرك من دولتهم ثمانية أشهر».

(٢) أمراء المدينة المنورة، عارف عبد الغني ١٢٠ كان أبوه واليا للأمويين ونصيرا لهم، وابنه خالد خان الأمويين بعدما رأى دولتهم آخذة في الأفول، وكان من ولاة الكوفة للأمويين فكان يعمل سرا مع العباسيين ويؤيدهم، فكافأه المنصور بأن ولاه على المدينة المنورة سنة ١٤١ هـ ليعزله عنها في سنة ١٤٤ هـ

المدينة يسألونه في الاستسقاء فأمر بأن يأتي أحدهم إلى الإمام جعفر ويسأله عن ذلك، ففعل وأرشده الإمام إلى ما يفعل من حيث الزمان والمكان والكيفية بالنحو المفصل الذي نقله الكليني في الكافي^(١).

ومثله ما نقل من حكمه عليه السلام في حق شخص شتم النبي ﷺ، فسأل والي المدينة وهو زياد بن عبيد الله الحارثي عن حكمه فقال عبد الله بن الحسن والحسن بن زيد وغيرهما: يقطع لسانه!

وقال ربعة الرأي وأصحابه: يؤدب!

فدعي الإمام جعفر الصادق - وكان مريضاً - فسئل، فقال: أرأيتم لو ذكر رجلا من أصحاب النبي ﷺ ما كان الحكم فيه؟ قالوا: مثل هذا!

ويولي بدلا عنه رياح بن عثمان المري الذي عذب حاشية محمد بن خالد بن عبد الله القسري بالمدينة تعذبا شديدا ومهينا.

(١) الكافي ٣ / ٤٦٦: صاح أهل المدينة إلى محمد بن خالد في الاستسقاء فقال لي: انطلق إلى أبي عبد الله عليه السلام فسله ما رأيتك فإن هؤلاء قد صاحوا إلي، فأتيته فقلت له، فقال لي: قل له: فليخرج، قلت له: متى يخرج جعلت فداك قال: يوم الاثنين، قلت: كيف يصنع؟ قال يخرج المنبر ثم يخرج يمشي كما يمشي يوم العيدين وبين يديه المؤذنون في أيديهم عنزهم (رمح قصير) حتى إذا انتهى إلى المصلى يصلي بالناس ركعتين بغير أذان ولا إقامة، ثم يصعد المنبر فيقلب رداءه فيجعل الذي على يمينه على يساره والذي على يساره على يمينه، ثم يستقبل القبلة فيكبر الله مائة تكبيرة رافعا بها صوته، ثم يلتفت إلى الناس عن يمينه فيسبح الله مائة تسبيحة رافعا بها... الحديث.

قال: فليس بين النبي وبين رجل من أصحابه فرق؟

فقال الوالي: كيف الحكم؟

قال: أخبرني أبي أن رسول الله ﷺ قال للناس في أسوة سواء من سمع أحدا يذكرني فالواجب عليه أن يقتل من شتمني ولا يرفع إلى السلطان فالواجب على السلطان إذا رفع إليه أن يقتل من نال مني!^(١)

فقال الوالي أخرجوا الرجل فاقتلوه بحكم أبي عبد الله^(٢).

٣/ ولم يكن الأمر دائما بهذه الصورة فكما سبق وأن قلنا بأن بعض الولاة كانوا بالإضافة إلى السياسة الرسمية المعادية - وبالذات زمان المنصور العباسي - فقد كانوا هم على درجة من السوء والوقاحة تجعلهم يقذعون في السب والشتم ويظنون بذلك أنهم سينالون حظوة عند الخليفة وستستمر ولايتهم والحال أن الخلفاء كانوا يتعاملون معهم كورق المراحيض ما إن يمسح به نجاسة الخلافة حتى يُرمى، وهؤلاء كان الإمام عليه السلام يواجههم بما

(١) الكافي ٧/ ٢٦٧

(٢) زياد بن عبيد الله هو خال الخليفة العباسي السفاح؛ وربما رأى بعضهم أن زيادا هذا كان لا يميل إلى الشدة مع أهل البيت ولذلك لم يتخذ خطوات تصعيدية بشأن آل الحسن ومحمد النفس الزكية خصوصا وربما لهذا السب فإن المنصور عزله وأمر الوالي بعده أن يقيد في الحديد، سنة ١٤١ هـ. إلا أن هذا لا ينافي اعترافه بتفوق الإمام وتقديمه قول الإمام على قول ربيعة بل على قول عبد الله بن الحسن وأخيه زيد.

يستحقون كما حصل مع المسمى بشيبة بن عقال^(١) الذي جاء إلى المدينة والياً من قبل المنصور بعد مقتل محمد وإبراهيم (ابني عبد الله بن الحسن): فلما حضرت الجمعة صار إلى مسجد الرسول ﷺ فرقى المنبر وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد فإن عليّ بن أبي طالب شقّ عصا المسلمين وحارب المؤمنين!!، وأراد الأمر لنفسه، ومنعه أهله، فحرّمه الله عليه، وأمّاته بغصّته، وهؤلاء ولده يتبعون أثره في الفساد وطلب الأمر بغير استحقاق له فهم في نواحي الأرض مقتولون، وبالدماء مضرّجون.

فعظم هذا الكلام منه على الناس، ولم يجسر أحد منهم أن ينطق بحرف فقام إليه الإمام جعفر الصادق فقال: ونحمد الله ونصليّ على محمد خاتم النبيين وسيّد المرسلين وعلى رسل الله وأنبيائه أجمعين، أمّا ما قلت من خير فنحن أهله، وأمّا ما قلت من سوء فأنت وصاحبك به أولى، فاختر يا من ركب غير راحلته وأكل غير زاده إرجع مأزوراً.

ثمّ أقبل على الناس فقال: ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة وأبينهم خسراناً، من باع آخرته بدنياه غيره، وهو هذا الفاسق، فأسكت الناس وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرف!^(٢)

(١) ليس له ذكر في التاريخ غير هذا الموقف السيء، وكما قلنا تماماً هو ممسحة النجاسة ترمى فلا يعود يذكرها حتى راميتها.

(٢) الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٨١ وأنساب الأشراف للبلاذري ٣/ ١٢٨: والعجب من محققي (!) الكتاب حيث أغفلا اسم الإمام الصادق وعنونوا

◀ وأما علاقته مع حكام عصره الأمويين:

فإننا نلاحظها من خلال تعيين هؤلاء الحكام لولاة سيئين وقساة، وهم في مثل تلك الأعمال السيئة يبيعون لخلفائهم السلعة النافقة في سوقهم، بل ويمارس بعضهم القسوة في تنفيذ الأوامر حتى يثبت إخلاصه لهم، مع أن هؤلاء لا إخلاص عندهم سوى المال والمنصب.. ونشير إلى بعض النقاط التي توضح هذه الجهة.

أ/ الموقف من أموال أهل البيت (وفدك بالذات). فقد كان الموقف الرسمي للخلافة مصادرة فدك والاستمرار في اغتصابها منذ أن أخذت من فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهي بمثابة الترمومتر الذي به تقاس علاقة الخلفاء بأهل البيت عليهم السلام.

فإنها لما تولى عثمان بن عفان «أقطعها مروان، فلما ولي مروان جعل الثلثين منها لابنه عبد الملك، والثلث لابنه سليمان، فلما ولي عبد الملك جعل ثلثيه لعبد العزيز وبقي الثلث لسليمان، فلما ولي سليمان جعل ثلثه لعمر بن عبد العزيز، فلما ولي عمر بن عبد العزيز ردها كلها على ولد فاطمة D، فاجتمع إليه بنو أمية وقالوا: يرى الناس أنك أنكرت فعل أبي بكر وعمر وعثمان والخلفاء من آبائك فردها. وكان يجمع غلتها في كل سنة ويزيد عليها مثلها. ويقسمها في ولد فاطمة عليها وعليهم أفضل السلام»^(١).

الخبر بأنه فقام إليه رجل! واكتفيا بذلك مع أن في ذيل الخبر تصريحًا باسمه!

(١) دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي / ١ / ١٤٤

وباستثناء هذا الموقف الجيد من الخليفة عمر بن عبد العزيز فإنها ظلت تتداول بين أيدي الحاكمين، ويُحرم منها أبناء علي وفاطمة عليهما وعليهم السلام. لتجسد قول شاعر أهل البيت دعبل الخزاعي:

أرى فيأهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات
وسنجد فيما بعد أنه حتى أيام العباسيين - باستثناء أيام المأمون -
فقد استمرت هذه السياسة الظالمة بالنسبة لعدوك وغير فدك^(١).

ب/ الموقف من أمير المؤمنين علي عليه السلام:

كان الطابع العام للخلافة الأموية هو إظهار العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام (وليس أصل العداوة) حتى صار الشتم واللعن له صلوات الله عليه (مع أنه ميزان الأعمال وقسيم الجنة والنار) سنة عرفت بهم إلى الحد الذي لو (قصر) أحدهم فيه، يقوم الآخرون بتذكيره وكأنها فريضة يجب أن تقضى كما فعل سعيد بن الوليد بن عثمان بن عفان مع هشام بن عبد الملك^(٢) حيث ذكره بنعمة الله

(١) أمر المنصور بمصادرة أملاك الهاشميين وإحراق بعضها، وأخذ بستان الإمام الصادق عليه السلام، ومع مطالبته به لم يرد إليه كما نقل الطبري في تاريخه ٧/ ٦٠٣ وقال: «لقي جعفر بن محمد أبا جعفر، فقال: يا أمير المؤمنين، رد عليّ قطيعتي عين أبي زياد أكل من سعفها، قال: إياي تكلم بهذا الكلام! والله لأزهقن نفسك قال: فلا تعجل علي، قد بلغت ثلاثا وستين، وفيها مات أبي وجدي على بن أبي طالب». فلم يردها عليه..

(٢) حج هشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ هـ - فقال له سعيد بن الوليد بن عثمان:

عليه في أنه لا يزال يُشتمُّ أبو تراب في هذه المواطن الصالحة يعني الحج!! ومع أن هشامًا امتنع عن الاستجابة له وقال: ما جئنا لثتم أحد! إلا أن هذا الامتناع منه لم يكن اهتداءً إلى الحق، أو ارتداداً عن الباطل، فإن هشامًا بن عبد الملك هذا هو الذي كتب إلى واليه على المدينة «أن يأخذ الناس بسب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، فقال كثيرٌ عزة:

لعن الله من يسبُّ علياً	وبنيه من سَوْقَة وإمام
ورمى الله من يسبُّ علياً	بصدام وأولقٍ وجذام
طَبَّتْ بيتاً وطاب أهلك أهلاً	أهل بيت النبي والإسلام
رحمةُ الله والسلامُ عليكم	كلما قام قائمٌ بسلام
يأمنُ الطيرُ والظباء ولا	يأمن رهط النبي عند المقام

قال فحبسه الوالي وكتب إلى هشام بما فعل»^(١).

◀ مضايقة الخلفاء للإمام الصادق عليه السلام:

وكان الإمام الصادق عليه السلام في كل هذه الفترات ومع اختلاف

يا أمير المؤمنين إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين، وينصر خليفته المظلوم ولا يزالوا يلعنون في هذه المواطن الصالحة أبا تراب، فأمر المؤمنين ينبغي أن يلعنه في هذه المواطن الصالحة، فشق على هشام ذلك وقطع كلامه وقال: ما قدمنا لثتم أحد!

(١) مجمع الأمثال للميداني / ١ / ٣٠٩، الغريب أن هذه الحادثة التاريخية لم تنقل في مصادرهم التاريخية، ولكن ذكرها في مجمع الأمثال بمناسبة الحديث عن كلمة الأوتق.. بمعنى الجنون.

الولاية «يطرق سمعه مدة تسع عشرة سنة شتم جده علي عليه السلام وانتقاص آله، وكان يُرى بعض ولاية المدينة يجمع العلويين يوم الجمعة قريبا من المنبر يسمعونهم شتم علي وانتقاصه، حتى ولي عمر بن عبد العزيز سنة ٩٩ هـ - فرغ السب عن علي عليه السلام»^(١).

وكان أشد الأمر في زمان هشام بن عبد الملك؛ لجهات في شخصيته^(٢)، وأيضا لثورة عم الإمام الصادق زيد بن علي بن الحسين، ولطول فترة حكمه.

فإن هشامًا كما استثاره تكريم الناس واحترامهم للإمام السجاد، كذلك استثاره كلام الإمام الصادق في فضيلة أهل البيت عليهم السلام، فأراد أن (يهين) الإمامين الباقر والصادق، وهذا ما نقله صاحب دلائل الإمامة في الخبر التالي قال: حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر عليهما السلام، فقال جعفر في بعض كلامه: «الحمد لله الذي بعث محمدا بالحق نبيا، وأكرمنا به، فنحن صفوة الله على خلقه، وخيرته من عباده، فالسعيد من اتبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا، ومن الناس من يقول إنه يتولانا وهو يوالي أعداءنا

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، اسد حيدر ١ / ٤٠

(٢) تشير بعض النصوص التاريخية إلى حسد عنده لأهل الفضل، وحقده عليهم بسبب انعدام مقومات السمو باستثناء السلطة، ولعل موقفه من تكريم الناس الإمام السجاد عليه السلام وهو يطوف بالكعبة المشرفة، دون الاعتناء بهشام، وما قاله الفرزدق الشاعر حينها من القصيدة الميمية المعروفة في مدح الإمام، ثم أمر هشام - وكان ولي العهد - بحبس الفرزدق أحد تلك المؤشرات.

ومن يليهم من جلسائهم وأصحابهم، فهو لم يسمع كلام ربنا ولم يعمل به».

قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: فأخبر مسلمة (بن عبد الملك) أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق، وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريدًا إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه، فأشخصنا، فلما وردنا دمشق حجبنا ثلاثة أيام، ثم أذن لنا في اليوم الرابع، فدخلنا وإذا هو قد قعد على سرير الملك، وجنده وخاصته وقوف على أرجلهم سباطين متسلحين، وقد نصب البرجاس^(١) حذاءه، وأشياخ قومه يرمون.

فلما دخل أبي وأنا خلفه ما زال يستدنيا منه حتى حاذيناه وجلسنا قليلا، فقال لأبي: يا أبا جعفر، لورميت مع أشياخ قومك الغرض!. وإنما أراد أن يهتك بأبي ظنا منه أنه يقصر ويخطئ ولا يصيب إذا رمى، فيشتفي منه بذلك، فقال له: إني قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني.

فقال: وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد صلى الله عليه وآله لا أعفيك. ثم أوما إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك.

فتناول أبي عند ذلك قوس الشيخ، ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشق فوق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمي حتى شق تسعة

(١) غرض في الهواء على رأس رمح ونحوه يرمى به.

أسهم بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر، وأنت أرمى العرب والعجم، كلا زعمت أنك قد كبرت عن الرمي. ثم أدركته ندامة على ما قال.

وكان هشام لا يكتفي أحداً قبل أبي ولا بعده في خلافته، فهم به وأطرق إطراقة يرتي فيه رأياً، وأبي واقف بحذائه مواجهها له، وأنا وراء أبي.

فلما طال وقوفنا بين يديه غضب أبي فهمً به، وكان أبي إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يتبين للناظر الغضب في وجهه، فلما نظر هشام ذلك من أبي قال له: يا محمد، اصعد، فصعد أبي إلى سريره وأنا أتبعه، فلما دنا من هشام قام إليه فاعتنقه وأقعده عن يمينه، ثم اعتنقني وأقعدي عن يمين أبي، ثم أقبل على أبي بوجهه فقال له: يا محمد، لا تزال العرب والعجم تسودها قريش ما دام فيهم مثلك، والله درك، من علمك هذا الرمي؟ وفي كم تعلمته؟

فقال له أبي: قد علمت أن أهل المدينة يتعاطونه، فتعاطيته أيام حدثي، ثم تركته، فلما أراد أمير المؤمنين مني ذلك عدت إليه.

فقال له: ما رأيت مثل هذا الرمي قط مذ عقلت، وما ظننت أن في الأرض أحداً يرمي مثل هذا الرمي، أين رمي جعفر من رميك؟

فقال: إنا نحن نتوارث الكمال والتهام اللذين أنزلهما الله على نبيه ﷺ في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ والأرض لا تخلو ممن يكمل هذه

الأمر التي يقصر عنها غيرنا^(١).. إلى آخر الحديث.

◀ علاقة المنصور العباسي بالإمام الصادق عليه السلام:

تعتبر فترة معاوية الإمام الصادق عليه السلام للمنصور العباسي أصعب الفترات التي مرت على الإمام، لجهات كثيرة، سنوجزها هنا ونذكرها بالتفصيل في موضع آخر.

الأولى: نعتقد أن تيار النصب والبغض لأمر المؤمنين عليه السلام بشكله الأعمى كان من تأسيس أبي جعفر المنصور العباسي في أسرة بني العباس وقد استمر هذا إلى آخر أيامهم، وقد يشتد بقوة في فترة ويقل في فترة أخرى لكنه هو الخط العام في الأسرة - نستثنى في ذلك فترة المأمون العباسي -

نقول التيار الأعمى في النصب والبغض، حتى أنه كان أشد من زمان بني أمية - مع أنه كان الشتم أمراً رسمياً - إلا أنه هناك كان على أساس سياسي وأن أمر دولتهم لا يستقيم إلا بهذا^(٢)، بينما هنا تحول إلى بغض ونصب ذي خلفية ثقافية وفكرة يتم الدفاع عنها من جهة، وتحول هذا إلى منهاج بحيث تم معه بشكل رسمي إبعاد وإقصاء كل ما يشير إلى فضائل الإمام وفقهه وأحاديثه، وسيأتي في البحث المفصل بعض الإشارات في ذلك.

(١) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعة) ص ٢٣٥

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٢ / ١٨٤: قَالَ مروان بن الحكم لعلي بن الحسين:

مَا كَانَ أَحَدًا أَكْفَّ عَنِّ صَاحِبِنَا (عثمان) مِنْ صَاحِبِكُمْ (الإمام علي). قَالَ: فَلَمْ

تَشْتَمُونَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ؟ قَالَ: لَا يَسْتَقِيمُ لَنَا هَذَا إِلَّا هَذَا!

ومن الطبيعي والحال هذه، أن ينعكس تيار البغضاء والنصب للإمام عليه السلام، إلى بغض لأبنائه وإقصاء لهم ومحاولة لتهميش شخصياتهم الاجتماعية، والقضاء عليهم بقتلهم وفي طليعتهم في ذلك الزمان كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

الثانية: ما أشار إليه المرحوم الشيخ المظفر بقوله «كان بين ولاية المنصور ووفاة الصادق عليه السلام اثنتا عشرة سنة لم يجد الصادق فيها راحة ولا هدوءاً على ما بينهما من البُعد الشاسع، الصادق في الحجاز، والمنصور في العراق، وكان يتعاهده بالأذى، كما يتعاهد المحبّ حبيبه بالطرف والتحف.

يقول ابن طاووس أبو القاسم علي طاب ثراه في كتاب «مهج الدعوات» (في باب دعوات الصادق عليه السلام): إن المنصور دعا الصادق سبع مرّات كان بعضها في المدينة والربذة حين حجّ المنصور، وبعضها يرسل إليه إلى الكوفة وبعضها إلى بغداد، وما كان يرسل عليه مرّة إلا ويريد فيها قتله، هذا فوق ما يلاقه فيها من الهوان وسوء القول»^(١).

وعندما تتصور الأمر هكذا سيتبين لك أن معدل إشخاص الإمام عليه السلام جبراً إلى بغداد بمعدل مرة كل سنة وثمانية أشهر، ومع ملاحظة المسافة (حوالي ١٣٠٠ كيلو بحسب هذه الأيام) ذهاباً ومثلها إياباً وفترة البقاء في بغداد، فربما كانت تستغرق كل رحلة

(١) الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ محمد حسن المظفر / ٩٦

أكثر من شهر من الزمان! كل ذلك لكي يسمع الإمام عليه السلام بعض كلمات التهديد أو التهجم! والإمام عليه السلام يدفع تلك السيئات بالتي هي أحسن!

وزاد الطين بلةً تفجير الحسينين ثورتهم ضد المنصور العباسي في المدينة أولاً ثم في الكوفة والبصرة، والتي كادت أن تأتي على الخلافة العباسية، لولا قدر الله على قائدها محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية، هذا الأمر جعل المنصور العباسي يفتح كل أبواب المعركة على الطالبين وأبناء أمير المؤمنين عليه السلام، بل يشعر أنه في حرب استتصال معهم جميعاً فإمّا هو وإمّا هم.

هذا مع أنه يعلم أن الإمام الصادق عليه السلام لم يكن شريكاً في هذه الثورة ولا أنه أمر شيعته بذلك.

وضمن هذا الإطار فقد استقدم الإمام عليه السلام وبني هاشم من المدينة المنورة إلى بغداد ويكفي لمعرفة أجواء ذلك الاستقدام ما نقرأه في هذا الخبر الذي ينقله الاصفهاني راوياً إياه عن الإمام الصادق عليه السلام نفسه؛ قال:

«لما قتل إبراهيم ابن عبد الله بن الحسن بياخري حُسرنا عن المدينة، ولم يترك فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال: أين هؤلاء العلوية؟ أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوي الحجا. قال: فدخلنا إليه أنا والحسن بن زيد، فلما صرت بين يديه

قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: أنت الذي يجبي إليك هذا الخراج. قلت: إليك يجبي - يا أمير المؤمنين - الخراج. قال: أتدرون لم دعوتكم؟ قلت: لا. قال: أردت أن أهدم رباعكم، وأروع قلوبكم، وأعقر نخلكم، وأترككم بالسراة، لا يقربكم أحد من أهل الحجاز، وأهل العراق، فإنهم لكم مفسدة. فقلت له: يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب ابتلي فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت من ذلك النسل. قال فتبسم وقال: أعد علي، فأعدت فقال: مثلك فليكن زعيم القوم، وقد عفوت عنكم..»^(١).

وسياتي في صفحات قادمة حديث مفصل عن باقي أعمال المنصور العباسي، التي جعلت الزمان الذي عاصره فيه الإمام الصادق عليه السلام أصعب الأزمنة التي مرت عليه صلوات الله عليه. إلى أن انتهى الأمر بالمنصور إلى اغتيال الإمام بواسطة السم بتنفيذ واليه على المدينة.

◀ سم المنصور العباسي الإمام جعفرا الصادق عليه السلام :

قد يستغرب البعض القول بأن الخليفة الفلاني قد أقدم على سم الإمام الفلاني! ويطالبون فوراً بالدليل مستنكرين ذلك! وهذا راجع فيما أظن إلى أمور؛ منها الاعتقاد بأن الخليفة والحاكم (أكبر)

(١) مقاتل الطالبيين، أبي الفرج الأصفهاني، ص ٢٤٩ وقد ذكر أيضاً في كتابي الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا والقاضي التنوخي.

من أن يسم أحد العلماء الصالحين والأئمة الربانيين! فيظن أن في ذلك اتهامًا له! أو الاعتقاد بأن الأمر فيه من الصعوبة ما يجعل الحاكم لا يفكر فيه! فحتى لو كان لديه رغبة في التخلص من غريمه، إلا أنه لا يقدم على ذلك لصعوبته أو حتى عدم إمكانه..

ونحن نعتقد أن الأمر تماما على خلاف ذلك؛ وقد أشرنا إليه في كتابنا (كاظم الغيظ: الامام موسى بن جعفر عليه السلام) كما أشرنا إليه في كتاب (عالم آل محمد: الامام الرضا عليه السلام)^(١).

وذكرنا هناك ما خلاصته بأن تخلص الحاكمين - سواء في زمان بني أمية أو بني العباس - من مخالفهم بالسم كان الطريقة المفضلة والسهلة، حيث أنها لا تترك آثارا واضحة للعامة^(٢) بخلاف القتل

(١) كلاهما طُبعا في الطبعة الأولى قبل هذا الكتاب.

(٢) أسماء المعتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، محمد بن حبيب البغدادي، ١٥٧ / ١ وفد أبو هاشم بن محمد بن الحنفية إلى سليمان بن عبد الملك، ومعه عدة من الشيعة، وكان من أشد أهل زمانه عارضة وأبينهم بيانا، فلما كلمه سليمان عجب منه وقال: ما كلمت قرشياً قط يشبه هذا، ما أظنه إلا الذي كنا نحدث عنه، وأحسن جائزته وجوائز من معه، وقضى حوائجه وحوائجهم، ثم شخص يريد فلسطين فبعث سليمان قوما إلى بلاد لحم وجدام، فضربوا أبنية، بين كل بناءين ميل وأكثر من ميل، ومعهم اللبن المسموم، فلما مر بهم أبو هاشم وهو على بغلة له قالوا: يا أبا عبد الله هل لك في الشراب؟ فقال: جزيتم خيرا.

ثم مرّ بأخرين فعزموا عليه ففعل ذلك مرارا حتى مرّ بقوم أيضا فعزموا عليه، فقال: هلموا. فلما شرب، واستقر في جوفه اللبن قال: يا هؤلاء أنا والله ميت، فانظروا إلى هؤلاء القوم من هم؟ فنظروا فإذا القوم قد قوضوا أبنيتهم وذهبوا.

بالسيف مثلاً والتخلص منهم في المعارك كما كانت لا تحتاج إلى جهود كبيرة أكثر من مقدار من المكر والخداع وقلة المراقبة لله تعالى، وهو متوفر غالباً في هؤلاء الحكام.

بل يمكن لنا أن نفهم لماذا كان أكثر الأطباء المقربين في بلاط الخلفاء والحكام الأمويين والعباسيين من النصارى واليهود؟^(١)

وكان التسميم أحد الطرق الخفية والسهلة التي تحسم الأمر في الصراعات الداخلية بل الشخصية^(٢)، ولذا كان أكثر الخلفاء يتخلصون من أصحاب منافسيهم بهذه الطريقة، حتى وإن خدموا آباءهم بل وإن خدموهم في بعض الأوقات وتغيروا عليهم في

(١) قال ابن أبي أصيبعة في عيون الأنبياء في طبقات الأطباء / ١٧١: متحدثاً عن: «ابن أثال كان طبيباً متقدماً من الأطباء المتميزين في دمشق نصراني المذهب ولما ملك معاوية بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن إليه وكان كثير الافتقار له والاعتقاد فيه والمحادثة معه ليلاً ونهاراً وكان ابن أثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وما منها سموم قواتل وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً. ومات في أيام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والأمراء من المسلمين بالسّم.

وقصته مع مالك الأشتر وسمه إياه، ثم الإمام الحسن السبط، ثم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد... وهكذا.

(٢) كما ذكر البلاذري: عن مروان بن الحكم، «فإنه كان بينه وبين خالد بن يزيد كلام فقال له مروان: يا بن الرطبة فقال خالد: والله لئن كان أو تمن فما أدى الأمانة ولا أحسن، ودخل على أمه فقال لها: ما صنعت بي، قال لي مروان على رؤوس الناس كذا، فقالت: أما والله لا تسمع منه شيئاً تكرهه أبداً فسقته شراباً فيما يزعمون مسموماً فلم يزل يضطرب حتى مات». وهناك من يقول إنها وضعت على وجهه مخدة وهو نائم فاختنق. أنساب الأشراف ٦ / ٢٩٧

أوقات أخر.. فالملك عقيم والصراع على السلطة لا يعرف رحماً ولا رحمة؛ ولا والدًا ولا ولدًا، ولا يفي لصديق^(١).

ولم يكن هؤلاء ينتظرون ضحيتهم أن يأتي إليهم حتى يسموه^(٢)، بل كانوا يرسلون السم من مكان لآخر تتبعًا لضحاياهم، فهذا عيسى بن زيد بن علي السجاد، وقد قام بالنهضة بعد النفس الزكية، قد جدّ المهدي العباسي - بحسب وصية أبيه المنصور - في طلبه وتتبع أخباره حتى بعث إليه من سمّه فمات في سواد الكوفة وعمره ٤٥ سنة^(٣).

وفعل ابنه هارون الرشيد مع ادريس بن عبد الله بن الحسن ما صنع أبوه مع عيسى بن زيد، عندما أرسل إليه من بغداد إلى شمال أفريقيا - المغرب - طيبيا وعندما شكّا إليه علة في أسنانه، أعطاه سنونًا مسموما قاتلا^(٤) كانت منيته فيه.

(١) مثاله ما ذكره الذهبي: عن الربيع بن يونس الذي ولي حجابة المنصور العباسي، ثم ولي وزارته، وحجب لابنه المهدي العباسي لكنه مات سنة ١٧٠ هـ من غسل مسموم سقاه إياه ابن المهدي العباسي؛ الخليفة الهادي!

انظر تاريخ الإسلام ١٠ / ١٠١

(٢) كما فعل المنصور العباسي مع أبي الجهم الذي «وزرّ للسفاح مدة، فلما أفضت الخلافة إلى المنصور كان في نفسه منه أمور، فسمه في سويق اللوز، فلما أحس بالسم قام ليذهب فقال له المنصور: إلى أين؟ قال: إلى حيث بعثتني!» كما نقله في الآداب السلطانية / ١٠٧

(٣) أخبار فخر وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله ص ٣١

(٤) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري ٨ / ١٩٩

ويطول الأمر لو أردنا تتبع هذه الفضائح لكن يكفيك عزيزي القارئ أن تقرأ كتاب: أسماء المعتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام لمحمد بن حبيب البغدادي، وكذلك موسوعة العذاب في الإسلام لتطلع على هذه الصفحات السود، من تاريخ الخلفاء والحاكمين!

ما ذكرناه هو غيض من فيض وقطرة من بحر آثامهم في الاغتيال والقتل، تؤكد على أن هذه الطريقة كانت الطريق الأسهل والأفضل عندهم للتخلص من منافسيهم واعدائهم، وليس بالضرورة أن تكون ظاهرة عن الجميع، وإنما كان يصر إلى الاعتقاد بها من خلال القرائن، وإلا فإن القائمين بالاغتيال بالسهم يجهدون ألا يتركوا وراءهم ما يدينهم!

◀ شهادته مسموماً:

بعد الإحضارات المتكررة من المنصور العباسي للإمام إلى بغداد، وتهديداته المتعددة^(١) بقتل الإمام عند مجيء المنصور إلى

(١) الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ محمد حسن المظفر / ١ / ٩٩.. في احداها كما عن الربيع قال حججت مع أبي جعفر المنصور فلما صرت في بعض الطريق قال لي المنصور: يا ربيع إذا نزلت المدينة فاذكر لي جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي فوالله العظيم لا يقتله أحد غيري، إحدراً أن تدع أن تذكرني به... فلما أدخلته عليه رأيت أنه وهو جالس على سريره وفي يده عمود من حديد يريد أن يقتله به. وفي ثانيها استدعاؤه في الربذة، لإبراهيم بن جبلة فقال: يا بن جبلة قم إليه فضع في عنقه ثيابه ثم اتنني به سحبا.. إلى أن يقول: فاستوى أبو جعفر جالسا، ثم أعاد عليه الكلام، فقال: قدّمت رجلاً وأخرت أخرى، أما والله لأقتلنك!

المدينة^(١)، بل إرسال بعض قاداته لقتل الإمام الصادق وابنه موسى كما ذكر في بعض المصادر المتأخرة^(٢) وتصريحه متأسفاً على أنه قتل نحو مائة من آل أبي طالب ولكنه ترك - إلى ذلك الوقت - كبيرهم وهو جعفر بن محمد^(٣).

وفي ثالثتها وكانت في الكوفة (الحيرة) قال عن المنصور.. فدعا المسيّب بن زهير الضبي فدفع إليه سيفاً وقال له: إذا دخل جعفر بن محمد فخاطبته وأومأت إليه فاضرب عنقه ولا تستأمر!

وفي رابعتها وكانت في بغداد كما نقل عن الربيع، وفيها تفاصيل عن جلب الإمام إليه في قصر المنصور، وكلامه الشنيع بحق الإمام.. وقال: يا جعفر أما تستحي مع هذه الشبية ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل وتشقّ عصا المسلمين، تريد أن تريق الدماء وتطرح الفتنة بين الرعيّة والأولياء؟ وهكذا فما زال يعاتبه وجعفر يعتذر إليه، ثمّ انتضى السيف كلّهُ إلا شيئاً يسيراً منه! وفي خامستها إحضاره لبغداد بزعم أن المعلّى بن خنيس يجمع الأموال بأمر الإمام لدفعها إلى بني الحسن ومساعدتهم في ثورتهم على المنصور!

وفي سادستها ما نقله أيضاً ابن طاووس عن الاسكندري في حوار بينه وبين المنصور اتهم فيه الإمام عليه السلام بالتآمر عليه.. ثمّ دعا سيّافاً وقال له: إذا أنا أحضرته وشغلته بالحديث ووضعت قلنسوتي عن رأسي فهي العلامة بيني وبينك فاضرب عنقه!

وغيرها مما ذكر في مواضع أخر.. ومع كل هذا نتعجب ممن يتوقف في أن المنصور قد أقدم على تسميمه!

(١) ذكر في موطأ مالك - رواية يحيى ١ / ٨١ ت الأعظمي: أن المنصور حج أربع حجج، في ١٤٠ هـ، ١٤٤ هـ، ١٤٧ هـ، ١٥٢ هـ، والعادة أنه يقرن ذلك بزيارة المدينة.. ونحن نحتمل أن في كل مرة من المرات الثلاث الأول كان يستدعى الإمام ويحضر إليه.

(٢) مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس، ص ٢٢٦

(٣) مهج الدعوات: ٢٤٧، ودلائل الإمامة للطبري توثيق مقولته وقد حكى

وقد ذكر مؤلف كتاب شهادة الأئمة^(١) عددا من المصادر التي أوردت خبر شهادته عليه السلام متأثرا بسم المنصور العباسي، وكانت تلك المصادر ما بين قديمة ومتأخرة؛ فمنها ما ذكره المسعودي في مروج الذهب بنحو: قيل إنه سُم^(٢)، وكذلك ما نقل عن الشيخ الصدوق^(٣) والطبري الإمامي^(٤). ومن المصادر المتأخرة نسبيا ما ذكره السيد ابن طاووس في كتبه تصريحًا أو إشارة كقوله في الإقبال في زيارة الإمام الصادق عليه السلام: «اللهم صل على جعفر ابن محمد إمام المسلمين، ووال من والاه، وعاد من عاداه، وضاعف العذاب على من شرك في دمه».

ذلك لصديقه وصاحب سرّه محمد بن عبد الله الاسكندري. يقول محمد: دخلت على المنصور فرأيتُه مغتَمًا، فقلت له: ما هذه الفكرة؟ فقال: يا محمد لقد هلك من أولاد فاطمة عليها السلام مقدار مائة ويزيدون - وهؤلاء كلهم كانوا قد قتلهم المنصور - وبقي سيدهم وإمامهم. فقلت: من ذلك؟ فقال: جعفر بن محمد الصادق. وحاول محمد أن يصرفه عنه، فقال له: إنّه رجل أنحلته العبادة، واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة. ولم يرتض المنصور مقاتله فردّ عليه: يا محمد قد علمتُ أنّك تقول به، وبإمامته ولكنّ الملك عقيم.

(١) شهادة الأئمة: جعفر البياتي ٣٧

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، ٣/ ٢٨٥ وقيل: إنه سُم

(٣) نقل ذلك عنه ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، ٣/ ٣٩٩ فقال: قال أبو جعفر القمي: سمّه المنصور ودفن بالبقيع.. ونقل ابن شهر آشوب ذلك عنه من غير تعليق يشير إلى موافقته عليه.

(٤) قال في دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي)، ص ٢٤٦ قبض ولي الله جعفر بن محمد في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة، سمّه المنصور فقتله.

كما أن المرحوم الشيخ أسد حيدر^(١) قد نقل القول بتسميم المنصور للإمام عليه السلام عن عدد من المؤرخين منهم المسعودي في مروج الذهب، وابن حجر في صواعقه وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة والشبراوي في الاتحاف لب الأشراف والشبلنجي في نور الأبصار والقرماني في تاريخه، والخفاجي في شرح الشفاء وغيرهم مما يطول ذكره.

لكن ذهب الشيخ المفيد إلى عدم القطع في استشهاده بالسم. وهذا ما فهمه العلامة المجلسي منه ولم يوافق عليه في البحار^(٢).

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣ / ١٠٩

(٢) فقال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٢٧ / ٢١٨: قال الشيخ المفيد رحمه الله في شرح العقائد: وأما ما ذكره الشيخ أبو جعفر رحمه الله من مضي نبينا والأئمة عليهم السلام بالسم والقتل فمنه ما ثبت ومنه ما لم يثبت، والمقطوع به أن أمير المؤمنين والحسن والحسين صلوات الله عليهم خرجوا من الدنيا بالقتل ولم يمتم أحدهم حتف أنفه، ومن بعدهم مسموماً موسى بن جعفر عليه السلام، ويقوى في النفس أمر الرضا عليه السلام، وإن كان فيه شك، فلا طريق إلى الحكم فيمن عداهم بأنهم سموا واغتيلوا أو قتلوا صبرا، فالخبر بذلك يجري مجرى الارجاجاف، وليس إلى تيقنه سبيل، انتهى كلامه رفع الله مقامه. وأقول: مع ورود الأخبار الكثيرة الدالة عموماً على هذا الامر والأخبار المخصوصة الدالة على شهادة أكثرهم وكيفيةها كما سيأتي في أبواب تواريخ وفاتهم عليهم السلام، لا سبيل إلى الحكم برده وكونه من الارجاجاف، نعم ليس فيمن سوى أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وموسى بن جعفر وعلي بن موسى عليهم السلام أخبار متواترة توجب القطع بوقوعه، بل إنما تورث الظن القوي بذلك، ولم يبق دليل على نفيه، وقرائن أحوالهم وأحوال مخالفيهم شاهدة بذلك، لا سيما فيمن مات منهم في حبسهم وتحت يدهم، ولعل مراده رحمه الله أيضاً نفي التواتر والقطع لا رد الاخبار.

ولعله لهذه الجهة فإن صيغة الصلاة على الإمام الصادق التي ذكرناها عن الاقبال مع احتوائها على جملة (وضاعف العذاب على من شرك في دمه) وهي الجملة الموجودة في الصلاة على جميع المعصومين المذكورين في نص الدعاء باستثناء الزهراء عليهن السلام، فإنها تغيرت في كتاب المقنعة للشيخ المفيد رحمه الله لتصبح - فيمن عدا أمير المؤمنين والحسين والكاظم والرضا عليهم السلام - وضاعف العذاب على من ظلمه!

وهو ما يتوافق مع اختيار الشيخ المفيد خلافاً للشيخ الصدوق في أن غير هؤلاء الخمسة لا يوجد قطع بمسئوميتهم.

أقول: مما تقدم من الأحداث والتهديدات المتكررة التي كان يعلنها المنصور العباسي، وما كان عليه من السياسة الاستئنافية للخط العلوي الهاشمي^(١) لا يبدو أن ما قاله الشيخ المفيد رحمه الله

(١) الكافي ١ / ٣٥٨ عن أبي أيوب النحوي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، قال: فلما سلمت عليه رمى بالكتاب إلي وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإننا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثاً - وأين مثل جعفر؟ ثم قال لي: اكتب قال: فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال: فرجع إليه الجواب أنه قد أوصى إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور ومحمد بن سليمان وعبد الله وموسى وحميذة.

أقول: الظاهر حصول تصحيف في الاسم وأن المقصود من مرسل الكتاب هو جعفر بن سليمان بن علي والي المدينة من قبل المنصور والذي تولى عليها من

- مع مخالفته للمشهور^(١) في هذا - حرياً بالقبول. وإنما «مرّت اثنتا عشرة سنة من توليه الخلافة حتى تمكن من دس السم للإمام عليّ السلام، كان فيها متوتراً منه دائماً يبحث عن ممسك عليه فلا يجد، ثم كان يقرر قتله بلا ممسك ويحضره فيحدث ما يثنيه عن ذلك، حتى أذن الله تعالى وتمكن جواسيسه من دس السم للإمام عليّ السلام سنة ١٤٨ هجرية!»^(٢)

بل إن بعض علماء مدرسة الخلفاء، وهم الذين يحاولون قدر الإمكان عدم إدانة الحاكمين ويسعون إلى بيان انسجامهم مع أهل البيت عليّهم السلام، رأينا بعضهم يصرح بمسمومية الإمام عليّ السلام كما صنع ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة^(٣).

(١) البيهقي: شهادة الأئمة.. رأى الحر العاملي في ارجوزته أن تسميم المنصور العباسي للإمام الصادق عليّ السلام هو المشهور.

(٢) جواهر التاريخ (سيرة الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق ع)، الشيخ علي الكوراني العاملي ٥/ ٤٩٢

(٣) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، ص ٢٠٥: توفي سنة أربع وثمانين ومائة مسموماً أيضاً على ما حكى (قوله أيضاً لعلها إشارة إلى ما ذكره سابقاً ص ٢٠١ من أن أباه محمداً الباقر وجده علي بن الحسين ماتوا بالسم). ومن الواضح أن ما ذكره من تاريخ شهادة الإمام خاطيء والحق أنه ثمان وأربعون ومائة. والعجيب أن المحققين في طبعتي القاهرة ولبنان لم يعلقا على هذه الجهة وأغفلوها!

الإمام الصادق في العصر الصعب

باستثناء ما كتبه العلامة الشيخ علي الكوراني في كتابه جواهر التاريخ - سيرة الامامين الباقر والصادق عليهما السلام - في حوالي ١١٥ صفحة، لم ألاحظ بالمقدار الذي اطلعت عليه كتابة مستوعبة^(١) تناولت شخصية أبي جعفر المنصور العباسي ودوره في تشكيل المذهب الرسمي الموازي لمذهب أهل البيت عليهم السلام في نسخته المتطرفة - وبالذات في الجانب العقدي -، مع أنه دور خطير ومفصلي ولا تزال آثاره حاضرة في الخطوط العامة التي وضعها في سنوات حكمه التي امتدت نحو اثنتين وعشرين سنة، بنفس التفاصيل في بعضها وبأقل أو أكثر في بعضها الآخر.

وسنشير إلى جوانب من هذا الدور من جهة أن الإمام جعفر الصادق الذي كان دوره الأساس نشر الصورة الأكمل والأكثر

(١) لا نريد أن ننفي بالكامل وإنما ننفي الاستيعاب وتخصيص فصل في ذلك، وإلا فإن الكثير ممن درس حياة الإمام الصادق أشار إلى هذا الدور بنحو من الأنحاء.

تفصيلاً لعقائد الإسلام وأحكامه كما هي عن رسول الله ﷺ وأهل بيته، والذي صار يعرف فيما بعد بالمذهب الجعفري - نسبة إليه صلوات الله عليه - وبمذهب الإمامية والإثني عشرية، إشارة إلى الاعتقاد بأصل الإمامة المعصومة وعدد الأئمة المعصومين المنصوبين بأمر الله عز وجل.. فالإمام الصادق عاصر حكم المنصور العباسي مدة اثني عشر عاماً، وإذا حسبنا ما قبل ذلك - أي فترة أبي العباس السفاح أخي المنصور الأصغر وهي أربع سنوات كان فيها المنصور حاكماً من وراء الظل - فسترفع إلى مدة ستة عشر عاماً.

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن هذه الفترة كانت من أصعب الفترات التي عاشها الإمام لو لم تكن أصعبها بالتحقيق، وقد مر حديث ذلك قريباً.

وأما ما يرتبط بهذا الجانب فإننا نعتقد أن تأسيس المذهب الرسمي (مدرسة الخلفاء) في إحدى مراحل الأساسية كان على يد المنصور العباسي.

فقد يمكن ملاحظة تشكل المذهب الرسمي^(١) من خلال المراحل التالية:

- ١/ فترة حكم الخليفة عمر بن الخطاب.
- ٢/ فترة حكم أبي جعفر المنصور العباسي.

(١) تفصيل ذلك يتم بحثه في سلسلة محاضراتنا (من تاريخ المذاهب في الإسلام).

٣/ فترة حكم جعفر المتوكل العباسي.
 ٤/ وفترة حكم القادر العباسي التي تم ترسيم المذاهب الأربعة فيها.

ماذا صنع أبو جعفر المنصور؟

◀ مشروعية حكم العباسيين بتقويض الأسرة النبوية:

بينما كانت مشروعية العباسيين واستلامهم السلطة قائمة على أساس أنهم «يطالبون بحق أهل البيت» وجاءوا لرفع مظلوميتهم، وبالتالي فسيعدون إلى «الرضا من آل محمد» وينحون باللائمة على الأمويين بل ومن قبلهم ممن أخذ موقع الإمام علي عليه السلام، وبينما كان خطيبهم داود بن علي في أول أيامهم في الكوفة بحضور أبي العباس السفاح يقول «ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد» وأشار بيده إلى أبي العباس السفاح واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى ابن مريم - عليه السلام - والحمد لله على ما أبلانا وأولانا»^(١).

فإذا بالمنصور العباسي يشن حملة شعواء على شخص أمير المؤمنين عليه السلام وعلى عترته، وعلى سياسته ومنهجه في الحكم بنحو لم يحصل حتى من قبل أشرس أعدائه الأمويين..

وبقراءة عاجلة للرسالة التي بعث بها المنصور العباسي جوابا

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٥ / ١١

إلى محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) يمكن الوقوف على سعيه في ما سمته إحدى الباحثات بـ «تقويض صورة علي بن أبي طالب في التاريخ» فقالت: «وقد تدرّج المنصور في الحطّ من القيمة التاريخية لعليّ بن أبي طالب بوصفه أساس أجداد العلويّين، حسب التدرّج الزمني للأحداث، فبدأ بضرب أسبقية في الإسلام، التي يفتخر بها العلويّون؛ لأنّها تميّزهم عن بقية آل البيت الهاشميين، فذكر أنّ هذه الأسبقية لم تحل دون تقديم النبيّ، وهو على فراش المرض، لأبي بكر - في الصلاة - على عليّ، وهو ما جعل الأوّل يتقدّم الثاني في خلافة النبيّ بعد وفاته، ليكون أوّل خليفة للرّسول على المسلمين، وكأنّ المنصور يريد، من خلال هذه الإشارة، التشكيك في أسبقية علي بن أبي طالب إلى الإسلام، التي يشبّث بها شيعة، ويجعلونها الحجّة الأقوى في أولوية استحقاقهم للخلافة قبل سائر المسلمين، ولا سيّما القرشيّين منهم»^(١).

وسنشير إلى بعض ما جاء في هذه الرسالة:

١/ فقد ابتدع فيها فكرة كفر أبي طالب، وأنه على أثر ذلك قطع الله ولايته وولاية نبيه عنه، ولم نعر قبل هذا التاريخ على حاكم تبني فكرة كفر أبي طالب، التي بقيت إلى يومنا هذا إحدى علامات خط النصب والبغض لعتره النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فقد قال في رسالته تلك: «وقد بعث الله محمداً وله عمومة أربعة، فأنزل الله عليه: ﴿وَأَنْذِرْ

(١) حياة عمّامو (تونس) <https://fawacil.org> تم قراءة المقال بتاريخ ٢٠/٦/٢٠٢٢

عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿١﴾، فدعاهم فأنذرهم، فأجابه اثنان أحدهما أبي، وأبى عليه اثنان أحدهما أبوك، فقطع الله ولايتهما منه.

٢ / أكد على ما كان قد بدأه الأمويون وسيكون نهجاً مستمراً عند العباسيين من نفي الانتساب بين النبي محمد وبين عترته وذريته وهذا في حقيقته يرجع إلى تصديق قول الكفار بأن النبي أبتري! واستدل بآية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ﴾ وهي لا تدل على هذا أصلاً، مع أن فكرة الانتساب بين العترة والنبي قد استدل عليها قرانياً (٢) بأكثر من دليل فضلاً عن الروايات، لكنه أعادها جذعة من جديد! فإنه في رسالته هذه ردّاً على محمد بن عبد الله الحسيني «وأما قولك إننا بنو رسول الله فإن الله يقول: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

(١) الشعراء: ٢١٤

(٢) وقصة الحجاج الثقفي وابن يعمر العدواني وكيف قال يحيى للحجاج اقرأ: قول الله عز وجل ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ من عنى بذلك؟ قال الحجاج: إبراهيم عليه السلام. قال: فداود وسليمان من ذريته؟ قال: نعم. قال يحيى: ومن نص الله عليه بعد هذا أنه من ذريته؟ فقرأ يحيى: ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ وكذلك تجزي المحسنين ﴿.

قال يحيى: ومن؟

قال: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ قال يحيى: ومن أين كان عيسى من ذرية إبراهيم عليه السلام، ولا أب له؟ قال: من قبل أمه مريم عليها السلام.

قال يحيى: فمن أقرب: مريم من إبراهيم عليه السلام أم فاطمة عليها السلام من محمد وآل بيته؟ وعيسى من إبراهيم، أم الحسن والحسين عليهما السلام من رسول الله وآل بيته؟ قال الراوي: فكانت ألقمه حجراً.

وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿١﴾، ولكنكم بنو ابنته».

٣/ لأول مرة في تاريخ المسلمين ذكر المنصور العباسي أن عليًّا عليه السلام هو الذي ظلم فاطمة الزهراء! فض الله فاه! وهذه فرية لم يتجرأ أن يقولها أكبر الكذابين من الأمويين ومرتزقتهم لكن المنصور العباسي قالها! فيها هو أو لا يشير إلى أنها كما زعم «امرأة لا تُحْرَزُ ميراثًا، ولا تَرِثُ الوِلاءَ، ولا يَحِلُّ لها أن تُؤمَّ، فكيف تُورِثَ بها إمامة» ونسأله هنا: من الذي قال: إن الإمامة بالتوريث؟ وهل ورث العباسيون الإمامة من جددهم العباس؟ فمتى كان العباس إمامًا أو خليفة!

٤/ وافترى بعد ذلك بالقول: «ولقد ظلمها أبوك بكل وجه، فأخرجها نهارًا ومرّضها سرًّا، ودفنها ليلاً!»! فصار الظالم الآن لفاطمة هو علي بن أبي طالب!! تَبًّا وسحقًا للكاذبين عبيد الدنيا.

٥/ ثم يضيف إلى افتراءاته أن الناس أبوا إلا تقديم الشيخين؟! قال «فأبى الناس إلا تقديم الشيخين وتفضيلهما» وكأنه نسي أن جده العباس هو الذي جاء إلى أمير المؤمنين وأراد منه أن ييسط يده! إلا إذا كان لا يعتبر جده من الناس.

٦/ ثم تنكر لسابقة أمير المؤمنين عليه السلام، وزعم أنها لا تنفع في شيء، فيا عجبًا بينما هو يزعم تقديم الناس الشيخين - مع أنه

كاذب فيه - إلا أنه لو تم فإنما أرادوا تقديم الخليفة الأول لأنهم زعموا أنه أسبق الناس إلى الإسلام! فكيف أصبحت هنا فضيلة وتستوجب التقديم، وعند علي عليه السلام ليست كذلك؟ بل أكثر من ذلك فإنه زعم أن جماعة الشورى قد رفضوه كلهم! ومع أننا لا نرى ميزة لأهل الشورى في اختيار أحد أو استبعاده! إلا أن هذا الذي زعمه هو كذب بحقائق التاريخ، فإن اثنين من أهل الشورى صوّتا له واثنين صوّتا لعثمان، وكان الترجيح بيد عبد الرحمن بن عوف الذي «مال لصهره»^(١).

٧/ وفيما يرتبط بالإمام الحسن المجتبي عليه السلام وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ وفي أخيه أنها سيّد شباب أهل الجنة فلم يرع المنصور الدوانيقي كلام النبي في ذلك وافترى بقوله: «ثم قام جدك الحسن فباعها بخرق ودراهم، ولحق بالحجاز، وأسلم شيعته بيد معاوية، ودفع الأموال إلى غير أهلها، وأخذ مالاً من غير ولائه، فإن كان لكم فيها حق فقد بعتموه وأخذتم ثمنه»^(٢).

٨/ وأسوأ من كل ما سبق (وكله أسوأ من بعضه) ما قاله في حق الإمام الحسين بن علي عليه السلام، حيث اعتبره (خارجاً) على عبيد

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صبحي الصالح ص ٤٩
 (٢) تعرضنا إلى هذا الجانب وكيف أن نعمة المنصور هذه صارت منطلقاً للمستشرقين المسيحيين واليهود ليرقصوا عليها وينفخوا في بوقها ويسودوا صفحات الكتب بتحليلاتهم البائسة عنها، فراجع كتابنا: سيد الجنة؛ الإمام الحسن بن علي عليه السلام.

الله بن زياد!! واعتبر أن الناس كانوا مع ابن مرجانة حتى قتلوا الحسين وأتوا برأسه إلى ابن مرجانة! ثم اعتبر الطالبين خوارج على بني أمية! وكان بني أمية هم أصحاب الحق الإلهي في الإمامة والقيادة وأن من عارضهم يعتبر خارجياً؟، فإذن في اعتقاد المنصور: أبو طالب كافر^(١) والعصمة بينه وبين النبي منقطعة، وأن علياً بن أبي طالب هو الذي ظلم فاطمة الزهراء بكل وجه! وأن سبطي رسول الله ليسا من أبنائه! وأن الحسن باع الخلافة لمعاوية! وأن الحسين خرج على عبيد الله بن زياد!

(١) وحيث أن هذا الكلام كان يحتاج إلى إسناد من النقل فلذا افترى على رسول الله ﷺ، بشأن أبي طالب الحديث المعروف بحديث الضحاح والذي نقله البخاري «صحيح البخاري» (٥ / ٥٢ ط السلطانية): وأسند إلى العباس بن عبد المطلب!! أخي أبي طالب. زاعمين أنه: «قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمَّكَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْوَطُكَ وَيَعْضُبُ لَكَ؟ قَالَ: هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَكَوْلًا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ!». ونلاحظ أن البخاري كان في زمن المتوكل العباسي المعروف بنصبه الظاهر لعداوة الإمام علي عليه السلام. نعم يوجد ما يشير إلى أن بعض أتباع النهج الأموي، وتنقل الرواية عن المغيرة بن شعبة وهو المعروف بعدائه للإمام ولأهل البيت بالإضافة إلى انحرافه السلوكي، كانوا يشيعون كفر أبي طالب نكايته بأمر المؤمنين عليه السلام، ولعله لهذا سأل أحدهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: إنك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك معذب في النار؟ فقال: مه فض الله فاك! والذي بعث محمداً بالحق نبياً لو شفع أبي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله فيهم، أي معذب في النار؟ وابنه قسيم الجنة والنار؟. وكذلك سئل الإمام الباقر والصادق والرضا عليهم السلام عما يقوله أولئك الناس فأجابوهم بتكذيب الخبر.. لكن لم ينقل أن خليفة من الأمويين تبنى هذا الموضوع وأشاعه بنفسه وخطب فيه ووجه إليه كما فعل المنصور العباسي!

وقد يقال إن الأمر كان في إطار تبادل الرسائل وفي زمن المعركة مع محمد بن عبد الله بن الحسن، إلا أننا نعتقد أن الأمر لم يكن كذلك وإنما كان سياسة مستمرة، فنحن نجد مثل هذه الكلمات والأفكار قد ساقها في سنوات حكمه الأخيرة وبعد مقتل محمد بن عبد الله المذكور آنفاً^(١).

فأين هذا الكلام الشائن حول أمير المؤمنين عليه السلام وبين كلام عمه داود بن علي الذي رأى أنه ما قام بعد الرسول أحد أحق به من علي عليه السلام، وذلك عندما خطب في أهل الكوفة أول استخلاف أبي العباس السفاح فقال من جملة ما قال: «والله قسماً براً لا أريد به إلا الله ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله أحق به من علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا»^(٢) يعني السفاح.

(١) فيها هو بعد مقتل محمد بن عبد الله بن الحسن يخطب في أهل خراسان مردداً نفس الأفكار ويقول: «تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك» (٨ / ٩٣): «فقام فيها علي بن أبي طالب فتلطح (في نقل المسعودي فما أفلح) وحكم عليه الحكمين، فافتقرت عنه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه وبطانته وثقاته فقتلوه، ثم قام من بعده الحسن بن علي، فو الله ما كان فيها برجل، قد عرضت عليه الأموال، فقبلها، ففسد إليه معاوية، إني أجعلك ولي عهدي من بعدي، فخدعه فانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه، فأقبل على النساء يتزوج في كل يوم واحدة فيطلقها غداً، فلم يزل على ذلك حتى مات على فراشه، ثم قام من بعده الحسين بن علي، فخدعه أهل العراق وأهل الكوفة، أهل الشقاق والنفاق والإغراق في الفتن، أهل هذه المدرة السوداء- وأشار إلى الكوفة -»

(٢) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، ٣ / ١١

كما أنه اتخذ جملة خطوات انتهت بالأسرة العباسية إلى الابتعاد كلياً عن الأسرة الطالبيّة، بل لقد قادت هذه الأسرة خطّ النصب والبغض تجاه الطالبين على كل المستويات حتى لقد اشتهر قول القائل: **تا الله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس!** حتى لقد عُيِّبَ فقه جدهم عبد الله بن عباس منّاكفة منهم لكونه حاملاً لعلم علي بن أبي طالب. وسيأتي كيف أن المنصور بعد أن أقصى فقه أهل البيت وعلمهم، فرض الفقه الآخر كبرنامج الزامي للمسلمين مع تسليمه في داخله بأن الإمام الصادق وقبلة أباه الباقر عليهما السلام هما أعلم من جميع من عاصرهما.

◀ آل الخطاب والشيخ عثمان.. لا آل علي بن أبي طالب

لم يكتف المنصور بما سبق من تقويض الأسرة النبوية بكافة الأدوات، بل كان يعرب بصراحة عن توجهاته التي لا تتوافق مع هذه الأسرة، فقد اشتهر عنه قوله «لو وجدت ألفاً من آل عمر (بن الخطاب) كلهم مسيء وفيهم محسن واحد لأعفيتهم جميعاً!»^(١) ونتساءل كيف لم يُجر هذه المعادلة وهذه الرقعة في آل علي، فإنه لما خرج عليه محمد النفس الزكية (وبحسب تعبيره أساء إليه) فإنه حسر آل أبي طالب عن المدينة حتى لم يبقَ فيها محتلم، بمن فيهم شيوخهم وكبارهم كأبي عبد الله الصادق عليه السلام وغيره؟

وإذ قد أمر واليه على المدينة بإحراق نخيل آل أبي طالب،

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦٠٦

وهدم دورهم، فإنه عَفَّ عن دار الشيخ عثمان بن عفان!^(١)
 فهلّا فعل ذلك في دور بني علي بن أبي طالب وقد كان يسكنها
 الرجال والنساء والأطفال؟

◀ كل المذاهب إلا مذهب أهل البيت!

بالرغم من أن أبا جعفر المنصور يعلم بأن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام هما أعلم من كل من عاصرهما بل ومن لم يعاصرهما (باستثناء آبائهما والمعصومين) وقد أشار لذلك في مواضع متعددة لكن هذا لم يقف أمامه عندما أراد إقصاء علم أهل البيت النبوي وفقههم عن الساحة الإسلامية، وظل يتنقل ما بين مدرسة الرأي التي كان يمثلها أبو حنيفة النعمان بن ثابت وبين مدرسة الحديث التي كان يمثلها حينئذ مالك بن أنس الأصبحي.

فمع أن مالكا كان قد أفتى بأنه ليس على مستكره يمين، وهذه كان يمكن لرافضي الحكم العباسي أن يعتمدوا عليها بحيث لا يكونون ملزمين ببيعة صدرت منهم للمنصور وأخيه السفاح

(١) فلما تولى بنو العباس أراد الحسن بن زيد (وقد تولى على المدينة من جهة المنصور وكان الحسن هذا سيء الرأي في أهله لا سيما الحسينيين) أن يوسع المسجد ليهدم دار عثمان كما هدم الوليد دار علي عليه السلام فكتب إلى أبي جعفر المنصور: يصف له ناحية موضع الجنائز. ويقول: إن زيد في المسجد من الناحية الشرقية توسط قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد. فكتب إليه أبو جعفر: إني قد عرفت الذي أردت، فاكفف عن ذكر دار الشيخ عثمان بن عفان! (يعني أنا أعرف أن قصدك ليس توسعة المسجد بل هدم الدار!). انظر وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ١٠٦ / ٢

فيستطيعون بذلك أن يناصروا محمدا النفس الزكية، إلا أن هذا لم يمنع المنصور فيما بعد أن يأمره بوضع كتاب الموطاء وأنه سوف يلزم الناس به! بعد أن ضربه والي المدينة ضرباً شديداً.

◀ لماذا قرب المنصور مالكا بن أنس؟

تذكر المصادر التاريخية أن المنصور العباسي قد طلب من مالك بن أنس الأصبحي أن يكتب كتاباً يتجنب فيه كما قال: رخص ابن عباس وشدائد ابن عمر^(١)، وأنه سيحمل الناس على العمل به في البلاد الإسلامية، ولا يتعدونه إلى غيره، وحين أبدى مالك تخوفه من ذلك باعتبار أن أصحاب النبي وتابعيهم وأحاديثه قد انتشرت في البلاد وهو منشأ للاختلاف في الفتوى، وخصوصاً في العراق (حيث الاتجاه العام هو الولاء لأهل البيت)، فأجابه المنصور أنه حينها سيضربهم عليه بالسيف وتقطع ظهورهم بالسياط!

ويستقرب بعض الباحثين أن يكون مالك بعد أن كتب كتابه،

(١) وأضاف الشيخ الكوراني «وشرط عليه المنصور أن لا يروي عن علي عليه السلام! ولذلك لا تجد في الموطاء رواية عن علي عليه السلام! نقله عن (مستدرک الوسائل: ١ / ٢٠). وربما يؤيده ما في شرح الزرقاني على الموطاء ١ / ٦٣: «وَرَوَى الْحَطِيبُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ: قَالَ الرَّشِيدُ لِمَالِكٍ: لَمْ نَرِ فِي كِتَابِكَ ذِكْرًا لِعَلِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَمْ يَكُونَا بِلَدِي وَلَمْ أَلْقَ رِجَالَهُمَا!» وسيأتي تحقيق الحال في هذه الجهة.

ونقل ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر ٤ / ١٤٧: عن «مالك بن أنس قال: قال لي أبو جعفر أمير المؤمنين: كيف أخذتم قول ابن عمر من بين الأقاويل؟ فقلت له: بقي يا أمير المؤمنين وكان له فضل عند الناس ووجدنا من تقدمنا أخذ به فأخذنا به، قال: فخذ بقوله وإن خالف علياً وابن عباس!

اطلع عليه المنصور في حجته الثانية سنة ١٤٤ هـ^(١)، وبعدها جعل ابنه المهدي يلتقي بهالك.

ومع أنه في زمانه كان الليث بن سعد، وقد فضّله الشافعي على مالك وقال إنه أفقه منه، وهكذا كان في زمانه استاذه ربعة الرأي، الذي كان يعرف لماذا عمل بفقه مالك بينما استاذه مهمل فقال: درهم دولة خير من قنطار علم! وكان اعظمَ الجميع وأعلمهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في نفس تلك الفترة إلا أن المنصور العباسي وهو في سعيه لإبعاد مذهب أهل البيت وإقصاء أئمتته، أراد بتقريب مالك أن يوجد البديل وأن يلزم الناس به، حتى لو أدى ذلك إلى أن تقطع ظهورهم بالسياط!

ولأن الظلم لا يعرف والدًا ولا ولدًا، ولا ميزان له، فلقد شرب مالك من نفس الكأس التي سقوا منها غيره، فما لبث أن شاعت فتواه بعدم الالزام في يمين المستكره والمضطر، واستفاد منها الأذكياء في معارضة المنصور، من دون أن يكونوا قد نقضوا بيعة المنصور لأنها تمت بالإكراه وليس على مستكره يمين!

فأخذه والي المدينة جعفر بن سليمان في سنة ١٤٧ هـ وجرّده وضربه أسواط ومدّده فانخلع كتفه!

ولا نستطيع الجزم بعدم علم المنصور المسبق بأنه سيحصل له كما لا نستطيع الجزم بعلمه، وذلك أن السياسيين يسهل عليهم أن

(١) قاله الأعظمي محقق كتاب «موطأ مالك - رواية يحيى» ١ / ٨٠

يستخدموا العصا والجزرة مع شخص أو فئة لتطويعها فمن جهة يريه فوائد الإطاعة و(١٠٠٠ دينار عينا ذهباً) كما قال، فإذا مال يميناً أو شمالاً خلع كتفه بالتعذيب! ثم تهجم على الوالي وعزله عن هذه البلدة ليعينه في بلدة أخرى! والأمر في ذلك سهل يسير!

المهم أن المنصور العباسي قد فرض على الناس ما رأى أنه هو العلم! وبينما كان المفروض أن يتحرك في المسافة ما بين (الثقلين كتاب الله وعترتي) فإذا به يتحرك في المساحة ما بين شدائد ابن عمر ورخص ابن عباس! وبعيدا عن علي بن أبي طالب وأبنائه!

◀ هل كان اختيار المنصور لمالك تابعا لموقفه السلبي من الإمام علي؟

يشير بعض الباحثين الشيعة إلى هذا المعنى ويرون أنه إما شرط عليه أن لا يروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أو أشار إليه ووافق ذلك هوى مالك، ويعبر عن ذلك ما قاله الشيخ الكوراني في كتابه جواهر التاريخ (سيرة الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق عليه السلام) ٥ / ٥١٩، وشرط عليه المنصور أن لا يروي عن علي عليه السلام! ولذلك لا تجد في الموطأ رواية عن علي عليه السلام! نقله عن (مستدرک الوسائل: ١ / ٢٠).

وربما يؤيده ما في شرح الزرقاني على الموطأ ١ / ٦٣: «وَرَوَى الْحَطِيبُ عَنْ أَبِي بُكَيْرٍ الزُّبَيْرِيِّ قَالَ: قَالَ الرَّشِيدُ لِمَالِكٍ: لَمْ تَرَفِي كِتَابَكَ ذِكْرًا لِعَلِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: لَمْ يَكُونَا بِلَدِي وَلَمْ أَلْقُ رِجَالَهُمَا!»

بل ربما زاد بعضهم في ذلك بالقول إن مالكا بن أنس كان متأثرا بالخوارج في موقفه من أمير المؤمنين علي عليه السلام، كما نرى ذلك في كلام

للسيد الميلاني في كتابه اعرف الحق تعرف أهله حيث قال: «في ترجمة مالك بن أنس: ١ - كونه من الخوارج: فأول ما فيه كونه يرى رأي الخوارج؛ قال المبرّد في بحث له حول الخوارج: «وكان عدّة من الفقهاء يُنسبون إليه، منهم: عكرمة مولى ابن عبّاس، وكان يقال ذلك في مالك بن أنس. ويروي الزبيريون: أنّ مالك بن أنس كان يذكر عثمان وعليّاً وطلحة والزبير فيقول: والله ما اقتتلوا إلاّ على الثريد الأعفر»

٢ - رأيه الباطل في مسألة التفضيل: وكان مالك يرى مساواة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لسائر الناس، فكان يقول بأنّ أفضل الأمّة هم أبو بكر وعمر وعثمان ثم يقف ويقول: هنا يتساوى الناس! وكان في هذا الرأي تبعاً لابن عمر في رأيه حيث قال: كنّا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت. يعني فلا نفاضل.. ٣ - تركه الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ إنّه لانحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام لم يخرج عنه شيئاً في كتابه «الموطأ»! الأمر الذي استغرب منه هارون الرشيد، فلما سأله عن السبب اعتذر بأنّه: لم يكن في بلدي ولم ألق رجاله!! هذا مع روايته عن معاوية وعبد الملك بن مروان واستناده إلى آرائهما»!^(١)

ونقل ابن سعد في الطبقات الكبرى ط دار صادر ٤ / ١٤٧:

عن «مالك بن أنس قال: قال لي أبو جعفر أمير المؤمنين: كيف أخذتم قول ابن عمر من بين الأقاويل؟ فقلتُ له: بقي يا أمير

(١) اعرف الحق تعرف أهله: السيد علي الميلاني نسخة الكترونية من موقعه

المؤمنين وكان له فضل عند الناس ووجدنا من تقدمنا أخذ به فأخذنا به، قال: فخذُ بقوله وإن خالف علياً وابن عباس!

وهذا وإن كان صحيحاً في الجملة إلا أننا مع التتبع في كتاب الموطأ لمالك، نجد أن هناك بعض الروايات قد نقلها مالك عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر عليه السلام. وهي تبلغ ١٤ رواية، خمس منها تنتهي إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام^(١)، أغلبها في مسائل الحج،

(١) موطأ مالك - رواية يحيى ١ / ٣٣٨ ت عبد الباقي وهي:
 ١ / مَالِكٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ «يَلْبِي فِي الْحَجِّ حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ قَطَعَ التَّلْبِيَةَ» قَالَ يَحْيَى: قَالَ مَالِكٌ: «وَذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ يَلِدُنَا» (الطريف أن الرواية عن الامام الصادق من طرق أهل الإمامية بنفس هذا النص هي هكذا:
 ٢ / المصدر السابق ١ / ٣٣٦: مَالِكٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الْمُقَدَّادَ بْنَ الْأَسْوَدِ دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِالسَّقِيَا وَهُوَ يَنْجَعُ بَكَرَاتٍ لَهُ دَقِيقًا وَخَبْطًا، فَقَالَ هَذَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ يَنْهَى عَنْ أَنْ يُقْرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَلَى يَدَيْهِ أَثَرُ الدَّقِيقِ وَالْخَبْطِ - فَمَا أَنْسَى أَثَرَ الدَّقِيقِ وَالْخَبْطِ عَلَى ذِرَاعِيهِ - حَتَّى دَخَلَ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ فَقَالَ: أَنْتَ تَنْهَى عَنْ أَنْ يُقْرَنَ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: ذَلِكَ رَأْيِي. فَخَرَجَ عَلِيُّ مُغْضَبًا وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْتَكَ اللَّهُمَّ لَيْتَكَ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ مَعًا» قَالَ مَالِكٌ: «الْأَمْرُ عِنْدَنَا أَنَّ مَنْ قَرَنَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَحْلِلْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَنْحَرَ هَدْيًا إِنْ كَانَ مَعَهُ، وَيَحِلُّ بِمَنْىَ يَوْمَ النَّحْرِ»

٣ / المصدر السابق ١ / ٣٨٥: مَالِكٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَقُولُ: «﴿مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾، شَاءَ»

٤ / المصدر السابق ٢ / ٥٥٦: مَالِكٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِذَا أَلَى الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ، لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ طَلَاقٌ، وَإِنْ مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرُ حَتَّى يُوقَفَ، فَإِمَّا أَنْ يُطَلَّقَ وَإِمَّا أَنْ يَفِيءَ» قَالَ مَالِكٌ:

وإحداها وهي التي تنص على قطع التلبية مع زوال الشمس يوم عرفة فيها قد نصت على أن علي (بن الحسين) كان يفعل ذلك بينما في رواية الموطأ أنه علي بن أبي طالب فعل ذلك وهو إضافة (ابن ابي طالب) كان من الناسخين بعد مالك أو هو اشتباه منه. ذلك أن الرواية بنصها من طريق الإمامية عن الإمام الصادق بنفس النص تصرح بأنه علي بن الحسين». «وكان علي بن الحسين عليهما يقطع التلبية اذا زاغت الشمس يوم عرفة»^(١).

والثانية والتي فيها رفض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، نهي عثمان عن القران بين العمرة والحج، وتأکید الإمام على عمرة متعة الحج والتحلل بينها وبين الحج نفسه، على خلاف ما ذهب له الخليفة عثمان، وفي نتيجة الرواية أن مالكا قال برأي لا يتفق مع ما نقله عن الإمام علي، وهو قوله (أي مالك): «الْأَمْرُ عِنْدَنَا أَنَّ مَنْ قَرَنَ الْحُجَّ وَالْعُمْرَةَ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَعْرِهِ شَيْئًا، وَلَمْ يَحْلِلْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَنْحَرَ هَدْيًا إِنْ كَانَ مَعَهُ، وَيَحْلِلَ بِمَنْى يَوْمَ النَّحْرِ». فإما أن يكون مقصوده في قوله: «الأمر عندنا أن من قرن الحج..» هو حج التمتع فيكون فيه مخالفا لما أمر به أمير المؤمنين عليه السلام فإن فيه التحلل بين العمرة والحج! وإما أن يقصد حج القران فبالإضافة إلى أنه خروج عن

«وَذَلِكَ الْأَمْرُ عِنْدَنَا»

٥ / المصدر السابق ١ / ٣٩٤: مَالِكٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحَرَ بَعْضُ هَدْيِهِ وَنَحَرَ غَيْرُهُ بَعْضُهُ»

(١) الكافي، ج ٤ / ٤٦٣

الموضوع لا يصح الاستدلال بها قاله الإمام عليه السلام .

والثالثة ترتبط بالإيلاء وهي هكذا: (١)

عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِذَا آلَى الرَّجُلُ مِنْ امْرَأَتِهِ، لَمْ يَقَعْ عَلَيْهِ طَلَاقٌ، وَإِنْ مَضَتْ الْأَرْبَعَةُ الْأَشْهُرُ حَتَّى يُوقَفَ، فَإِمَّا أَنْ يُطَلَّقَ وَإِمَّا أَنْ يَفِيءَ» قَالَ مَالِكٌ: «وَذَلِكَ الْأَمْرُ عِنْدَنَا».

ولا أعلم وجه الاستدلال فيها بقول أمير المؤمنين عليه السلام بعدما نص القرآن على ذلك بقوله تعالى ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾.

وهناك روايتان بسيطتان في الحج، في احدهما تفسير آية ما استيسر من الهدى، وفي أخرى بيان أن النبي نحر بعض هديه ونحر غيره البعض الآخر (٢).

◀ وقرب المذهب الحنفي أيضا:

وبالرغم من تضاد المذهبين: المالكي والحنفي في المناهج،

(١) موطأ مالك - رواية يحيى (٢/ ٥٥٦ ت عبد الباقي).

(٢) المصدر السابق ١/ ٣٩٤ مَالِكٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَقُولُ: «مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ»، شَأَةً» وكذلك: مَالِكٌ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَحَرَ بَعْضَ هَدْيِهِ وَنَحَرَ غَيْرَهُ بَعْضَهُ»

وأنها لا يجتمعان في الكثير من المسائل إلا أن هذا لم يكن مهمًّا عند المنصور العباسي، إذ المطلوب هو إبعاد مذهب أهل البيت وشخصياته، فسواء تم ذلك بمذهب واحد كالمالكي أو بإضافة الحنفي إليه أو غير ذلك فلا مشكلة!

ولذا فقد سعى المنصور في تقريب أبي حنيفة النعمان، بل والاستفادة من خبرته الفقهية و(رأيه) في إسقاط شخصية الإمام الصادق العلمية من نظر العلماء والعامّة، لكنه باء بالفشل^(١).

ونحن نجد مواقف المنصور تجاه أبي حنيفة أشبه بأسهم البورصة فهو يوماً يستعين به لتعجيز الإمام الصادق في رأيه! وهذا يعني أنه على علاقة به إلى مقدار أن يكون من علماء بلاطه! وأخرى يراه مؤيداً محمداً بن عبد الله النفس الزكية في ثورته على المنصور مما

(١) فقد سئل: «من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدّمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إن الناس قد فُتِنوا بجعفر بن محمد، فهَيِّءْ له مسائلك الشداد، فهيات له أربعين مسألة، ثم بعث إليّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه فأوماً إليّ فجلست، ثم التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. فقال: نعم أعرفه. ثم التفت إليّ فقال: ألق على أبي عبد الله من مسائلك، فجعلت ألقى عليه ويجيبني، فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً، حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أحل منها بشيء! ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا: أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس!» عن المناقب: ٣ / ٣٧٨، وتهذيب الكمال: ٥ / ٧٩، وسير الذهبي:

يجعل المنصور يسجنه^(١) كما قالوا! وثالثة تراه يطلب منه أن يكون القاضي الأكبر عنده ويتحدثون عن رفضه لذلك المنصب! وهكذا! بل إن المؤلفين من أتباع أبي حنيفة ينسبون للمنصور قتل أبي حنيفة في السجن بالسم!

هذه العلاقة المتذبذبة في رأينا لم تمنع المنصور من أن يجعل المذهب الحنفي مشاركا للمالك^(٢) في السيطرة على الساحة الإسلامية باعتبارهما مذهبي القضاء والتشريع (مذهب الدولة) ففيما اختص المنصور كثيرا بتأييد فقه مالك بن أنس سوف نجد أن المهدي بن المنصور - بوصية من أبيه كما قيل - وبعده ابنه هارون قد جعلوا المذهب الحنفي مذهب الدولة، واختص خلفاء تلك

(١) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١ / ١٨٤: «وكان الإمام أبو حنيفة يفتي سراً بوجوب نصره زيد بن علي بن الحسين وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المسمى بالخليفة! يعني هشام بن عبد الملك.. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد أجره لما فعلت!»

(٢) أشار لذلك المرحوم الشيخ اسد حيدر في كتابه الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١ / ٣٣٩: «وكان أبو حنيفة من جملة الفقهاء المتصرين لمحمد وإبراهيم كمالك بن أنس والأعمش ومسعر بن كدام وعبادة بن العوام وعمران بن داود القطان وشعبة بن الحجاج وغيرهم، وكان بعضهم حضر حربته وكانوا يعدون شهداء وقعته كشهداء بدر ويسمونهم بدر الصغرى، وقد رأينا المنصور يغض عن مؤاخذه أولئك الفقهاء لأنه بحاجة ماسة لبقائهم والمعاونة معهم، وبذلك يقصد إيجاد مجموعة منهم لتخفيف خطر انتشار ذكر جعفر بن محمد في الأقطار فقد كان هو الشجى المعترض في حلقة».

الفترة بكبار تلامذة أبي حنيفة فقد انضم أبو يوسف القاضي إليهم سنة ١٥٨ هـ، وبعده محمد بن الحسن الشيباني ثم الحسن بن زياد اللؤلؤي، وأناط القضاء والإفتاء بهم.

لم تمنع تلك العلاقة الملتبسة والمتذبذبة أن يقرب هذا تارة وذاك أخرى وثالثة لو حصل عليه كعمرو بن عبيد^(١) فالمهم عنده أن يكون مذهب أهل البيت عليهم السلام منزوياً! حتى ولو كان فيه أعلم الناس^(٢).

وقد وجد في هذه الأثناء جماعة من الفقهاء ممن ذكرنا وأمثالهم يجوبون أن يشيع مذهبهم وآراؤهم، فإن لم يتمكنوا من ذلك بالدليل والبرهان فليكن ذلك بالسوط والسلطان!^(٣)

◀ إرهاب الدولة.. فصل الخطاب!

قد يكون للحاكمين وسائل متعددة في إدارة الدولة، ولكن كل واحد منهم له سياسة تعتبر عمود الخيمة والرصيد الذي يلجأ

(١) تاريخ الإسلام، الذهبي ٣ / ٩٤٤، الذهبي: قَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ يُعَظِّمُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ وَيُثْنِي عَلَيْهِ.

(٢) وهو تعبير أبي حنيفة عن الإمام الصادق بمحضر المنصور.

(٣) يقول ابن حزم الظاهري: مذهبنا انتشرا - في بدء أمرهما - بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف، كانت القضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية. فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه.. ومذهب مالك... والناس سُرَّاعٌ إلى الدنيا. فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به. انظر رسائل ابن حزم ٢ / ٢٢٩.

أقول نحن نعتقد ليس الأمر في بدء أمرهما وإنما كان على طول الخط!

إليه دائماً، ويعرف به عادة!

إذا كان هذا تاماً فنحن نرى أمرين مميّزا حكم المنصور العباسي؛
الغدر والقسوة! وكانا السلاح الذي يتكئ عليه دائماً!

ففي الأول رأينا أنه تخلص غدرًا من كل من كان يشك فيه أو
يحتمل معارضة منه حتى لو كان أقرب المقربين إليه!

فأشهر من غدر بهم وتخلص منهم مؤسس دولتهم أبو مسلم
الخراساني، فإنه بعدما لمس شعبية أبي مسلم في خراسان وقد ذهب
المنصور أول خلافة أخيه السفاح إليها، لأخذ البيعة للسفاح خليفة
وله ولياً للعهد، رأى أنه لا بد أن يتخلص من أبي مسلم، وهذا ما
حصل بعدما آلت الخلافة له، أراد أن يعزل أبا مسلم عن موضع
قوته فولّاه على الشام، لكن أبا مسلم علم بذلك فلم يقبل، وحينها
أرسل له لياًتي إلى بغداد وكتب له من الأمان ما لا مجال لمسلم في
نقضه! ووثق هذا بأمان المنصور ولم يعرف أن الغدر يجري فيه
مجرى الدم، وما لبث أن وصل إلى بغداد حتى قتله في قصره في
اليوم التالي لوصوله^(١).

ولم يكن مصير يزيد بن عمر بن هبيرة - القائد الأموي -
الذي كان يقاوم جيش العباسيين أول الأمر حتى إذا أراد أن يحمي
نفسه، أخذ لنفسه أماناً من المنصور، وأعطاه المنصور كعادته في

(١) كتب الكثير عن تفاصيل هذا الغدر والاعتقال في الكثير من الكتب فكل من
كتب عن فترة حكم المنصور كتب عنه.

إعطاء الأمان ثم غدر به وقتله كعادته أيضا في الغدر والقتل.

والحال نفسه تكرر مع عمه عبد الله بن علي بن العباس فإنه بعد أن حارب بقايا جيوش الأمويين وانتصر عليهم، وكان سيف العباسيين على مخالفيهم، ادعى أنه بعد السفاح أولى بالخلافة من المنصور (وهو عمهما) فوجه له المنصور أبا مسلم الخراساني لقتاله ولسان حاله يقول: لا أبالي أيهما قتل صاحبه! ولما لم يتمكن هذا منه خدعه بأمان مؤكداً^(١) وظن هذا أن الكلمات المشددة تستطيع أن تمنع المنصور من الغدر! لكنه ما لبث أن أمر عيسى بن موسى بقتله! وليأمر بعد ذلك عيسى بن موسى هذا بالتنازل عن ولاية العهد للمهدي بن المنصور.. وإلا.

والطريف أن الثائر الحسيني محمد بن عبد الله (النفس الزكية) عندما أعلن ثورته، أرسل إليه المنصور أماناً! ولعمري فقد كان سخياً في إعطاء كتب الأمان الغادرة بقدر بخله في عطاء المال!! ولكن محمداً بن عبد الله الحسيني كان أذكى منه ففضحه قائلاً: «فأي الأمانات تعطيني! أمان ابن هبيرة، أم أمان عمك عبد الله بن علي، أم أمان أبي مسلم!»^(٢).

(١) في كتاب الأوائل للعسكري ص ٣٧٨: «ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله، أو أبطن غير ما أظهر أو تأول في شيء من شروط هذا الأمان فنساؤه طوالق، ودوابه حبس، وعبيده وإماؤه أحرار، والمسلمون في حل من بيعته...». والطريف أن المنصور لم يكتف بقتل عمه الذي كتب له هذا الأمان المعنن المظنن، بل أمر بقتل من كتب هذه العبارات لعمه!

(٢) تاريخ الطبري ٧ / ٥٦٨

هذه الطريقة السخية من إعطاء الأمان لكل من طلبه ثم الغدر به بنفس السخاء، والفتك به. كانت هي الصبغة العامة عليه، ولذلك لا يستبعد بعض الباحثين من أن يكون المنصور هو الذي سمم أخاه غير الشقيق أبي العباس السفاح الذي يصغره بعشرة أعوام وقد أوصى إليه أبوهما بالأمر ومن بعده للمنصور.. لا يستبعده بعضهم نظرا إلى أن الغدر عنده طبيعة مستحكمة والقتل عنده عادة سهلة ويشيرون إلى أن موت السفاح وهو في عز الشباب (٣٢ سنة) ولم يحكم سوى أربع سنوات مثير للشك بشكل كبير!

هذا عن الغدر، وأما عن القتل والإسراف فيكفي في ذلك ما نقله الطبري عن وصيته العملية لخليفته المهدي وكيف ينبغي أن يسوس الناس؛ «لما عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي - وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر - فأوصاها بما أراد، وعهد إليها، ودفع إليها مفاتيح الخزان، وتقدم إليها واحلفها، ووكد الايمان الا تفتح بعض تلك الخزان، ولا تطلع عليها أحدا إلا المهدي، ولا هي، إلا أن يصح عندها موته، فإذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معها ثالث، حتى يفتح الخزانة فلما قدم المهدي من الري إلى مدينة السلام، دفعت إليه المفاتيح، وأخبرته عن المنصور أنه تقدم إليها فيه ألا يفتحه ولا يطلع عليه أحدا حتى يصح عندها موته فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولي الخلافة، فتح الباب

ومعه ريطة، فإذا أزعج كبير^(١) فيه جماعة من قتلاء الطالبين، وفي أذانهم رقاع فيها أنسابهم، وإذا فيهم أطفال ورجال شباب ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى، وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل عليهم دُكَّان^(٢).

وهذا غير ما صنعه بني الحسن وأحفاده من سجنهم أولاً في سجن تحت الأرض ثم هدم السجن عليهم!^(٣) وختم سيئاته بأعظمها وهي اغتيال الإمام جعفر الصادق، بل وتقدم إلى واليه على المدينة بأن ينظر لمن أوصى جعفر الصادق ومن هو وصيه (الإمام بعده) ليقتله!

ولو أردنا أن نمد في هذا الباب لخرجت روائح الدم والسم والجراح من بين صفحات الكتاب!

ما تقدم - وهو غيظ من فيض وقطرة من بحر - يشير بوضوح إلى أن العصر الذي عاش فيه الإمام جعفر الصادق عليه السلام في زمن خلافة المنصور العباسي كان أصعب العصور!

باختصار فإن المنصور العباسي «نفي» العترة من الدولة التي يقودها، بعد أن «شوه» صورة زعيمها أمير المؤمنين عليه السلام وابنيه الحسين، و«حجب» حقها بالكامل في الخلافة حتى النزر اليسير

(١) قال في لسان العرب: الأزعج بيت يبنى طولاً.

(٢) تاريخ الطبري ٨ / ١٠٤

(٣) لتفصيل ذلك يراجع كتاب مقاتل الطالبين.

الذي حصل عليه الإمام علي من الحكم الظاهري رأى أنه لم يكن يستحقه! حيث زعم أن الناس أعرضوا عنه!

ثم ألغى الاعتماد على فقه باب مدينة العلم النبوي، وأمر أن لا يستشهد بشيء من أحاديثه، وإنما يجب أن ينظر إلى فقه مالك تارة وإلى أبي حنيفة أخرى بحسب بورصة المواقف! بل جعل نفسه أعلم الموجودين هو ومالك!^(١) وجعل ابنه زورًا وبهتانًا المهدي^(٢) الذي وعده به رسول الله ﷺ!

وكان ذلك العصر الصعب يحتاج إلى إمام حكيم بمستوى

-
- (١) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون ١ / ٢٤: قال المنصور للمالك: «إنه لم يبق على وجه الأرض أعلم مني ومنك وإني قد شغلتنى الخلافة فضع أنت للناس كتابا ينتفعون به تجنب فيه رخص ابن عباس وشدايد ابن عمر ووطئه للناس توطئة قال مالك فوالله لقد علمني التصنيف يومئذ»
- (٢) التذكرة الحمدونية ٣ / ٥٧: تحت عنوان نماذج من الكذابين: «لما أراد المنصور البيعة لابنه المهدي أمر بإحضار الناس، وقامت الخطباء فتكلمت، وقالت الشعراء فأكثر في وصف المهدي وفضائله، وفيهم مطيع بن إياس، فلما فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشعراء قال للمنصور: يا أمير المؤمنين حدّثنا فلان بن فلان أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ قَالَ: المهديّ منّا محمد بن عبد الله، وأمّه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وهذا العباس بن محمد أخوك يشهد على ذلك. ثم أقبل على العباس فقال: أنشدك الله أسمعت هذا؟ فخاف من المنصور فقال: نعم، فأمر المنصور الناس بالبيعة للمهديّ. قال: ولما انقضى المجلس قال العباس بن محمد لمن يأنس به: رأيتم هذا الزنديق، لم يرض أن كذب على الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ حتى استشهدني على كذبه، فشهدت له خوفاً وشهد كلّ من حضر عليّ بأنّي كاذب»

الإمام الصادق عليه السلام، الذي استطاع أن يتعامل مع غدر المنصور وخبثه وتعطشه للدماء ونصبه العداة لأهل البيت عليهم السلام، بكفاءة ينعدم نظيرها.

ولو أردنا أن نقارن بين البيتين العلويين؛ الحسيني والحسيني في إدارة الصراع مع المنصور في نفس تلك الفترة لرأينا الفارق عظيمًا! فإن المنصور استفز البيت الحسيني واستدرج رموزه إلى خوض صراع فرضه هو عليهم، فما مرت سنوات إلا وقد استأصل ذلك الوجود الحسيني وذهبوا بين شهيد وسجين دفن في باطن سجنه وهكذا، ولعل نظرة إلى كتاب مقاتل الطالبين تريك هذه الحقيقة بأجلى صورة.

نعم استطاع الإمام عليه السلام أن يحل كل عقدة عقدها المنصور، وأن يفسد عليه كل فخر نصبه للإيقاع به، وهو في ذلك مستمر في تبليغ رسالة الدين بذكاء وقدرة استثنائية!

ولذلك نحن نرى عدم دقة ما يقال على الألسنة من أن الإمام جعفرًا الصادق عليه السلام تهيأت له فرصة ممتازة ما بين انهيار الدولة الأموية وبدايات الدولة العباسية وأن خلفاء هذه الثانية انشغلوا عن الإمام فتمكن من العمل العلمي الجبار في نشر الأحكام والعقائد والمعارف الدينية إلى الحد الذي عرف مذهب أهل البيت بالمذهب الجعفري، وأنه لم يبق عالم في زمانه إلا وأخذ عنه قليلا أو كثيرا كما سيأتي في الحديث عن هذا الجانب. بل نعتقد أن عصر

الإمام الصادق عليه السلام في أول أيام الدولة العباسية كان من أصعب الأزمنة التي مرت عليه، ولا سيما أيام المنصور العباسي كما تقدم بعض الإشارة له في فصل سابق.

هل أخذ أئمة المذاهب عن الإمام الصادق؟

في خطين متعاكسين تمامًا أجهد باحثون من المذهبيين الأساسيين؛ مذهب مدرسة الخلفاء ومذهب أهل البيت عليهم السلام، أنفسهم في النفي والإثبات. وفي المذهب الأول كان فيه المتطرفون الذين ينفون بشكل جازم حصول ذلك، وفيه المتوسطون الذين يثبتونه في الجملة، ويشتركون في هذا مع الإمامية في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وكلُّ فريق في هؤلاء يستهدف غاية؛ فالمتطرفون من مدرسة الخلفاء يريدون نفي أي ميزة لأئمة أهل البيت عليهم السلام على فقهاء المذاهب الأخرى، والإقرار بتلمذ أولئك الفقهاء على الأئمة المعصومين يشير لأعلمية هؤلاء في الشريعة والمعارف الدينية وهذا ما لا يريده أولئك المتطرفون. فهم - عادة - في صدد إثبات أن فقهاءهم وخلفاءهم هم الأفضل والأعلى، وبهذا وأمثاله يصححون شرعية خلافتهم في الحكم وإمامتهم في الفقه، فكيف ينقضون هذا بالاعتراف بفضل أئمة (الشيعة) المعصومين؟

في حين يستهدف المعتدلون من أتباع مدرسة الخلفاء إثبات أن الأمور كانت بين أهل البيت عليهم السلام وفقهاء المذاهب الأخرى - بل الخلفاء - كان على خير ما يرام ويطلب! فكانوا يتزوجون منهم ويزوجونهم، ويتعلمون منهم ويعلمونهم وهكذا، نافرين بذلك أي نوع من الاختلاف العلمي أو العقدي بينهم.. وإثبات هذه الفكرة لا يتحقق إلا بذكر أن بعض أئمة المذاهب في مدرسة الخلفاء قد درسوا على أهل البيت وأخذوا عنهم! وربما أشاروا أحيانا إلى أخذ أهل البيت عن فقهاء المذاهب، ولهذا يخلط بالأئمة المعصومين باقي أهل البيت من نسل الحسن أو الحسين ويقول هؤلاء درسوا على يد فلان وفلان.

وأما الباحثون من الإمامية؛ فإثبات ذلك ينفعهم في الاحتجاج في أكثر من جهة؛ فإنه يركز ما يعتقدونه في الأئمة من أنه لا يوجد أعلم منهم، وشاهد ذلك أن أكابر الفقهاء قد أخذوا عنهم. وما داموا الأعلم بالتشريع فهم الأولى بأن يتبعوا. وأنه مع وجود الأصل والمعلم فلا يصح من الناحية العقلية إتباع الفرع والتلميذ.

ومن الفريق الأول المتطرف نجد الاتجاه السلفي، والمتأثر من حيث الواقع بالصراع القائم بين التشيع ومخالفه، ومن حيث العقيدة والمنهج بأفكار الشيخ أحمد بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ)، وهذا الاتجاه - وإن كان في بعض الأحيان يتقي في التعبير العلني عن كلماته إلا أنه يجعل كلام ابن تيمية الأساس الذي ينطلق منه،

فانظر إلى ما قاله في منهاج السنة واختصره الذهبي فهو وإن كان في صدد الرد على أخذ الفقهاء من الإمام علي عليه السلام إلا أنه يشكل منهجاً عاماً في رؤيتهم لسائر الأئمة بطريق أولى:

«قال (يقصد العلامة في منهاج الكرامة): والفقهاء كلهم يرجعون إليه. قلنا: هذا كذب فليس في الأئمة الأربعة ولا غيرهم من يرجع إلى فقهه؛ أما مالك فعلمه عن أهل المدينة وأهل المدينة لا يكادون يأخذون بقول عليّ بل مادتهم من عمر وزيد وابن عمر وغيرهم.

وأما الشافعي فإنه تفقه أولاً على المكيين أصحاب ابن جريج وابن جريج أخذ عن أصحاب ابن عباس ثم قدم الشافعي المدينة وأخذ عن مالك ثم كتب كتب أهل العراق واختار لنفسه وأما أبو حنيفة فشيخه الذي اختص به حماد بن أبي سليمان صاحب إبراهيم النخعي وإبراهيم صاحب علقمة وعلقمة صاحب ابن مسعود وأخذ أبو حنيفة عن عطاء بمكة وعن غيره.

وأما أحمد بن حنبل فكان على مذهب أئمة الحديث أخذ عن هشيم وابن عيينة ووكيع والشافعي وغيرهم واختار لنفسه وكذا فعل ابن راهويه وأبو عبيد..

وقولك: إن المالكية أخذوا علمهم من عليّ وأولاده فكذب! هذا الموطأ ليس فيه عن عليّ وأولاده إلا اليسير وكذلك الكتب

والسنن والمسانيد جمهور ما فيها عن غير أهل البيت^(١) وقولك إن أبا حنيفة قرأ على الصادق كذبٌ فإنه من أقرانه مات جعفر قبله بستين ولكن ولد أبو حنيفة مع جعفر بن محمد في عام ولا نعرف أنه أخذ عن جعفر ولا عن أبيه مسألة واحدة بل أخذ عن كان أسن منها كعطاء بن أبي رباح وشيخه الأصلي حماد بن أبي سليمان.

وجعفر بن محمد كان بالمدينة وقولك إن الشافعي أخذ عن محمد بن الحسن فما جاءه الشافعي إلا وقد صار إماماً فجالسه وعرف طريقته وناظره وألف في الرد عليه، وفي الجملة فهؤلاء لم يأخذوا عن جعفر مسائل ولا أصولاً ولكن رووا عنه أحاديث سيرة رووا عن غيره أضعافها..^(٢).

فأنت ترى عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، استماتته في نفي أي نوع من التعلم كان من جهة فقهاء مدرسة الخلفاء، وأي درجة من التعليم كان من جهة أهل البيت عليهم السلام. وبالإضافة إلى ما ذكرناه من هدف هذه الفئة من النفي نلاحظ أن هذا الكلام جاء في سياق الجدل المذهبي الحاد من طرف ابن تيمية، حيث أن أصل الكتاب هو رد على كتاب العلامة الحلي: منهاج الكرامة في معرفة الإمامة.

(١) هنا يقول هكذا وهو صحيح في الجملة، لكنهم سيتورطون عند الحديث عن حديث الثقلين، وسيضربون يمينا وشمالا للتوفيق بين هذا الكلام وبين لزوم التمسك بعتره النبي وأهل بيته كما هو مفاد حديث الثقلين.. للتفصيل يراجع سلسلتنا: عتره النبي.

(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ٥٠٠.

وفي مقابل هذا النفي الجازم والذي لا ينطلق من ملاحظة تاريخية سليمة، وإنما من خلال حالة عقدية متزمتة، ذكر علماء الإمامية وشاركهم في ذلك - كلاً أو بعضاً - بعض علماء مدرسة الخلفاء من المعتدلين، وجود تواصل علمي بين الأئمة والفقهاء، لكن هناك فرقا في الهدف والتوظيف كما ذكرنا في السطور السابقة، وفي الدرجة بمعنى أي مقدار، وفي الاتجاه فبينما رأى الإمامية أن الأئمة المعصومين عليهم السلام لما كانوا أعلم الخلق بالإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا يمكن أن يأخذوا من غيرهم لعدم وجود شيء لا يعلمونه وهو موجود لدى الآخرين، فكان التواصل هو في جهة تعليم الأئمة لأولئك، بل هذا حاصل حتى بالنسبة لأصحاب النبي فضلا عن التابعين والفقهاء!

بينما كان هدف الفئة المعتدلة في مدرسة الصحابة كما ذكرنا إثبات أن الطرفين كانا في درجة من الانسجام فهذا يأخذ عن ذلك وذلك يأخذ عن هذا^(١). وقد جمع المرحوم العلامة الشيخ أسد حيدر في كتابه النافع بتتبع جيد عددًا من الأخبار من مصادر مختلفة تثبت هذا الأمر في الجملة، وكان مما ذكره ونسبه إلى مصادره قوله:

(١) كما ذكر النووي في تهذيب الأسماء واللغات، ص ١٢٤ أن حميدًا بن قيس الأسدي روى عنه: جعفر الصادق! وكذلك في ص ٢٦٨ عند الحديث عن عمرو بن دينار التابعي قال روى عنه جعفر الصادق..

أقول: قد سبق الكلام في المتن أننا نعتقد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يكونوا يحتاجون إلى علم أحد سوى آبائهم وجدهم رسول الله صلى الله عليه وآله.

«ونقل عنه (عن الإمام الصادق) الحديث واستفاد منه العلم جماعةً من الأئمة وأعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريح، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأيوب السجستاني، وغيرهم، وعدّوا أخذهم منه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها»^(١).

وفي خصوص أبي حنيفة فقد ذكر أسماء عشرة من شيوخه وأساتذته ممن أخذ وروى عنهم من الشيعة، وأعقب ذلك بالقول «وعلى أي حال فإن أبا حنيفة أخذ عن رجال الشيعة كما أخذ عن أئمتهم عليهم السلام ونفي ذلك تكذبه أحداث حياة أبي حنيفة وأفكاره»^(٢).

وفي تفصيل ما أورده العلامة أسد حيدر مختصراً، قال آية الله المظفر^(٣): «أما أبو حنيفة ف» أخذه عن الصادق عليه السلام معروف، وممن ذكر ذلك الشبلنجي في نور الأبصار، وابن حجر في الصواعق، والشيخ سليمان في الينابيع، وابن الصبّاغ في الفصول، إلى غير هؤلاء، وقال الآلوسي في مختصر التحفة الاثني عشرية (ص ٨): وهذا أبو حنيفة وهو بين أهل السنّة كان يفتخر ويقول بأفصح لسان: «لولا الستتان لهلك النعمان».

ومنهم مالك بن أنس وأخذه عن أبي عبد الله عليه السلام معلوم

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، اسد حيدر ١ / ٤٢ عن كمال الدين محمد

بن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ٢ / ٥٥

(٢) نفس المصدر ١ / ٣٤٢

(٣) الإمام الصادق عليه السلام الشيخ محمد حسن المظفر ٢ / ١٣٣ إلى ١٣٦

مشهور، وممن أشار إلى ذلك النووي في التهذيب، والشبلنجي في نور الأبصار، والسبط في التذكرة، والشافعي في المطالب، وابن حجر في الصواعق، والشيخ سليمان في الينابيع، وأبو نعيم في الحلية، وابن الصبّاغ في الفصول، إلى ما سوى هؤلاء.

ومنهم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح المكي وذكرت المصادر السابقة أخذه عن الصادق عليه السلام، كما ذكرته رجال الشيعة.

ومنهم السفينان؛ الثوري، وابن عيينة.. جاء أخذ الأول عن الصادق عليه السلام في التهذيب^(١)، ونور الأبصار، والتذكرة، والمطالب، والصواعق، والينابيع، والحلية، والفصول المهمة، وغيرها، وذكره الرجاليون من الشيعة في رجاله عليه السلام. ويحيى بن سعيد القطان البصري، ومحمد بن إسحاق بن يسار صاحب المغازي والسير، وغيرهم.

ولنا هنا بعض الملاحظات:

الأولى: أننا معشر الإمامية لا نعتقد أن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يضره أن لم يأخذ عنه سائر العلماء ولا أنه سينفعه أخذهم عنه! فإن أخذوا عنه فبحظهم أخذوا وبمقدار ذلك اهتموا، وإن تركوا فإنما ضيعوا وصية رسول الله في الأخذ عن العترة الطاهرة. فلا أخذهم عنه يزيد شرفاً ولا امتناعهم عن ذلك يضره. بل لم يضره أن ضيعت علمه - وعلم آباءه - الحكومات والخلفاء

(١) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ص ١١٠

فلم يتغير عليه شيء، بخلاف غيره من الفقهاء الذين يرفع حظهم ومذهبهم مرسومٌ سلطاني ويضعه ويكسر مذهبه منعٌ رسمي!

هذا بالنسبة للإمام الصادق عليه السلام فما ظنك بجده أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يقول «لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة». فلا أرى معنى واضحًا للتهالك على إثبات قراءة فلان عليه أو أخذ فلتان منه! نعم هو لبعض من يجهل مقام الإمام عليه السلام من عامة أتباع مدرسة الخلفاء قد يكون نافعًا!

الثانية: إن الفئة المتطرفة لو انسلخت عن أفكارها العقدية ونظرت إلى هذه المسألة ضمن إطارها الطبيعي وهو الاطار التاريخي لوصلت إلى ما وصل إليه غيرها من حصول هذا التأثير والتأثير العلمي، ولتركت النفي الجازم البعيد عن التحقيق التاريخي للمسألة، حيث ذكر ذلك متقدمون على ابن تيمية وهو رأس الحربة في الإنكار (ت ٧٢٨ هـ) بنحو قرن من الزمان كما هو الحال في محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢ هـ) ومثله النووي (ت ٦٧٦ هـ) في تهذيب الأسماء، ومعاصرون له ومتأخرون عنه. ولو أنه أراد الحقيقة ونظر في الكتب المذكورة لوجد أن ما أنكره هو مسطور في هذه الكتب ومثبت!

وعدا عن المسألة التاريخية فإن طبيعة الموضوع العلمي أنه سيال، ولذلك من الطبيعي أن يصل إلى المتعاصرين آراء بعضهم فيقبل بعض هؤلاء بعض تلك الأفكار ويردون البعض الآخر! لا

سيما إذا كانوا في محيط اجتماعي واحد، كما كان حاصلًا لمعاصري الإمام جعفر الصادق في المدينة المنورة!

وكان بعضهم يقر في داخل نفسه بأن الإمام الصادق أوتي علمًا لم يصلوا إليه!

الثالثة: إننا نعتقد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتى وهم يرون أن أولئك الفقهاء يخالفون المنهج السليم، فيرتبطون بالحكام ويكونون في خدمتهم، ويخالفون الاتجاه الصحيح في العلم فيسلكون في مناهج غير صحيحة مثل (القياس والرأي) أو (تأليه الحديث والأثر)، إلا أن المعصومين لم يكونوا ليخلوا على هؤلاء بعلمهم ولم يعاقبوهم بالحرمان! وإنما كانوا يحاولون قدر الإمكان تقويم مسيرتهم^(١)، وتقليل أخطاء أحكامهم، لا سيما وأن بعض هؤلاء كانوا هم القضاة والمفتين الرسميين، وهذا نلاحظه في مناظرات الإمام الصادق عليه السلام مع أولئك الفقهاء^(٢)، بل حتى في مناقشات أصحابه معهم. وقد نعرض ولو بنحو الإشارة لبعض تلك المناظرات.

الرابعة: أن فقهاء مدرسة الخلفاء كانوا يعترفون للأئمة المعصومين عليهم السلام بالتميز العلمي والأخلاقي، وإن لم يعترفوا لهم

(١) فانظر لرسالة الإمام السجاد للزهرى.

(٢) شاهد ذلك كثرة مناظرات الإمام مع أبي حنيفة حول القياس فإن النقاش في المنهج أهم من النقاش في النتائج والتفاصيل.

بالإمامة بالمعنى الذي يعتقدده الشيعة، ولكنهم لا يخفون إكبارهم وإعجابهم بهم، وإقرارهم بها لدى الأئمة. ومع أن فقهاء مدرسة الخلفاء يعلمون بالموقف السلبي للحاكمين والخلفاء تجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام وهذا قد يمنعه من إبداء إعجابهم بالأئمة لكيلا يتعرضوا للأذى على أثر ذلك، مع هذا فقد رشح من كلامهم شيء غير قليل يفيد في هذا الأمر.

وها نحن نشير إلى بعض ما رشح عن أولئك الفقهاء مع ملاحظتنا أن تأييد الإمام الصادق عليه السلام والثناء عليه في ذلك الوقت ربما كان يحسب على أنه مخالفة للخليفة وتأييد لمخالفه!! بالإضافة إلى أن ذلك يعني توجيه السؤال لهم: إذا كنتم تعتقدون في الإمام جعفر هذا.. فلماذا تنشؤون مذهبا بموازاته؟

وهذه الكلمات تشهر في وجه المتطرفين السائرين على نهج ابن تيمية الذي كرر كلمة؛ «إن هذا كذب» بين كل سطر وآخر! فانظر إلى ما نقله عبد القادر بن محمد الحنفي (ت ٧٧٥ هـ) في كتابه^(١) عن الحسن بن زياد (اللولؤي) عنه (أبي حنيفة) قَالَ مَا رَأَيْتُ أَفْقَهَ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ دَعَانِي الْمُنْصُورَ يَوْمًا وَقَالَ النَّاسُ قَدْ أَفْتَنُوا بِهِ فَهَيْئَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الشَّدَادَ فَهَيَّأْتُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَسْأَلَةً ثُمَّ دَعَاهُ وَقَالَ أَلْقِ عَلَيَّ مِنْ مَسَائِلِكَ فَأَلْقَيْتَ عَلَيْهِ وَاحِدًا وَوَاحِدًا فَجَعَلَ يَقُولُ كَذَا قَالَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فِيهِ وَأَنْتُمْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا وَأَنَا أَقُولُ فِيهِ كَذَا فَرَبَّمَا

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد الحنفي ٤٨٦/١

تابعنا ورُبما تابع أهل المدينة ورُبما خالف الكل فلَمَّا فرغ قَالَ ألسنا روينَا أن أعلم النَّاسَ أعلمهم بِهذه الاختلافات»^(١).

وقال الصفدي (ت ٧٦٤هـ) في «الوافي بالوفيات» (١١/ ٩٩): «قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ مَا رَأَيْتُ أَفْقَهَ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَكَانَ يَقُولُ سَلُونِي قَبْلَ تَفْقُدُونِي فَإِنَّهُ لَا يُحَدِّثُكُمْ بَعْدِي بِمِثْلِ حَدِيثِي».

وأما ما ينقل عن مالك بن أنس - مع ملاحظتنا على موقفه من العترة -^(٢) فقد ذكر أنه اختلف زمانا إلى الإمام عليّ السلام وهذا التعبير يشير إلى التكرار والكثرة، وبطبيعة الحال لا يختلف إلى الإمام ليعطيه المال، وإنما ليتعرف منه على العلم، خصوصا مع وجود قرينة على ذلك وهي قوله إنه لم يكن يحدث عن رسول الله إلا وهو على طهارة! فقد أثبت في هذا أمرين؛ حديث الإمام عن رسول الله وأن ذلك كان وهو على طهارة.. فأين من هذا كلام إمام المتطرفين في منهاج السنة والذي قال إنه لم يسمع من الصادق ولم يأخذ عنه.. ولم ولم؟

(١) وهذه الحادثة والكلمة الأخيرة قد نقلها جمع غفير من العلماء والمؤرخين؛ فانظر.... و«الكامل في ضعفاء الرجال» (٢/ ٣٥٨): يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني (ت ٧٤٢هـ) «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٥/ ٧٩): محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي (ت ٧٤٤ «طبقات علماء الحديث» (١/ ٢٥٩)

ويلاحظ القارئ العزيز أن زمان هؤلاء المثبتين لتفوق الإمام هو نفس زمان ابن تيمية المتفوق في النفي والتكذيب!
(٢) تم بحثه في سلسلة تاريخ المذاهب في الإسلام.

فانظر لما نقله ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) أي قبل زمان إمام المتطرفين بأكثر من قرنين ونصف، في كتابه بقوله: «وقد ذكر مصعب الزُّبَيْرِي عن مالك - رحمه الله تعالى - قال اختلفت إلى جعفر بن محمد الصادق زماناً، وما كنت أراه إلا على إحدى ثلاث خصال: إما مصل، وإما صائم، وإما يقرأ القرآن، وما رأيته يحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا على طهارة..»^(١)

وغيرهم كثير..

بل نجد شيئاً من الإقرار - مع ملاحظة الظروف المذكورة - عند فقهاء المدرسة الأخرى تجاه تلامذة الأئمة عليهم السلام بأنهم أكثر اطلاعا على حديث رسول الله وفهها للشيعة بحسب أخذهم عن الأئمة ولا سيما الإمام الصادق عليه السلام وسيأتي ذكر ذلك إن شاء الله.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابو عمر بن عبد البر النمري القرطبي، ت/ بشار عواد ٢/٦٩

عن مناظرات الإمام الصادق وأصحابه

قد لا يتيسر لنا في هذه الصفحات أن نتعرض إلى كل مناظرات الإمام الصادق^(١) عليه السلام، فضلا عن مناظرات أصحابه لكيلا يخرج الكتاب عن الحجم المفترض له، ولكننا نشير إلى بعض النقاط التي تتصل بها. مع ملاحظة أنها كانت كثيرة ومتنوعة «بمختلف العلوم وشتى المواضيع، فقد ناظر عليه السلام علماء الأديان الأخرى حول الإسلام ونبيه، بأسلوب الإقناع والحجة الدامغة.

وكذلك ناظر المرتابين وأهل الزيغ والضلال والملحدين والزنادقة، بمناظرات عديدة يدعوهم فيها إلى سبيل الله وتوحيده، ونبذ الخضوع لغير الله، وعدم الشرك به، ليخرجهم بذلك من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط مستقيم، والاستقامة عليه، بأسلوب قوي نافذ للعقول والقلوب معا، مراعيًا في ذلك قابلية المخاطب واستعداداه.

(١) مناظرات الإمام الصادق، حسين الشاكري

وله مناظرات كثيرة مع رؤساء الفرق الإسلامية، من معتزلة ومجسمة، وقدرية وجبرية، ومفوضة، وغيرهم. وهو يحاول بذلك نبذ الآراء المختلفة، وترك الهوى والانقسام في الدين، والتفرق فيه، فكان له عليه السلام من الحجج البوالغ ما رفع به العذر، وأزال الريب»^(١)

١ / فقد تناولت بعض مباحث التوحيد وإثبات وجود الله وصفاته، والغالب في هذه أنها كانت مع (الزنادقة) والمشككين، وحيث أن معالجة جهاز الخلافة للمسائل العقائدية كانت في الغالب بالقمع والسيوف، كما حصل للجعد بن درهم وغيره أيام الأمويين بل في زمان العباسيين تشكلت دائرة بهذا الاسم وكانت لا تعرف سوى القتل! ومن الطبيعي أن سؤال المشكك لا يموت بقتل صاحبه، وإنما يموت ببيان الجواب الحق! ولذلك شهدنا عددا من المناظرات مع هؤلاء.

- فمنها ما سأله أحد الزنادقة وقد قدم من مصر للمدينة لمناظرة الإمام فقبل له خرج إلى مكة فأتى إليه مكة؛ وفي هذا دلالة خاصة! عن أصل الخالق ووجوده وكان منكرا لذلك! فقال له الإمام - ضمن حوار - : «أتعلم أن للأرض تحتا وفوقا؟! قال: نعم، قال: فدخلت تحتها؟! قال: لا! قال: فما يدريك بما تحتها؟ قال: لا أدري إلا أني أظن أن ليس تحتها شيء! قال أبو عبد الله عليه السلام: فالظن عجز ما لم تستيقن، قال أبو عبد الله عليه السلام: فصعدت السماء؟ قال:

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، اسد حيدر، ٢ / ١١١

لا! قال: فتدري ما فيها؟ قال: لا! قال: فأتيت المشرق والمغرب فنظرت ما خلفهما؟ قال: لا!، قال: فعجباً لك، لم تبلغ المشرق ولم تبلغ المغرب ولم تنزل تحت الأرض ولم تصعد السماء ولم تجرب هنالك فتعرف ما خلفهن وأنت جاحد ما فيهن، وهل يجحد العاقل ما لا يعرف؟ فقال الزنديق: ما كلمني بهذا أحد غيرك!^(١)

- ومنها في نفس الاتجاه ما رواه هشام بن الحكم مما اعترض به أحد الزنادقة على الإمام في وحدانية الله وأنه لم لا يكون في الكون أكثر من خالق؟ فأجابه الإمام: لا يخلو قولك: إنها اثنان، من أن يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا والآخر ضعيفاً، فإن كانا قويين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه ويتفرد بالتدبير، وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول، للعجز الظاهر في الثاني، وإن قلت: إنها اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً واختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير وائتلاف الأمر على أن المدبر واحد ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما، قديماً معها، فيلزمك ثلاثة، فإن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكون خمسا، ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية في الكثرة»^(٢).

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٢٩٤

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٢٤٣

٢/ كذلك كان له عليه السلام مناظرات مع النصارى واليهود في
 أفضلية النبي محمد ﷺ على سائر الأنبياء، وخصوصاً على موسى
 وعيسى حيث أن اليهود كانوا يشيعون تساوي الأنبياء في الفضيلة
 لكونهم أصحاب كتب سماوية، بل وجدناهم في العصر الحديث
 يشيعون أفضلية موسى وأن النبي أخذ منه وتعلم من شريعته!
 فكان مما أجاب به الإمام الصادق أولئك أن قال: «محمد ﷺ أفضل
 منهما عليهما وأعلم، ولقد أعطاه الله تبارك وتعالى من العلم ما لم يعط
 غيره، فقالوا: آية من كتاب الله نزلت في هذا؟ قال عليه السلام: نعم، قوله
 تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) وقوله تعالى لعيسى:
 ﴿لِأَيُّبِنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾^(٢) وقوله تعالى للنبي
 المصطفى ﷺ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ
 تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولًا رَّبِّهِمْ
 وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾^(٤) فهو والله أعلم منهم!^(٥).

٣/ وحيث كانت منزلة الإمام علي عليه السلام وتقدمه على من
 سواه قضية أساسية لما كان عليه توجه الحكام؛ من أمويين قرروا
 شتمه علانية، وعباسيين كالمنصور أسقط نموذجهم وكرّس تيار

(١) سورة الأعراف ١٤٥

(٢) الزخرف ٦٣

(٣) النحل ٨٩

(٤) الجن: ٢٨

(٥) مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ابن شهر آشوب، ص ٣٨٥

البغض له عليه السلام، فقد اهتم الأئمة عليهم السلام في تقرير الأدلة والبراهين على أفضليته لا على الصحابة فقط بل على الأنبياء عليهم السلام، فهذا إمام الفقهاء جعفر بن محمد يخاطب عبد الله بن الوليد السمان قائلاً: ما يقول الناس في أولي العزم وصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: قلت: ما يقدمون على أولي العزم أحداً.

قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى قال لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ ولم يقل كل شيء موعظة. وقال لعيسى: ﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ ولم يقل كل شيء وقال لصاحبكم أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١) وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢) وعلم هذا الكتاب عنده^(٣).

وبشكل مباشر وواضح يوجه السؤال لابن أبي ليلى القاضي: لماذا لا يقضي بقضاء علي عليه السلام؟ وفي هذه المناظرة يتبين فيها توصيات الدولة في تجنب قضاء علي وفقهه، بحيث لم ينكر ذلك ابن أبي ليلى!

فقد قال سعيد بن أبي الخضيب قال: دخلت أنا وابن أبي ليلى المدينة، فبينما نحن في مسجد الرسول ﷺ إذ دخل جعفر بن

(١) الرعد: ٤٣

(٢) الأنعام: ٥٩

(٣) الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، ٢/ ١٤٠

محمد عليه السلام، فقمنا إليه، فسألني عن نفسي وأهلي ثم قال: من هذا معك؟ فقلت: ابن أبي ليلى^(١) قاضي المسلمين! فقال: نعم.

ثم قال عليه السلام له: أتأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتفرق بين المرء وزوجه، ولا تخاف في هذا أحدًا؟ قال: نعم.

قال عليه السلام: فبأي شيء تقضي؟

قال: بما بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن أبي بكر وعمر!

قال عليه السلام: فبلغك أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أفضاكم علي بعدي؟

قال: نعم. قال عليه السلام: فكيف تقضي بغير قضاء علي عليه السلام وقد بلغك هذا؟ قال: فاصفر وجه ابن أبي ليلى!

٣/ وكانت قضية الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي الفاضحة لتيار الخلافة منذ حدوثها إلى زمان الناس هذا حاضرة في مناظراته عليه السلام ومناظرات أصحابه، وذلك لأن ضم مقدمتين فيها لبعضهما ينتج عدم مشروعية الخلافة الأولى، فإن ضم حديث يرضى الله لرضائها ويسخط لسخطها إلى ما روي من أنها ماتت وهي غاضبة عليهم.. ينتج المطلوب!

(١) الأعلام للزركلي ٦/ ١٨٩: ابن أبي ليلى (٧٤ - ١٤٨ هـ) محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار (وقيل: داود) ابن بلال الأنصاري الكوفي: قاض، فقيه، من أصحاب الرأي. ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس. واستمر ٣٣ سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. مات بالكوفة.

فقد روي عن الحسين بن زيد، عن جعفر الصادق عليه السلام:
 أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: يا فاطمة، إن الله عز وجل
 يغضب لغضبك ويرضى لرضاك. قال: فقال المحدثون بها. قال:
 فأتاه ابن جريج ^(١) فقال: يا أبا عبد الله، حدثنا اليوم حديثاً استهزأه
 الناس. قال عليه السلام: وما هو؟ قال: حديث أن رسول الله ﷺ قال
 لفاطمة عليها السلام: إن الله ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك. قال:
 فقال عليه السلام: إن الله ليغضب فيما تروون لعبده المؤمن ويرضى
 لرضاه؟ فقال: نعم. قال عليه السلام: فما تنكر أن تكون ابنة رسول
 الله ﷺ مؤمنة، يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها. قال:
 صدقت، الله أعلم حيث يجعل رسالته ^(٢).

٤ / وأسقط الإمام الصادق عليه السلام نموذج الخلافة الذي اعتبره
 البعض رشداً وصيغة مثلى للأمة عندما بين لعمر بن عبد المعزلي
 خلل هذا النموذج فيما روي عنه.. فقد دخل عليه وهو بمكة عدد
 من أعلام المعتزلة منهم عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وغيرهما،
 فكان مما جرى في النقاش معهما ما قاله الإمام: «أخبرني يا عمرو لو

(١) الأعلام للزركلي ٤ / ١٦٠: ابن جريج (٨٠ - ١٥٠ هـ) عبد الملك بن عبد
 العزيز بن جريج، أبو الوليد وأبو خالد: فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز
 في عصره. وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة. رومي الأصل، من
 موالي قريش. مكي المولد والوفاة. قال الذهبي: كان ثباً، لكنه يدلّس!

(٢) الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، ٢ / ١٠٣.. وقد ذكرنا في كتابنا: إني
 فاطمة وأبي محمد.. كيف عمل الخط الأموي على محاربة أحاديث النبي في
 شأن الصديقة الزهراء قديماً وحديثاً، بوسائل مختلفة لأنها مع ثبوتها تهدم
 الأساس الذي قام عليه تيار الخلافة!

أن الأمة قلدتك أمرها وولتك بغير قتال ولا مؤونة وقيل لك: وهأ من شئت! من كنت توليها؟

قال: كنت أجعلها شورى بين المسلمين!

قال: بين المسلمين كلهم؟ قال: نعم! قال: بين فقهاءهم وخيارهم؟ قال: نعم، قال: قريش وغيرهم؟ قال: نعم، قال: والعرب والعجم؟

قال: نعم، قال: أخبرني يا عمرو أتتولى أبا بكر وعمر أو تتبرأ منهما؟ قال: أتولاهما، فقال: فقد خالفتها ما تقولون أنتم تتولونها أو تتبرؤون منها، قالوا: نتولاهما.

قال: يا عمرو إن كنت رجلا تتبرأ منها فإنه يجوز لك الخلاف عليها وإن كنت تتولاهما فقد خالفتها قد عهد عمر إلى أبي بكر فبايعه ولم يشاور فيه أحدا ثم ردها أبو بكر عليه ولم يشاور فيه أحدا ثم جعلها عمر شورى بين ستة وأخرج منها جميع المهاجرين والأنصار غير أولئك الستة من قريش..» إلى آخر الحوار^(١).

٥ / وكان القياس وهو المنهج الخاطيء في استنباط الأحكام الشرعية أحد أهم المواضيع - بعد الموضوع العقدي - الذي أسقط الإمام اعتباره، وجعله مفتاحا للضلال، ومنه تعلم أصحابه الهجوم على هذا المنهج، وسيأتي في صفحات آخر لماذا ركز الإمام

على اسقاط هذا المنهج، من كونه أقرب للتصديق من قبل الناس،
ومما سيؤول إليه مدعوما بقرارات السلطة العباسية. ونلاحظ هنا
أن التركيز على تخطئة المنهج أولى من تخطئة النتائج والمسائل.

ولهذا شهدنا مناظرات بين الإمام وأبي حنيفة وهو رأس هذا
المنهج، وقد ركز فيها الإمام كما لاحظنا على النقض عليه بالأمثلة
من الطبيعة والتكوين، ومن الشرع والتقنين بما لا طريق له إلى حل
هذه النقوض والإجابة عليها. وكان الغرض هو بيان أن هذا المنهج
والنظرية فيه من الثغرات ما يستطيع كل ناظر أن يلاحظه!

«قال ابن شبرمة^(١): دخلت أنا وأبو حنيفة على جعفر بن محمد
بن علي، فسلمت، وكنت له صديقاً، ثم أقبلت على جعفر، فقلت
له: أمتع الله بك، هذا رجل من أهل العراق، له فقه وعلم.

فقال لي جعفر: لعله الذي يقيس الدين برأيه.

ثم أقبل علي، فقال: هو النعمان بن ثابت؟ قال: ولم أعرف
اسمه إلا ذلك اليوم.

قال: فقال أبو حنيفة: نعم، أصلحك الله!

فقال له جعفر: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من
قاس إبليس، إذ أمره الله تعالى بالسجود لآدم، فقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ

(١) في الاحتجاج نسبت الرواية لابن ابي ليلى، وابن شبرمة هو: عبد الله بن
شبرمة (٧٢- ١٤٤ هـ) كان قاضيا في الكوفة واليمن.

مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١﴾. ثم قال له جعفر: هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا، فقال: أخبرني عن الملوحة في العينين، وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين، وعن العذوبة في الشفتين لأي شيء جعل ذلك؟ قال: لا أدري!

قال له جعفر: إن الله تبارك وتعالى خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيهما مناً منه على ابن آدم، ولولا ذلك لذابتا فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين مناً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب فأكلت دماغه.

وجعل الماء في المنخرين ليصعد منه النفس وينزل، ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة. وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه.

ثم قال لأبي حنيفة: أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان ما هي؟ قال: لا أدري.

قال: قول الرجل «لا إله إلا الله»، فلو قال: «لا إله»، ثم أمسك كان مشركاً، فهذه كلمة أولها شرك وآخرها إيمان.

ثم قال: ويحك أيما أعظم عند الله تعالى، قتل النفس التي حرم الله أم الزنا؟ قال: لا بل قتل النفس.

قال له جعفر: إن الله تبارك اسمه قدرضي وقبيل في قتل النفس

بشاهدين، ولم يقبل في الزنا إلا أربعة، فكيف يقوم لك قياس؟ ثم قال: أيما أعظم عند الله، الصوم أم الصلاة؟ قال: لا بل الصلاة.

قال: فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة؟ اتق الله يا عبد الله ولا تقس، نقف نحن غدا وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل، فنقول: قال رسول الله ﷺ وصحبه، قال الله عز وجل، وتقول أنت وأصحابك: سمعنا ورأينا، فيعمل بنا وبكم ما يشاء»^(١).

٦ / نلاحظ أن هذه المناظرات لم تكن بداعي الفخر والمباهاة أو تسجيل نقاط انتصار على الخصم، وإنما كانت في صلب العمل التبليغي ونشر الفكرة الإسلامية الصحيحة، وكانت الوسيلة المتاحة في ذلك الوقت بعدما حُرِّم الأئمة عليهم السلام من الطرق الرسمية العامة للوصول إلى عامة الناس والعلماء.

ونلاحظ فيها أن الإمام الصادق عليه السلام كان مقصوداً من طلاب المناظرات سواء كانوا من خارج الدائرة الإسلامية كما هو الحال في من عرفوا بالزنادقة، أو من داخل الدائرة الإسلامية.. فقد رأينا

(١) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار (ص ١٩ بترقيم الشاملة آليا)، وقد نقلها الطبرسي في الاحتجاج ٢ / ١١٦ بفقرات أكثر. فمثلا لم ينقل في الأخبار الموفقيات فقرة: «قال له: البول أقدر أم المني؟ قال البول أقدر. قال عليه السلام: يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني، وقد وجب الله تعالى الغسل من المني دون البول». ولعل ذلك لأن فقه مدرسة الخلفاء لا يرى نجاسة المني أصلا فمثل هذا النقل يخالفهم! لما رواه من حديث عائشة قالت: كان رسول الله يسلم المني من ثوبه بعرق الإذخر، ثم يصلي فيه!.

أحد الزنادقة يقصده من مصر فلما لم يجده في المدينة تبعه إلى مكة! وهكذا الحال نجد عبد الكريم بن أبي العوجاء وأصحابه يقصدونه بالسؤال وهو في مكة معترضين على مناسك الحج بأنها عبثية!^(١) ويرى الإمام ملزماً بالجواب لكونه رأس هذا النظام التشريعي!.

وفي داخل الدائرة الإسلامية وجدنا أن عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وأتباعهما من المعتزلة يأتون إليه ويقصدونه بالسؤال فيناظرهم ويسقط نموذج الخلافة الذي جعلوه مثلاً أعلى! كما تقدم. ويدخل عليه أبو حنيفة أكثر من مرة كما يظهر من تعدد الروايات ليناقله الإمام وينظره.

٧ / علم الإمام الصادق عدداً من أصحابه فنون المناظرة، وندبهم للتصدي للأفكار الخاطئة والمناهج الباطلة، وتحرك هؤلاء في مناطق مختلفة غير المدينة المنورة، فكان هؤلاء يناظرون خصومهم في الكوفة والبصرة ومناطق أخرى. وبالرغم من الإغراء الموجود في موضوع المناظرات ولا سيما مع تحقيق الغلبة على الخصم، إلا أن الإمام عليه السلام قد نهى بشكل عام عن (الكلام) والمناظرة، بينما سمح وأذن للبعض ممن أتقن هذا الفن وكان من البارعين فيه^(٢).

(١) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٢٥٣ إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلذذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر؟! إن من فكر في هذا وقدر علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي بصر فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسه ونظامه!
(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي ٢ / ٨ قال أبو خالد

فمنهم مؤمن الطاق محمد بن علي بن النعمان البجلي الذي أكثر من المناظرة مع أبي حنيفة حتى أنه «ألف كتابا في مناظراته معه وكان معروفا بعلم الكلام وقوة الحجّة، وسرعة الجواب، وشدة العارضة. فهو دائما يتفوق في مناظراته، ويسمو في حجّته»^(١). كما كان له مناظرات مع الضحّاك الخارجي ومع ابن أبي خدرية في التفضيل بين علي وغيره، ومع زيد بن علي في لزوم الثورة والنهضة وعدمها، وغيرهم^(٢)، ومنهم هشام بن الحكم الذي قدمه الإمام الصادق عليه السلام مع حداثة سنه على كثير من المعمرين من أصحابه لقوته في المناظرة وقدرته على إلزام الخصم وما خبر عمرو بن عبيد عنك ببعيد! ولقد ناظر ضرارا بن عمرو الضبي كثيرا حتى أتعبه في السباق وقصر هذا عن جريه في اللحاق^(٣) وناظر عبد الله بن يزيد الأباضي، وناظر النظام المعتزلي في أمر الخلود في الجنة، والشامي الذي ناظره في إمامة الصادق عليه السلام بحضور الإمام فأغرقه هشام

الكابلي: رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو قاعد في الروضة، قد قطع أهل المدينة إزاره، وهو دائب يجيهم ويسألونه، فدنوت منه وقلت: إن أبا عبد الله هنا عن الكلام. فقال: أو أمرك أن تقول لي؟ فقلت: لا والله ولكنه أمرني أن لا أكلم أحدا. قال: فاذهب وأطعه فيما أمرك. فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام فأخبرته بقصة صاحب الطاق، فتبسّم أبو عبد الله عليه السلام وقال: «يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير، وأنت إن قصّوك لن تطير»

(١) الامام الصادق، أسد حيدر: ٦٧ / ٢

(٢) المصدر السابق

(٣) نعمة؛ الشيخ عبد الله: هشام بن الحكم / ٢٢٢ وقد أفرد في كتابه نحو عشرين صفحة نقل فيها مناظراته وأجوبته.

في بحر معارفه! ومع الجائليق وغيرهم.

ومنهم حمزة بن الطيّار الذي روي أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: بلغني أنك كرهت مناظرة الناس وكرهت الخصومة. فقال: «أما كلام مثلك فلا يكره. من إذا طار أحسن أن يقع، وإن وقع أحسن أن يطير، فمن كان هكذا فلا نكره كلامه» وهو الذي ترحم عليه الإمام ووصفه بأنه مدافع جيد عن أهل البيت كما نقل ذلك في رواية عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما فعل ابن الطيار؟ قلت: مات، قال: رحمه الله ولقاه نضرة وسرورا فقد كان شديد الخصومة عنا أهل البيت»^(١).

ومنهم عبد الأعلى الذي بلغه أن الإمام الصادق قد نهى عن الخصومة والكلام فجاء يسأل الإمام عن ذلك فقال له: أما مثلك من يقع ثم يطير فنعم، وأما من يقع ثم لا يطير فلا!^(٢)

(١) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة المجلسي، ٢ / ٢٥٢

(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي، ٢ / ١٩٤

الإمام الصادق والقيادة الاجتماعية للمذهب

إن النظرة المتأملة لعمل وتدبير الإمام جعفر الصادق عليه السلام في حفظ التشيع ونشره، يجعل من الطبيعي أن ينسب هذا المذهب إليه. فالناظر إلى التشيع قبل زمان الإمام الصادق وأبيه الباقر عليه السلام، وما بعد زمانها يجد الفارق كبيرا للغاية، ففيما تتحدث الروايات عن أنه «ارتد الناس بعد مقتل الحسين عليه السلام إلا بضعة نفر» ويقصد من ذلك الهزيمة النفسية وحالة التراجع الداخلي التي حصلت في الأمة على أثر ارتكاب الأمويين تلك الجريمة، وبطبيعة الحال فإن ذلك يشير إلى قلة المنتمين إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام في تلك الفترة.

بين هذا وبين ما يقوله الحسن بن علي الوشاء من أنه قال لمن جاء الكوفة يطلب منه الحديث: «لو علمت أن هذا الحديث يكون له هذا الطلب لاستكثرت منه، فأني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ، كلّ يقول حدّثني جعفر بن محمد»^(١) وهذا يعني أن الذين

(١) فهرست اسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، النجاشي، ص ٤١

أخذوا العلم مباشرة عن الإمام ويجلسون في مسجد الكوفة، هم هذا العدد، فإذا انضم إليهم من يحدث في سائر المساجد ومن يروي عنه بالواسطة فكم سيكون العدد؟ وما هو مقدار التأثير العلمي الذي خلفه الإمام في المجتمع الكوفي؟

إن قسماً منه يشير إليه ما ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد حيث قال: «نقل الناس عن الصادق عليه السلام من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نقل عنه، ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله، فإن أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل»^(١).

ولعل ما سبق يفسر لنا كيف تحولت الكوفة التي كانت لنصف قرن قبل هذه الحادثة ت جيش الجيوش لقتال الإمام الحسين عليه السلام، فإذا بها تصبح بلداً تم اختياره من بين البلاد كما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن الله اختار من جميع البلاد الكوفة وقم وتفليس» ويصبح «أهل الكوفة أوتادنا، وأهل هذا السواد منا ونحن منهم»^(٢) ويخاطب جماعة من أهل الكوفة بـ «أنه ليس بلد من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة ثم هذه العصابة خاصة، إن الله هداكم لأمر جهله الناس أحببتمونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا

(١) الإرشاد، الشيخ المفيد ٢ / ١٧٩

(٢) مسند الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي، ٢١ / ٤٤٠

وكذبنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس، فجعل الله محياكم ميانا ومماتكم مماتنا»..

والكوفة يعني المصر الأعظم في العراق. والخزان البشري الأكبر.

ويرى المرحوم الشيخ محمد حسن آل ياسين أنه «لكثرة عدد طلابه وكثرة الرواية عنه دعي التشيع في السنة الناس - «المذهب الجعفري» نسبة للإمام جعفر الصادق عليه السلام. في حين ان التشيع منهج أهل البيت جميعاً من دون اختصاص بإمام معين ذلك كان السبب في أن يدعى التشيع في السنة الناس بالمذهب الجعفري»^(١).

بل أصبحت مناظرات أصحاب الأئمة عليهم السلام وتلامذة الصادق عليه السلام في الكوفة على وجه الخصوص هي الوجه البارز للساحة الثقافية والفكرية. حتى لقد عرف عمرو بن عبيد هشاماً بن الحكم لما نظره في البصرة حين قال له إنه من أهل الكوفة! وكأن ذلك علامة على التشيع ووجود هذا الصنف من العلماء والمتكلمين فيها! وكانت مناظرات مؤمن الطاق محمد بن علي بن النعمان في الكوفة وهو صير في فيها ومن أهلها. واجتمع المحكمة الخوارج والشيعة للمناظرة وهو حاضر.

ونحن لا نعتقد أن ما قاله أبو حنيفة^(٢). إن صحت الرواية -

(١) أصول الدين، محمد حسن آل ياسين، ص ٣٢٧

(٢) مناظرات في العقائد والأحكام، الشيخ عبد الله الحسن، ٢/٢٦٧

من أنه ترك في الكوفة عشرة آلاف من الشيعة يشتمون أصحاب محمد، لكن على فرض صحتها فإنه تشير إلى أن التيار العام في الكوفة كان هو التشيع، وإذا كان هؤلاء هم الذين يشتمون فإنهم - على كثرتهم - يشكلون النسبة المتطرفة وهي الأقل جدا، فإذا سيكون عامة الشيعة؟

وبلغ بالشيعة العلم والمعرفة بحيث كانوا يتحدثون قاضي القضاة في البلد في المعارف الدينية! وهذا ما يشير إليه قضية محمد بن مسلم الثقفي مع القاضي ابن أبي ليلى حين رد شهادته ولم يقبله شاهدا! فنقلت القصة للإمام الصادق في المدينة فأمر أبا كهمس قائلا: إذا صرت إلى الكوفة فأتيت ابن أبي ليلى، فقل له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها بالقياس ولا تقل قال أصحابنا.

ثم سله عن الرجل يشك في الركعتين الأوليين من الفريضة، وعن الرجل يصيب جسده أو ثيابه البول كيف يغسله، وعن الرجل يرمي الجمار بسبع حصيات فتسقط منه واحدة كيف يصنع، فإذا لم يكن عنده فيها شيء، فقل له يقول لك جعفر بن محمد: ما حملك على أن رددت شهادة رجل أعرف بأحكام الله منك واعلم بسيرة رسول الله ﷺ منك؟^(١).

وبالفعل فقد تحققت وصية الإمام الباقر ابنه الصادق عليه السلام بأصحابه خيرا فقال لأبيه: «جعلت فداك والله لأدعنهم والرجل

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي، ١/ ٤٢٧

منهم يكون في المصّر فلا يسأل أحداً، استغناء بعلمه ومعرفته.

هذا غيظ من فيض في الجانب العلمي الذي نشره الإمام الصادق عليه السلام فكان سبباً كما ذهب إليه علماء في أن ينسب المذهب إليه.

◀ تحدي حصار المذهب وإقصائه:

الانقلاب الذي حصل على قيادة أهل البيت عليه السلام وولايتهم والذي كان أقصى درجاته في تأسيس الخلافة الأموية لم يكن ذا وجه سياسي فقط وإن كان هذا الوجه هو الأظهر والأبرز، وإنما امتد ليشمل إلغاء المدرسة العقائدية لهم والأحكام الشرعية، ولذلك فإنك ترى أنه لم يكن يُسمح لشيعته أهل البيت عليه السلام حتى بتولي إمامة جماعة في مسجد وحيّ فضلاً عن المساجد الكبرى، وفضلاً عن القضاء والمحاكم والمدارس الدينية وغيرها.. وقد استمر هذا طيلة حكم بني أمية، بل وزاد في أيام المنصور العباسي والمهدي بحيث لم يكن يقبل الفقيه الجعفري الذي يعدل في علمه عشرة من قضاة الدولة، حتى في أداء شهادة لا يشترط فيها عندهم سوى ظاهر الإسلام! وقد مر بنا في السطور الماضية كيف ردت شهادة محمد بن مسلم الثقفي وأبي كريمة وغيرهما!

هذا فضلاً عن الاقصاء السياسي بمعنى أنه كان يكفي لإبعاد الشخص عن أي منصب حكومي أن يتهم بكونه يوالي أهل البيت بل ربما وصل الأمر ببعضهم إلى أن يقتلوا لأنهم كانوا على هذا

الأمر^(١) وهو الإيمان بالإمامة ومنهج أهل البيت.

كما أن أتباع المذهب الجعفري تعرضوا لمحاولات اقضاء اجتماعي أيضا بمعنى أنهم كانوا ينبزون بأوصاف مختلفة منها: أنهم يشتمون أصحاب محمد، وأنهم الراضية، وهم الخشبية وأنهم السبئية وهكذا، ولم يكن هذا أمرا اعتباريا وإنما كان يهدف إلى محاصرهم حتى وهم يعيشون بين الناس.

وأمام هذه الأطواق المتعددة من الحصار نعتقد أن الإمام الصادق عليه السلام سلك طرقاً حكيمة في الرد عليها:

١ / فمن ذلك أنه أمر شيعته بتخفيف حركة التبليغ للمذهب في صورها الفارقة، وأمرهم أن يستمروا في كونهم دعاة صامتين وبأعمالهم، وبالطبع فإن هذا الثاني مؤثر جدا من دون أن تكون له استتباعات، بل هو خير رد على ما كان يُنبز به شيعة أهل البيت وتكذيب للنازيين والطاعنين إذ لا دليل كالوجدان ورؤية العيان!

في الوقت نفسه فقد أمر عليه السلام بتخفيف الدعوة المباشرة التي قد تستثير مخالفي المذهب وتستدعي ردة فعلهم، وهم الذين يمتلكون القوة والسلطة! فعن ثابت أبي سعيد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا ثابت ما لكم وللناس، كفوا عن الناس ولا تدعوا

(١) قال الكشي حدثني أبو المغيرة، قال حدثني الفضل، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أن سعيد بن جبیر كان يأتي بعلي بن الحسين عليه السلام وكان علي (السجاد) عليه السلام يثني عليه، وما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر.

أحدا إلى أمركم، فوالله لو أن أهل السماء وأهل الأرض اجتمعوا على أن يضلوا عبداً يريد الله هداه ما استطاعوا، كفوا عن الناس ولا يقول أحدكم: أخي وابن عمي وجاري، فإن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً طيب روحه، فلا يسمع بمعروف إلا عرفه ولا بمنكر إلا أنكره، ثم يقذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره»^(١).

ويجمع ذلك ما قاله في وصيته لأصحابه «أوصيكم بتقوى الله واجتناب معاصيه، وأداء الأمانة لمن ائتمنكم، وحسن الصحابة لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاة صامتين! فقالوا يا بن رسول الله وكيف ندعو إليكم ونحن صموت؟ قال: تعملون بما أمرناكم به من العمل بطاعة الله وتتناهون عن معاصي الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الأمانة وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم إلا على خير فإذا رأوا ما أنتم عليه علموا أفضل ما عندنا فتنازعوا إليه»^(٢).

وحيث أن الدعوة العلنية المباشرة والفاقعة للمذهب في ذلك الظرف كان فيها بعض المحاذير، وفي نفس الوقت فإن دعوة الناس إلى الهدى هي من مسؤوليات المؤمنين وإمامهم، فيجمع بين الأمرين بأن تستمر الدعوة والتبليغ للحق ولكن يتغير الأسلوب فيصبح الدعوة بالعمل، والتبليغ بالنموذج الأكمل هو الطريق المطلوب. وقد شرحه الإمام عليه السلام لخاصة أصحابه وقادة شيعته

(١) الكافي ٢/ ٢١٣ وقد أفرد الكليني فيه باباً كاملاً بعنوان ترك دعاء الناس.

(٢) مستدرک الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ج ١/ ١١٦

كما أخبر عنه عبد الله بن أبي يعفور بقوله: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية»^(١).

٢ / كما أكد على استراتيجية التقية، وهي التي تعني الحكمة، وأن لا يظهر المؤمن ما يجلب له الأذى في نفسه أو ماله أو عرضه، والتقية بالإضافة إلى أنها مبدأ قرآني أكد عليه الباري سبحانه في قصة عمار بن ياسر^(٢)، فإنها مبدأ عقلائي لا يتجاوز عقلاء البشر، حين يكونون بالخيار بين إظهار كل معتقداتهم علانية أمام من يعاديهم فيؤذيهم، أو التكتم عليها وعدم الإعلان عنها ظاهراً وإن كان القلب مستقراً على الإيثار بها.. فإن العقلاء يختارون الطريق الثاني.

ولكون الشيعة حتى ذلك الوقت في حكم الأقلية الضعيفة في المجتمع المسلم العام، وفي موقع الإضطهاد من قبل الحاكمين فكان أمر التقية والحكم بها متى كانت ظروفها وشروطها قائمة هو الموافق للحكمة، فصدر عن الإمام الصادق عليه السلام عشرات الأحاديث التي وصفت التقية بأنها «ديني ودين آبائي» ونعت من لا يلتزم بالتقية مع تحقق شروطها بأنه لا دين له^(٣).

وقد تختلف شروط التقية من زمن لآخر فمتى ارتفعت فلا

(١) الكافي ٢ / ٧٨

(٢) في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وقوله تعالى ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتِلَ﴾

(٣) الكافي (دار الحديث) ٣ / ٥٤٨ بابُ التَّقِيَّةِ

معنى للتمسك بأحكام التقية^(١). وكأنَّ الإمام عليّ السلام بهذا التوجيه والتأكيد عليه ينزع فتيل الصراع الاجتماعي مع الفئة الأخرى.

٣/ جعل الإمام عليّ السلام حلقة درسه وتعليمه مفتوحا لكل الفئات الدينية، ولم يمنع أحدا من الحضور، وهذا جعل الفقه الجعفري متداولاً في الساحة العلمية.

فبينما كان لكل عالم أوفئة مذهبية تلامذة من نفس خطه ومنهجه ودائرة شبه مغلقة عليهم، فقد عكس الأمر الإمام الصادق عليّ السلام عندما أشرع أبواب المعرفة أمام الجميع، ولذلك نعتقد أن أخذ التلامذة عنه من خارج مدرسة أهل البيت عليّ السلام ومذهبهم كان طبيعياً جداً، وإنكاره إنما هو نابع من دوافع عقديّة لا يوافقها التاريخ.

وذلك أن علمية الإمام الصادق عليّ السلام وتفوقه على الجميع في زمانه يجعل من الطبيعي أن يأتي إليه التلامذة بدافع الاستفادة تارة والفضول والاطلاع أخرى والمناظرة في حالة ثالثة، وعندما يجدون أنفسهم أمام بحر مواج لا يملكون إلا الاستمرار في الاستفادة منه!

(١) التقية في الفكر الإسلامي، مركز الرسالة، ص ٩٨ عن الإمام الصادق عليّ السلام: أنه قال: كان أبي عليّ السلام يفتي، وكان يتقي، ونحن نخاف في صيد البزاة والصقور، وأما الآن فإننا لا نخاف ولا نحل صيدها إلا أن ندرك ذكاته، فإنه في كتاب عليّ السلام: إن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، في الكلاب، أي: في كلاب الصيد لا في البزاة ولا في الصقور.

ويشير لذلك تتبع أسماء الآلاف الأربعة الذين أخذوا عنه العلم كما ذكرهم الشيخ المفيد فإننا نجد عددا مهماً منهم كانوا من مدرسة الخلفاء.

لهذه الأسباب وجدنا أنه بينما استطاع الحاكمون محاصرة المذاهب المخالفة للدولة كالخوارج حتى أُلجأوهم إلى أطراف العالم الإسلامي، وحتى أن الدول التي أنشأوها كانت على حواشي الجغرافيا. وهذا يعني أن المذهب الرسمي استطاع «محاصرة» هذا المذهب في داخل المدن والحواضر المسلمة، و«طرده» إلى خارجها.

بل قد رأينا ذلك أيضا في المذاهب الشيعية كالزيدية والاسماعيلية، فإنها لم تستطع أن تكون في قلب الحواضر الإسلامية وأن تتعايش مع عامة الناس في نفس الوقت الذي كان فيه الحاكمون والمذهب الرسمي يجارِبونها ويحاصرونها.

إلا أننا وجدنا مذهب أهل البيت عليهم السلام، ببركة التدابير التي اتخذها الإمام الصادق عليه السلام استطاع أن يعيش في وسط العالم الإسلامي ومع الناس مع أنه يختلف في متبنياته العقديّة وأحكامه الشرعية عنهم.

٤ / المجتمع الطبيعي المتميز

بالإضافة إلى ما سبق من التدابير والخطوات الحكيمة، فقد بعث الإمام الصادق عليه السلام في المجتمع المنتمي إليه، روحا متوثبة تطلب من أتباعه أن يكونوا الأفضل في كل الجهات، وأن حقيقة

إيمانه بأئمته يرتبط بهذا، فليس شيعيا كامل التشيع من لم يتميز بتلك الميزات العالية! لقد أراد عليه السلام من خلال الوصايا والتوجيهات أن يتحول الإنسان الشيعي إلى عالم من الكفاءات وأن يكون بمقدار العشرات من سائر الناس.

- فعن أبي الحسن الأول (موسى بن جعفر) عليه السلام قال: «كثيرا ما كنت اسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم (من) خلق الله أروع منه»^(١) ونلاحظ التعبير عن الإمام عليه السلام أنه كثيرا ما كان يسمع والده الصادق يقول ذلك، مما يفيد شدة التركيز عنده عليه، وأنه لم يقلها مرة واحدة، وإنما هي سياسة مستمرة. وأن الشيعي ينبغي أن تتحدث المؤمنات عن ورعه وتقواه في خدورهن، وأنه أفضل من عشرة آلاف شخص من سائر المسلمين الذين يعيشون في محيطه، يعني يجب أن يكون كذلك، فهذا هو الشيعي الحقيقي الكامل.

وفي نفس الوقت فقد أعلن الحرب على الادعاءات المزيفة والتي تقول بأنه يكفي للإنسان أن يقول إنه شيعي لكي ينال عالي الرتب الالهية فهو يخاطب جابرا الجعفي بقوله: «يا جابر أيكثفي من يتحلل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع

والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا امناء عشائريهم في الأشياء»^(١).

وفيما يشير إلى أن هذا الخط (التميز الأخلاقي وعلو الكفاءة العلمية والاجتماعية) والتوصية به كان محل توجيه دائم وتوصية مستمرة، رأينا قبل قليل أن الإمام الكاظم عليه السلام يتحدث عن أن أباه الصادق كان يقول هذا كثيرا، فكذلك يشير الإمام الصادق عليه السلام أن هذا التوجيه لم يبدأ به هو وإنما كان على أيام أبيه الإمام الباقر عليه السلام وأنه هو مستمر في نفس هذا التوجيه، فقد قال لجماعة من الشيعة طلبوا منه النصيحة، فقال: «إن أبي حدثني ان شيعتنا أهل البيت كانوا خيار من كانوا منهم، إن كان فقيه كان، منهم وإن كان مؤذنا كان منهم، وإن كان امام كان منهم، وإن كان صاحب أمانة منهم، وإن كان صاحب وداعة كان منهم»^(٢).

وقد فهم كبار الشيعة هذا فكانوا كلما وصلوا إلى مرتبة من مراتب السمو العلمي والأخلاقي لا يجدون أنفسهم جديرين بوصف الشيعي الحقيقي، فهذا أبو كريمة الأزدي ومحمد بن مسلم الثقفي شهدا عند شريك بشهادة وهو قاض، فنظر في وجوههما ملياً، ثم قال: جعفران فاطميان! فبكياء، فقال لهما: ما يبكيكما؟

(١) الكافي ٢/ ٧٤

(٢) صفات الشيعة، الشيخ الصدوق، ص ٢٨

قالا له: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا أن يكونوا من اخوانهم لما يرون من سخف ورعنا، ونسبتنا إلى رجل لا يرضى بأمثالنا ان يكونوا من شيعته، فان تفضل وقبلنا فله المن علينا والفضل، فتبسم شريك، ثم قال: إذا كانت الرجال فلتكن أمثالكم!^(١)

وقد روي عن أبي كهمس أنه قال: «تقدمت إلى شريك في شهادة لزممتني فقال لي: كيف أجزيتك وشهادتك وأنت تنسب إلى ما تنسب إليه، قال أبو كهمس: فقلت: وما هو؟ قال: الرفض، قال: فبكييت ثم قلت: نسبتني إلى قوم أخاف ألا أكون منهم، فأجاز شهادتي» وقد وقع مثل ذلك لابن أبي يعفور ولفضيل سكرة^(٢).

٥ / الوصايا وتوحيد الممارسات:

لتوحيد التوجهات والحركة نلاحظ أن الإمام الصادق عليه السلام انتهج الوصايا الاجتماعية العامة فضلا عن الوصايا الخاصة للأفراد والوجوه المهمة، وهي كثيرة والغالب أن فيها رسائل للشيعة، وبعضها صريح بعنوان إبلاغ الشيعة هذه المعاني: فعنه عليه السلام أنه أوصى المفضل بن عمر فقال: أوصيك بست خصال تبلغهن

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١/ ٤٢٥. وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام محمدا بن مسلم بأنه أعرف من القاضي ابن أبي ليل بأحكام الله، وأعرف بسنة رسول الله، وبأنه مع جماعة - أحب الناس إليه أحياء وأمواتا، ونقل أنه روى نحو ثلاثين ألف حديث.. كما في معجم رجال الحديث ١٨ : ٢٦١

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ٣ / ٧٥

شيعتي، قلت: وما هن يا سيدي؟ قال عليه السلام: أداء الأمانة إلى من أتممك. وأن ترضى لأخيك ما ترضى لنفسك. واعلم أن للأمر أواخر فاحذر العواقب. وأن للأمر بغتات فكن على حذر!^(١)

ولأجل التماسك الداخلي فيما بين شيعته بل المسلمين عموماً يقول عليه السلام في وصيته لابن جندب: «يا بن جندب الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمشحط بدمه في سبيل الله وما عذب الله أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم.

يا بن جندب، من غش أخاه وحقره وناواه جعل الله النار مأواه، ومن حسد مؤمناً إنما الإيثار في قلبه كما ينماث الملح في الماء»^(٢).

إلا أن الملفت للنظر والذي قد لا نرى نظيره في حالة أخرى هو ما نطلق عليه الوصية الجماعية للطائفة، والبرنامج الداخلي الذي ينبغي أن يلتزم به من يؤمن بالإمام عليه السلام، وقد خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه وقد أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها، فكانوا يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظرُوا فيها وهي: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاسألوا ربكم العافية وعليكم بالدعة والوقار والسكينة وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم وعليكم بمجاملة أهل

(١) تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام، ابن شعبة الحراني، ص ٣٧٨

(٢) الوافي، الفيض الكاشاني ٢٦/٢٧٣

الباطل، تحملوا الضيم منهم وإياكم ومماظتهم، دينوا - فيما بينكم وبينهم إذا أتمم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام، فإنه لا بد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام - بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم..»^(١) وهذه الوصية تحتاج إلى دراسة خاصة لطول فقراتها من جهة ولأهمية مضامينها من جهة أخرى. وهي أشبه ببرنامج داخلي ولذلك أمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها وأنها كانوا يضعونها في مساجد بيوتهم (أماكن عبادتهم فيها) وينظرون فيها بعد الصلاة.

وفيا يرتبط بعلاقتهم مع المحيط الذي يعيشون فيه وهو محيط مختلط المذاهب والتوجهات يقول لبعض أصحابه ممن سأله: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا؟ قال عليه السلام: «تؤدون الأمانة إليهم، وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم».

وعن أسامة بن زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله: «اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد لله - أن تجتهدوا في طاعة الله ونصرته والدعوة إليه - وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد، أدوا الأمانة إلى

من ائمتنكم عليها برّاً أو فاجراً، فإن رسول الله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائهم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس، قيل: هذا جعفري، فيسرنى ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره وقيل: هذا أدب جعفر، والله لحدّثني أبي أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أداهم للأمانة، وأقضاهم للحقوق، وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان، إنه أدانا^(١) للأمانة وأصدقنا للحديث^(٢).

٦ / ممارسات تمنع الذوبان:

في نفس الوقت الذي أمر الإمام الصادق عليه السلام أتباعه بأن ينسجموا مع المجتمع العام وأن يلتزموا التقية في شعائهم، وأن يشهدوا جنائزهم ويعودوا مرضاهم ويؤدوا حقوقهم، وأن لا ينزلوا عن الناس اجتماعياً ولا اقتصادياً، فقد كان عليه السلام حريصاً على أن لا يذوب أتباعه في الدائرة الاجتماعية الكبيرة، ولهذا الغرض فبالإضافة إلى توصيتهم بالالتزام الدقيق بعقائد وأفكار أهل البيت عليهم السلام، وكذلك التأكيد على بعض الممارسات العبادية الخاصة بالشيعة، فقد رأينا هنا أن الإمام الصادق عليه السلام في الفترة

(١) يعني أكثرنا أداء للأمانة وأكثرنا صدقا في الحديث.

(٢) الكافي ٢ / ٦٣٦

التي أقام فيها في الكوفة أيام أبي العباس السفاح، والفترات التي مر فيها بها، قد أكد كثيرا على زيارة قبري جديهِ الإمامين أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام.

فمن ذلك: التأكيد على الذهاب لزيارة قبور المعصومين عليهم السلام، وخصوصا قبري أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام حيث كانا أقرب إلى منطقة الكوفة ذات الوجود الشيعي الكبير، فقد تعددت زيارات الإمام الصادق نفسه إلى القبرين الشريفين وكان يصطحب معه بعض أصحابه أو بني هاشم، وكان بهذا يتحقق التعريف بالمكان الدقيق للقبرين الشريفين من خلال إخبار الإمام مرافقيه بالموضع لا سيما بالنسبة لأمر المؤمنين حيث كان قبره إلى ذلك الوقت غير معروف لعامة الناس وكذلك كان ينشئ ممارسة في الانتماء وتأكيد الولاء من خلال التحرك لزيارتها، وفيما بعد إنشاء نصوص خاصة في التعريف بالمزور والشهادة على الاعتقاد به.

فقد نقل السيد ابن طاووس في فرحة الغري أحاديث كثيرة عن زيارات الإمام عليه السلام لهما وخصوصا قبر أمير المؤمنين عليه السلام واسترفاق بعض بني هاشم وأصحابه في الفترة التي كان فيها في الحيرة مجلوبا من جهة العباسيين؛ فقد رافقه من بني هاشم عبد الله بن الحسن^(١) (الحسني) ومن أصحابه صفوان بن مهران الجمال، وأبان بن تغلب، ودلّ عليه جماعة من أصحابه منهم أبو بصير،

(١) فرحة الغري، السيد عبد الكريم بن طاووس، ص ٨٤

وعبد الله بن طلحة، ومعلّى بن خنيس، ويونس بن ظبيان وزرارة وغيرهم^(١).

وكان يُظهر الانزعاج ممن يقصر في زيارته عليه السلام، فقد قال ليونس القصري، حين أخبره قائلاً: اتيتك ولم أزر أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: بئس ما صنعت، لو لا أنك من شيعتنا ما نظرت إليك!^(٢)

وحينما نأتي إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام نجد العجب العجاب من تأكيده عليه السلام، فهو يرى أن أهل الكوفة إن لم يذهبوا لزيارة الحسين في كل شهر فإنهم يعدون جفاة للحسين^(٣) وفي التشويق لذلك والتشجيع عليه يبين آثار تلك الزيارة التي صار لها مناسبات طول السنة، فإذا أراد زيارته في العشرين من صفر (الأربعين) فليكن عند ارتفاع النهار، وأما في شعبان فإذا زاره (في النصف من شهر شعبان نادى منادٍ من الأفق الأعلى: ألا زائري قبر الحسين ارجعوا مغفورا لكم، وثوابكم على ربكم ومحمد نبيكم)، و«من زاره في النصف من رمضان كتبه الله عتيقا من النار»، وكذلك في ليلة القدر: «فإن الله تعالى قد غفر لمن أتى قبر الحسين عليه السلام في هذه الليلة» وإن «من زار قبر الحسين عليه السلام ليلة من ثلاث غفر الله

(١) المصدر السابق ٨٥

(٢) المصدر السابق ١٠٢

(٣) عبد الله بن طلحة النهدي قال: دخلت على أبي عبد الله، فقال: يا عبد الله بن طلحة، أما تأتون قبر أبي الحسين؟ قلت: بلى جعلت فداك إنا لنايتيه. قال: تأتونه كل جمعة؟ قلت: لا. قال: فتأتونه في كل شهر؟ قلت: لا. قال: ما أجفاكم!

له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قلت: أيّ الليالي جعلت فداك؟ قال:
ليلة الفطر وليلة الأضحى وليلة النصف من شعبان^(١).

وستكون هذه الزيارة للإمام الحسين وأمور آخر عبادة (صلاة إحدى وخمسين: الفريضة ونوافلها وصلاة الليل، وزيارة الإمام الحسين في الأربعين، والجهر بالبسملة في قراءة الفاتحة في الصلاة، والسجود على التراب، والتختم في اليد اليمنى^(٢)) علامة للمجتمع الشيعي تميزه عن غيره، وهي كلها تبلورت في زمن الإمام الصادق عليه السلام وإن كان أخبر عنها الإمام العسكري عليه السلام.

ما سبق من تدبيرات الإمام الصادق عليه السلام، بالإضافة إلى القوة الذاتية التي كانت لدى المذهب حيث أنه يمثل الصورة الأنصح والأكثر أصالة للإسلام، فقوته هي قوة الإسلام نفسه، مبادئ وأحكاماً وأخلاقاً.. وأضيف إليها ما ذكرناه من إدارة الإمام للمجتمع الشيعي، وذكرنا في الجانب السياسي في علاقته مع المنصور العباسي ومن سبقه من الحكام كيف أدار الإمام عليه السلام تلك العلاقة المتوترة وغير الواضحة من جهة الحاكمين، فلم ينزل مع كثرة الاستفزازات التي مورست ضده وضد شيعته إلى معركة أراد الحاكمون فرضها عليه، ثم القضاء عليه وعلى شيعته قضاءً مبرماً،

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ٤٩/٦

(٢) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس ١٠٠/٣ عن الإمام العسكري: علامات المؤمن خمس: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بيسم الله الرحمن الرحيم.

لكن تخطيطه صلوات الله عليه كان أفضل من خططهم، واستطاع مع كل ما صنعوه أن يبقى هذا المذهب الأصيل، بحيث ينمو يوماً بعد آخر.

لقد كان في زمان الإمام والقرن الذي بعده من المذاهب عدد غير قليل من المذاهب؛ أشهرها مذهب سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) ومذهب الأوزاعي (ت ١٥٧ هـ) ومذهب الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ) ومذهب إسحق بن راهويه (ت ٢٣٨ هـ)، ومذهب أبي ثور: إبراهيم بن خالد الكلبي (ت ٢٤٠ هـ) ومذهب داود الأصفهاني (الظاهر ت ٢٧٠ هـ)، ومذهب ابن جرير الطبري صاحب التاريخ (ت ٣١٠ هـ) وغيرها، فإنها اندثرت بالتدريج بحيث ما جاءت سنة ٣٦١ هـ والتي تم فيها الاقتصار على المذاهب الأربعة المشهورة الا وقد شكلت الضربة القاضية لغير هذه الأربعة.

بينما بقي المذهب الجعفري بالرغم من كونه محاربا من السلطات إلى قرون متأخرة لكنه كان يزداد قوة وانتشاراً، حتى ليكاد يتقاسم اليوم المساحة الإسلامية متناصفاً مع المذاهب الأربعة بمجموعها.

الإمام الصادق والتأسيس الاجتماعي للقضية الحسينية

من الروايات التي تلفت النظر في تأسيس الإمام الاجتماعي للقضية الحسينية، ما أورده المحدث الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه^(١)

(١) جعفر بن محمد بن جعفر بن موسى أبو القاسم بن قولويه، توفي سنة ٣٦٨ هـ. ترجم له السيد الخوئي في معجم رجال الحديث بعنوانين، وقال إن له كتباً حسناً منها، كتاب مداواة الجسد، وكتاب الصلاة، كتاب الجمعة والجماعة، كتاب قيام الليل، كتاب الرضاع، كتاب الصادق، كتاب الأضاحي، كتاب الصرف، كتاب الوطي بملك اليمين، كتاب بيان حل الحيوان من محرمة، كتاب قسمة الزكاة، كتاب العدد في شهر رمضان، كتاب الرد على ابن داود في عدد شهر رمضان، كتاب الزيارات، كتاب الحج، كتاب يوم وليلة، كتاب القضاء وأدب الحكام، كتاب الشهادات، كتاب العقيقة، كتاب تاريخ الشهور والحوادث فيها، كتاب النوادر.

ووصفه الشيخ المفيد (قدس سره) بالشيخ الصدوق، ونص شيخ الطائفة على وثاقته.

ويعتبر كتابه كامل الزيارات أو الزيارات، من أكثر الكتب اعتباراً عند الإمامية، إلى حد أن بعض أعلام العصر جعل من علائم الوثاقة في الراوي ورود اسمه في هذا الكتاب تبعاً لما نص عليه المؤلف في مقدمة الكتاب.

القمي في كتابه كامل الزيارات، حيث روى بسنده^(١) عن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام فقيل لي: ادخل! فدخلت، فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته، فسمعتة وهو يناجي ربه وهو يقول: اللهم يا من خصنا بالكرامة، ووعدنا بالشفاعة، وخصنا بالوصية، وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي، وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني، وزوار قبر أبي عبد الله الحسين، الذين انفقوا أموالهم، واشخصوا أبدانهم، رغبة في برنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسرورا أدخلوه على نبيك، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظا أدخلوه على عدونا، أرادوا بذلك رضوانك.

فكافهم عنا بالرضوان، واكلأهم بالليل والنهار، واخلف على أهاليهم وأولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف، واصحبهم، واكفهم شر كل جبار عنيد، وكل ضعيف من خلقك وشديد، وشر شياطين الإنس والجن، وأعطهم أفضل ما أملوا منك في غربتهم عن أوطانهم، وما آثرونا به على أبنائهم وأهاليهم وقراباتهم.

اللهم ان أعداءنا عابوا عليهم بخر وجههم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافا منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس، وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حفرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها

(١) نلاحظ في هذه الرواية أنها وردت عن الامام الصادق عليه السلام بستة طرق وهذا مما يزيد في الوثوق بها.

رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا.

اللهم إني أستودعك تلك الأبدان وتلك الأنفس، حتى توافيهم (ترويهم) من الحوض يوم العطش.

فما زال يدعو وهو ساجد بهذا الدعاء، فلما انصرف قلت: جعلت فداك لو أن هذا الدعاء الذي سمعت منك كان لمن لا يعرف الله عز وجل لظننت ان النار لا تطعم منه شيئاً ابداً، والله لقد تمنيت اني كنت زرته ولم أحج، فقال لي: ما أقربك منه فما الذي يمنعك من زيارته.

ثم قال: يا معاوية ولم تدع ذلك، قلت: جعلت فداك لم ادر ان الامر يبلغ هذا كله، فقال: يا معاوية من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الأرض^(١).

ونحن نلاحظ أن هذا الدعاء جاء في آخر الصلاة وفي حالة السجود وهي أفضل حالات العبودية لله تعالى وأقرب ما يكون العبد من ربه هو في تلك الحالة ونلاحظ في صيغة الدعاء أنه في البداية دعا الإمام عليه السلام لنفسه ولإخوانه ولزوار قبر الحسين عليه السلام، مع أن هؤلاء الأخيرين يمكن أن يدخلوا في العنوان الكبير السابق وهو (إخوانه) إلا أنه أفردهم بالعنوان ثم ركز كل الدعاء عليهم من جهاته المتعددة.

(١) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص ٢٢٩

نعتقد أن هذا الدعاء كان أحد وسائل الإمام الصادق عليه السلام في التأسيس الاجتماعي للقضية الحسينية داخل المجتمع الشيعي، وهناك وسائل آخر قام بها الإمام ودعا إليها.

◀ ماذا يعني التأسيس الاجتماعي للقضية الحسينية؟

نقصد بذلك أن يقوم الإمام عليه السلام بسن سنن وممارسات، تنتج في آخر الأمر أن تكون القضية الحسينية جزءاً من المجتمع حاضراً في تفاصيل حياته، يتفاعل معها ويتناغم بها، ولا يمكن أن ينساها بعدما صارت جزءاً من نسيجه الاجتماعي بل وطريقة حياته.

فلو نظرنا الآن الى أشهر المعارك في تاريخ المسلمين لوجدنا أنها معركة بدر وهي أول مواجهة عسكرية وكان فيها من الجهات المختلفة ما جعل القرآن يتحدث عنها باسمها^(١)، ولكن بالرغم من تلك الأهمية إلا أنك لا تجد لها حاضرة في وجدان المسلمين إلا نادراً، بمعنى أنه قد يمر على المسلم شهور ولا يذكر هذه المعركة أو لا تكون مناسبة لذكرها!

إلا أننا نجد خلاف ذلك في القضية الحسينية بالنسبة لشعبة أهل البيت، فمن العسير أن لا يتذكر الشيعي موضوع الحسين وقضيته في الشهر الواحد مراراً! وما ذلك إلا من خلال التأسيس الذي بلغ ذروته في توجيه الإمام الصادق عليه السلام شيعة للموضوع الحسيني.

(١) ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ آل عمران ١٢٣

ومع أنه قد سبق إلى بعض هذه الوسائل التي ستذكر الإمامان السجاد والباقر عليهما السلام، إلا أن غايتها القصوى واكتماها كان على يد الإمام الصادق عليه السلام وفي زمانه.

فمن الوسائل تلك:

١/ تشريع إقامة المجالس الحسينية والاجتماعات لذكر قضية كربلاء والتفجع على ما حصل للإمام وأهل بيته وأصحابه. فمع أن موضوع المآثم والعزاء على الحسين كان قد سبق زمان الإمام الصادق بفترة طويلة جدا، حيث أقيم مجلس الحزن والبكاء على الإمام الحسين في أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولو في ضمن الدائرة الخاصة (جبرئيل، النبي محمد، الإمام علي، فاطمة، الحسنين، وربما أم سلمة).

بل وفي ممارسات الإمام زين العابدين عليه السلام وجدنا شيئا كثيرا من ذكر الحادثة والتذكير بها، وهذا جليٌّ لمن اطلع على سيرة حياته، بل وهكذا الإمام الباقر عليه السلام. إلا أن الذي جعلها قضية اجتماعية مختلطة بحياة الشيعة ومتداخلة معهم هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

فقد جعل إقامة ذكر الحسين ومصيبته نحا من أنحاء إحياء أمرهم، وخطهم ومنهجهم فرغب فيه وحث عليه^(١)، وبالتدرج

(١) «أحيوا أمرنا» «من جلس مجلسا يحى فيه أمرنا لم يمته قلبه» وورد «كل بكاء وجزع مكروه ما خلا البكاء والجزع على الحسين عليه السلام فإنه فيه مأجور»

تحول المجلس الحسيني من جلسة عفوية لذكر الإمام الحسين إلى ما يشبه المؤسسة حتى أصبح ما نراه اليوم في العالم الشيعي بعد مروره بكثير من التطورات.

وأيد الإمام عليه السلام هذا التطور وأشار إليه في قوله للفضيل بن يسار: «تجلسون وتتحدثون؟ فقال: نعم، فقال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيأ أمرنا»^(١).

وأضيف إليها بعد ذلك أن أصبح لها متخصصون في الرثاء والإبكاء، يحفظون شعر غيرهم أو ينشئون شعرا في هذا المجال، وهؤلاء لهم طرق معينة في قراءة الرثاء بنحو يهيج الحزن، حتى أن أحدهم عندما أنشد شعرا عند الإمام الصادق في رثاء الحسين عليه السلام لا على النهج المعهود بين الشيعة، طلب منه الإمام أن يقرأه كما يقرأ عند عامة الشيعة^(٢).

ومع كثرة تأكيد الأئمة عليهم السلام على موضوع الستر وما يرتبط بحشمة النساء، غير أننا نجد في ما يرتبط بالمآتم الحسيني ما يشبه

(١) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي ١٤ / ٥٠١

(٢) كامل الزيارات ص ٢٠٨ عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته، فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقعة - قال: فأنشدته:

امرر على حدث الحسين فقل لأعظمه الزكية

قال: فبكى، ثم قال: زدني، قال: فأنشدته القصيدة الأخرى، قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي: يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعرا فبكى وأبكى عشرا كتبت له الجنة.. إلى آخر الحديث..

التشجيع على حضوره حتى وإن كان الأصل فيه هو الرجال. فقد استدعى الإمام أحد الرأثين لجدّه الحسين وأمره بالثناء كما أمر النساء بالاستماع وجعل ستارا بينهن وبين الرجال فما أن بدأ الرأثي حتى انفجر الجميع بالبكاء وعلت أصوات الرجال والنساء من التأثر^(١).

والخلاصة أن الإمام الصادق عليه السلام أحضر القضية الحسينية بقوة إلى المجتمع الشيعي من خلال المجالس والمآتم وما يرتبط بها. واليوم لا يمكن للإنسان الشيعي أن يمر عليه شهران لا يسمع فيها مآتما للحسين، وأما في مطلع كل سنة في عشرة محرم فالأمر أعظم من الإحصاء بل أعظم من التصور!

٢ / أحضر الإمام الصادق القضية الحسينية في المجتمع الشيعي من خلال العبادة. عندما أشار إلى الآثار المترتبة على تراب قبر الإمام الحسين عليه السلام.

وعندما نقول ذلك نؤكد على أن الإمام الصادق عليه السلام هو واحد من أئمة معصومين اثني عشر منصوبين من الباري سبحانه

(١) الكافي ٨ / ٢٤٠ عن سفيان بن مصعب العبدي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: قولوا لام فروة تجيء فتسمع ما صنع بجدها، قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثم قال: أنشدنا قال: فقلت: « فرو جودي بدمعك المسكوب ».

قال: فصاحت وصرحت النساء فقال: أبو عبد الله عليه السلام الباب الباب فاجتمع أهل المدينة على الباب..

لهداية الناس، وهم الذين أعطاهم الله علم ما مضى وعلم ما بقي، فإنها يكشفون بذلك عما علموه من جدهم عن ربهم سبحانه.

فربط العبادة الأساس في الدين وهي الصلاة، بقضية الحسين عليه السلام عندما أخبرهم باستحباب السجود في الصلاة على التربة الحسينية فروي عنه أن «السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرضين السبعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين كتب مسبحا وإن لم يسبح بها» و«كان لأبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام خريطة من ديباج صفراء فيها من تربة أبي عبد الله (الحسين)، فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجاده وسجد عليه قال: إن السجود على تربة أبي عبد الله عليه السلام تحرق الحجب السبع» بل «كان الصادق عليه السلام لا يسجد إلا على تربة الحسين عليه السلام تذلل الله واستكانة له»^(١).

ومن المعلوم أنه مع الالتزام بهذا الاستحباب بالسجود على تربة الحسين وكون المؤمن يسجد في كل يوم ٣٤ سجدة، على الأقل وهو مقدار السجودات في الصلاة الواجبة، فكيف له مع هذا أن ينسى أو يتجاهل قضية الحسين وذكره؟ وأما إذا أضفنا إليها ضعف ذلك مما هو في الصلوات المستحبة اليومية فيكون الأمر متضاعفا ليصبح ٦٨ سجدة إضافة إلى السابق.

٣/ بل وكذلك تم ربط الحياة الشخصية العادية للمؤمن بتذكر

(١) السجود على الأرض، الشيخ علي الأحدي، ص ١٢٣

أمر الحسين عليه السلام من خلال لعن ظالميه وقاتليه، والسلام والصلاة عليه عند شرب الماء، ومن المعلوم أن هذا ليس له حد، فكلما عطش المؤمن وأراد أن يشرب بارد الماء ليرفع عطشه ذكر الحسين فصلى عليه وذكر ظالميه فلعنهم. فعن داود الرقي قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ استسقى الماء فلما شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ثم قال لي: يا داود لعن الله قاتل الحسين عليه السلام وما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام وأهل بيته ولعن قاتله إلا كتب الله عز وجل له مائة ألف حسنة وحط عنه مائة ألف سيئة ورفع له مائة ألف درجة وكأنها أعتق مائة ألف نسمة وحشره الله عز وجل يوم القيامة ثلج الفؤاد^(١). وفي الأمالي نفس الحديث بزيادة «إني ما شربت ماء بارداً إلا وذكرت الحسين»^(٢).

٤ / وكانت الزيارات وسيلة ارتباط ومعرفة بالحسين عليه السلام، فتحولت بالتدرج إلى ما يشبه المهرجان العالمي كما نشاهده اليوم في مثل زيارة عاشوراء وزيارة الأربعين بل سائر الزيارات المستحبة في مناسباته المتعددة خلال السنة.

لقد أكد الإمام الصادق عليه السلام على أهمية زيارة الحسين، حتى في الموارد التي يرتفع فيها التكليف الواجب على الانسان كموارد الخوف واحتمال الضرر^(٣)، فضلاً عن غير هذه الموارد. فتارة نراه

(١) الكافي ٦ / ٣٩١

(٢) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٠٥

(٣) كامل الزيارات ص ٢٤٣ عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام،

يقدمها في فضلها على الحج المستحب بحيث لولا أنه لا يجب أن يترك الناس الحج لقال في فضلها أكثر من ذلك! ويستوي في ذلك الرجال والنساء^(١).

فكان الإمام عليه السلام بنفسه يذهب لزيارة جده الإمام الحسين خصوصا في تلك الفترة التي أقام فيها (مجبورا) في الحيرة والكوفة بعدما أشخصه السفاح والمنصور العباسيان في أول أيام الدولة العباسية، لمدة سنتين وقد أشرنا لذلك في بعض مواضع هذا الكتاب. فكان يذهب بنفسه للزيارة^(٢).

قال: يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين عليه السلام لخوف، فان من تركه رأى من الحسرة ما يتمنى ان قبره كان عنده، أما تحب ان يرى الله شخصك وسوادك فيمن يدعو له رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والأئمة عليهم السلام؟
وفي رواية أخرى في نفس الصفحة: عن ابن بكير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: اني انزل الارجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا خرجت فقلبي وجل مشفق حتى ارجع خوفا من السلطان والسعاة وأصحاب المسالِح، فقال: يا بن بكير أما تحب ان يراك الله فينا خائفا، أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في ظل عرشه، وكان محدثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من افزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فان فزع وقرته الملائكة وسكنت قلبه بالشارة.

(١) كامل الزيارات، ص ٢٣٧ عن أم سعيد الأحمسية، عن أبي عبد الله عليه السلام قالت: قال لي: يا أم سعيد تزورين قبر الحسين، قالت: قلت: نعم، فقال لي: زوريه فان زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء.
والمقصود هنا بقوله واجبة؛ المعنى اللغوي وهو أنها ثابتة.. مثلما جاء في القرآن عن الأضاحي ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾.

(٢) يشير لذلك ما نقله السيد ابن طاووس في كتابه فرحة الغري ص ٨٩ عن

كما أنه عليه السلام قد أنشأ عددا من نصوص الزيارات التي يزار بها الإمام الحسين عليه السلام. ويكفي لمعرفة ذلك ما نقله ابن قولويه في كامل الزيارات في باب زيارات الحسين عليه السلام فقد ذكر نحو (١١) إحدى عشرة زيارة له، هذا غير الزيارات المختصرة الموجزة. ونلاحظ أن رواية هذه الزيارات كانوا كثيرين مما يفيد حرص الإمام على تعليم أكبر مساحة من الأصحاب. فهناك زيارة مفصلة يرويها أبو حمزة الثمالي^(١) عنه، وروى غيرها عنه آخرون^(٢).

بهذه الوسائل نعتقد أن الإمام الصادق عليه السلام أسس لقضية الحسين وذكرها اجتماعيا بحيث أصبحت جزءاً من الحياة الاجتماعية للشيععة، ونقطة تجمعهم وعرضا لقوتهم ومنهجهم، واستمر هذا

الحسين الطائي، من أن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام مضى إلى الحيرة ومعه غلام له على راحلتين وذاع الخبر بالكوفة، فلما كان اليوم الثاني قلت لغلام لي: أذهب فأقعد في موضع كذا من الطريق فإذا رأيت غلامين على راحلتين فتعال إلي، فلما أصبحنا جاءني فقال: قد أقبلنا، فقمتم إلى بارية فطرحتها على قارعة الطريق، وإلى وسادة وصفرية جديدة وقتلتين علقتهما في النخلة، وعندها طبق من الرطب، وكانت النخلة صرفانه، فلما أقبل تلقيته وإذا الغلام معه، فسلمت عليه ورحب بي، ثم قلت جعلت فداك بأبي أنت وأمي هذا القبر الذي أقبلت منه قبر الحسين؟

قال: اي والله يا شيخ حقا، ولو أنه عندنا لحججنا إليه.

(١) كامل الزيارات ص ٣٩٣

(٢) كأبي الصباح الكناني والحسين بن عطية وعامر بن جذاعة، وعمار الساباطي، وجابر الجعفي، ومعاوية بن عمار الساباطي، ومعاوية بن عمار، ويوسف الكناسي، والحسين بن ثوير. راجع كامل الزيارات / باب زيارات الحسين.

الأمر إلى أيامنا هذه، فلا يمكن للعالم أن ينسى قضية الحسين وذكرى شهادته بعدما كان يعيشها شيعة أهل البيت المنتشرون في كل مناطق العالم، هذا فضلا عن عدم إمكان نسيان الشيعة إياها بعدما تداخلت مع نسيجهم الاجتماعي وممارساتهم العبادية بل والعادية.

رأي الإمام الصادق في الثورة المسلحة

شهد زمان الإمام الصادق عليه السلام قيام عدد من الثورات المضاد للنظام السياسي القائم نعرض لها باختصار ونشير إلى موقف الإمام من كل منها ونتخلص لنتيجة اجمالية.

١ / ثورة الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام:

وانطلقت تلك الثورة ضد هشام بن عبد الملك في سنة ١٢٠ هـ، في الكوفة تحذوها دوافع مختلفة، فمنها الظلم العام من الأمويين للطالبيين والذي كان سياسة عامة وطريقة مستمرة، كان من مظاهرها شتم سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام ولعنه في صلوات الجمعة وخطابة الخطباء! وأفزع أشكالها كان في معركة كربلاء وما جرى فيها وما بعدها، واستمر الأمر هكذا، هذا فضلا عن أن تولي بني أمية الحكم لم يكن مبررا من الناحية الدينية ولا العرفية، فلا هم قد أتوا على أساس قاعدة دينية تبيح لهم قيادة الأمة، ولا كان مجيئهم برضى الناس وإنما حصل ذلك بالتغلب والمؤامرات.

وأيضاً فإنه تنقل حادثة أشار فيها الشهيد زيد إلى أنه سمع في مجلس هشام بن عبد الملك شتم رسول الله ﷺ، فتراكمت كل تلك الأمور ودعته إلى النهضة في الكوفة حتى استشهد في سنة ١٢٠ هـ.

وقد مدح الشهيد زيد^(١) على لسان أكثر من إمام معصوم كما مدحت نهضته وأثني على الشهداء الذي قتلوا فيها. وزكيت منطلقاته في نهضته وأنه لو انتصر في نهضته تلك لوفى بما نهض لأجله وهو نشر العدل والدعوة إلى خط الإمامة.

نعم لم يتظاهر الإمام الصادق عليه السلام بتأييده علانية للثورة بالنحو الذي يجعله على خط المواجهة الصريحة والمعلنة بهذا المستوى مع الأمويين بالرغم من أن بعض أصحابه قد شاركوا في القتال إلى جانب زيد الشهيد.

٢ / ومن الحركات العسكرية المعارضة التي حصلت في زمان الإمام الصادق حركة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، الذي نهض فجأة في وجه الحجاج بن يوسف الثقفي بعدما كان

(١) قال السيد الخوئي في معجم رجال الحديث ٨ / ٣٥٨ هذا وقد استفاضت الروايات غير ما ذكرناه في مدح زيد، وجلالته وأنه طلب بخروجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمنها ما رواه الكشي بإسناده عن الفضيل الرسان- في ترجمة إسماعيل بن محمد [السيد الحميري (١٣٣)]- قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام بعد ما قتل زيد بن علي قال عليه السلام: رحمه الله أما إنه كان مؤمناً وكان عارفاً وكان عالماً وكان صدوقاً أما إنه لو ظفر لوفى أما إنه لو ملك لعرف كيف يضعها (الحديث).

من أعوان الأمويين منذ أيام شبابه وما قصة دوره في اعتقال مسلم بن عقيل عنا بعيد. ولا نجد في كلمات الإمام الصادق عليه السلام ذكرا حسنا ولو فيما بعد انتهائها عن حركة ابن الأشعث العسكرية، ولا نعتقد أن ذلك راجع فقط إلى الخلفية العائلية لعبد الرحمن الكندي هذا، وكونه هو وأبيه وأعمامه ممن دعم سلطة الأمويين وشاركوا في قتال الإمام الحسين عليه السلام، بل إن جده الأشعث بن قيس كان متهما بالمشاركة في قتل أمير المؤمنين عليه السلام.

بالرغم من استمرار حركته العسكرية ضد الحجاج الثقفي لفترة طويلة من الزمان (من ٨٠ هـ إلى ٨٥ هـ) بل وبالرغم من خروج بعض كبار الشيعة وغيرهم معه^(١)، إلا أننا لا نجد لها ذكرا حسنا في كلمات الإمام الباقر وابنه الصادق عليه السلام، مع أن حدثا كهذا لا بد أن يسترعي اهتمامهما.

نعتقد أن هذه الحركة كانت ضمن الطموحات السياسية الخاصة لعبد الرحمن، الذي تقلب في ولاءاته بين كونه أمويا بامتياز أيام يزيد بن معاوية، ثم زبيريا بنفس القوة أيام المختار الثقفي ليعود مرة أخرى ملتحقا بالأمويين ليوليه الحجاج الثقفي في سنة ٨٠ هـ على سيستان ويأمره بمحاربة رتبيل والخوارج، وبالنسبة للحجاج لم يكن مهما عنده أيهما كان المنتصر إنما كانت غايته أن يقتل ابن الأشعث في المعركة ويغلق ملف طموحاته السياسية! ولذلك لم يقبل الحجاج منه عهود الصلح التي عقدها مع أعدائه،

(١) كما قيل عن كميل بن زياد وسعيد بن جبير وغيرهم.

وإنما أمره بالاستمرار في المعارك، وغرضه في ذلك ما أشرنا إليه، وهنا آثار ابن الأشعث الجيش الذي كان معه ضد الحجاج الثقفي أولاً لينتهي بخلع بيعته وبيعة عبد الملك بن مروان فيما بعد. وبعد عدد من المعارك بينه وبين الأمويين هرب إلى سيستان ليقبض عليه رتبيل (عدوه السابق) فلما أرسل الحجاج لرتبيل هذا الأموال والهدايا لتسليمه استجاب له إذ (لا وفاء للملوك) لكن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث انتحر بإلقاء نفسه من أعلى قصر وكان في ذلك نهايته سنة ٨٥ هـ وقيل قتله رتبيل وأرسل رأسه للحجاج.

نعتقد أن هذه الحركة العسكرية كانت مصلحة بالكمال، استغل فيها ابن الأشعث النعمة العامة عند جيشه على الحجاج الثقفي ليجيئها لشخصه، ولم يكن عنده مانع أن يتحالف آخر الأمر مع رتبيل ملك ما وراء سجستان، وعدوه السابق لكي يضمن لنفسه بقاء الحياة والاستمرار، بينما كان أتباعه ومن ثار معه يعرضون على سيف الحجاج. هي مصلحة في مستوى قيادتها، ومصلحة أيضاً في استهدافاتها.

نعم كان في ذلك الجيش عدد غير قليل من القراء والفقهاء وطلبة الأمة في المجالات العلمية، بل كما ذكرنا كان بعض كبار الشيعة معه، وقد استغل حماسهم ضد الحجاج لأجل مصلحته الشخصية، فهي بهذا الاعتبار تكون من تحجير السياسيين لحماس أهل الدين والثائرين على الظلم لأجل مصالح أولئك السياسيين وصرعاتهم.

ولأجل هذا ربما وجدنا تجاهلاً تاماً لها في أحاديث الإمام الباقر حيث كانت في أيام إمامته، والصادق عليه السلام.

٣/ حركات بني الإمام الحسن المجتبي عليه السلام، والتي بدأت منذ الأيام الأولى لحكومة بني العباس وتصاعدت واشتدت في زمان المنصور العباسي، وكان أهمها حركة محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) حيث استشهد سنة ١٤٥ هـ. وقد فصلنا القول فيها في كتابنا سيد اللجنة الإمام الحسن بن علي؛ ولمن أحب التفصيل يستطيع الرجوع إليه، وخلاصة ما قلناه هناك نذكره في نقاط..

١/ لا ريب أن هناك تعاطفاً عاماً من قبل المعصومين عليهم السلام وشيعتهم بالتالي، تختلف درجاته فهو بالنسبة لثورة شهيد فخر، كبير للغاية، ودون ذلك هو بالنسبة لثورة محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية). أما أصل التعاطف فهو راجع إلى أنهم قد ظلموا بشكل كبير، وكان هذا أحد أسباب ثورتهم على ظالمهم، وكان ظالمهم - لا سيما المنصور العباسي وموسى الهادي - أقسى وأسوأ الخلفاء في مواجهة الثائرين، ومن الطبيعي هنا لو خير الإنسان بين التعاطف مع الظالم العاتي أو التعاطف مع المظلوم المتقي أن يختار الثاني.

٢/ إن هذا التعاطف لم يكن يبلغ درجة أن يكون الإمام المعصوم جزءاً من تلك الحركات الثورية أو أن يؤمن بكل ما تبشر

به وتنطلق منه! بل كان ينبغي أن يكون العكس بمعنى أن تلك الحركات وقادتها كان ينبغي أن يكونوا جزءاً من حركة الإمام المعصوم وسياسته.

فإننا نلاحظ مثلاً أن عبد الله بن الحسن والد (الثائرين الثلاثة محمد و ابراهيم وادريس) كان يشير بكون ابنه محمد هو المهدي، وسواء كان ذلك التبشير به عن اعتقاد أو عن عمل سياسي ودعائي يهدف إلى استقطاب الأنصار، فإنه كان خطأ واضحاً في رؤية الأئمة عليهم السلام، حيث أنهم يعلمون بأن المهدي هو من أبناء الحسين دون الحسن عليهما السلام، وأنه لم يأت زمانه بعد، وأنه ابن الحسن العسكري لا عبد الله بن الحسن، وأن فكرة (اسم أبيه كاسم أبي كما نقل عن الرسول في مصادر مدرسة الخلفاء) هي خاطئة، وربما يكون العباسيون قد أسهموا فيها أيضاً.

وكان رفض مثل تلك التوجهات يتراوح بين الإصحاح بها كما عن الإمام جعفر الصادق في موضوع حركة محمد النفس الزكية حتى تصور والده أن الإمام (يחסد!) ولده. بينما كان الإمام الصادق يخطئ فكرة المهديوية، ويشير إلى أنه لا توجد دولة لبني الحسن في تلك الفترة، وأن الأمر صائر إلى بني العباس، وهذا ما حصل تماماً.

وقد لا يكون الأمر بهذه الصورة وإنما يكتفي الإمام بعدم المشاركة مع العمل الثوري المعارض، ويكتفي منه الثائرون بهذا المقدار كما نقل في موقف الحسين بن عليّ شهيد فخر مع الإمام

موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام عندما عرض عليه أثناء ثورته الاشتراك معهم، فلما اعتذر الإمام منه ولم يجبه، قبل منه الحسين ذلك ولم يضطره للقبول.

٣/ في موقف العلماء تجاه قادة الثورات من بني الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وخصوصاً عبد الله بن الحسن المثنى والد محمد النفس الزكية يمكن أن نلاحظ ثلاثة مواقف:

- الانتقاد الشديد له والذم لمواقفه بل والتضعيف له في الرواية.

- التماس العذر له واعتبار ما صدر منه من أقوال ومواقف كانت على سبيل التقية واعتبار أنه لم يكن قد خالف خط الإمامة.

- التوقف في الموضوع لوجود الروايات المختلفة والمتضاربة.

ومن ذهب إلى الموقف الأول المرحوم السيد الخوئي أعلى الله مقامه، فإنه عند الحديث عنه في معجم الرجال قال: «إن الروايات قد كثرت في ذم عبد الله هذا» وقال أيضاً: «والمتحصل مما ذكرناه: أن عبد الله بن الحسن مجروح مذموم، ولا أقل من أنه لم يثبت وثاقته أو حسنه».

ونرى شبيهاً لهذا الموقف عند المحقق التستري في كتابه قاموس الرجال.

- وفي الطرف الآخر فقد ذهب السيد ابن طاووس الحسني إلى خلاف الرأي الأول تماماً مشيراً إلى صلاحه وحسن عقيدته وقبوله

إمامة الصادق عليه السلام. ووجه ما صدر منه في حقهم وبالعكس بالتقية وأن ذلك من أجل نفي العلاقة والارتباط بينهم حتى لا يتضرر الإمام الصادق ولا يؤخذ بجريرة بني الحسن الثائرين، من قبل السلطة العباسية.

وأشار إلى أنهم لم يكونوا يعتقدون في محمد بن عبد الله (النفس الزكية) أنه محمد المهدي المنتظر، ناقلا عن ابراهيم بن عبد الله أخيه أن محمداً قد قام لله للأمر بالمعروف، وأما المهدي فهو عِدَّة من الله لم يسم بعينه ولم يوقت زمانه».

ويظهر من العلامة الأميني في الغدير الميل إلى هذا الرأي. وللسيد المقرم كلام يسير في هذا الاتجاه فقد ذكر في كتابه عن السيدة سكينه «إني لا أرى لأي أحد التوقف في حسن حال هؤلاء العلويين بعد ما يقرأ هذه الرسالة المباركة من الإمام جعفر الصادق عليه السلام إلى بني عمه.

والموقف الثالث وهو التوقف في الأمر من دون الحكم عليهم بأي من الموقفين لوجود روايات دامة وهي التي استدلت بها أصحاب الموقف الأول، وأخرى مادحة وهي التي ساقها السيد ابن طاووس واحتمال صحة توجيه روايات الدم، مما جعل الأمر يكون مشكلاً على مثل العلامة المامقاني بحيث انتهى إلى القول بأنه كلما أمعن النظر في الروايات الدائمة والمادحة لم يهتد إلى وجه صحيح للجمع.

٤ / الحركة العباسية حين سرقت جهد العلويين:

قد لا يحتاج الباحث إلى تجشم عناء لتبيين موقف الإمام الصادق عليه السلام السلبي من الحركة العباسية، فإن هناك عدة عوامل تفرض ذلك الموقف السلبي:

الأول: أنها في أصلها كانت سرقة لجهد العلويين الذين تحركوا ضد الأمويين، وجاء العباسيون في لحظة تاريخية خاصة، فاستولوا على شيء لم يكن من حقهم، وسلبوا أصحاب الحق جهودهم ثم عدوا عليهم ينكلون بهم ويسئون إليهم. وبغض النظر عن طبيعة العلاقة التي كانت بين عبد الله بن محمد بن الحنفية (أبي هاشم) والذي كان رأس الحركة المضادة للأمويين وبين محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الذي استلم منه أسرار تلك الحركة والدعوة على أثر مرض أبي هاشم بفعل السم الذي دسه إليه (الوليد أو^(١)) سليمان بن عبد الملك وَاغتاله به.

بغض النظر عن طبيعة العلاقة والتي يرى بعض الباحثين أنها لم تكن متأصلة وإنما فرضها وجود محمد بن علي العباسي في الحميمة حين دس له السم، وتخوفه من أن تنتهي جهوده وتضيع، فكان أقرب الناس الموجودين في الحميمة (نسباً) له هو العباسي حيث يعتبران من بني هاشم وهم أبناء عمومة. أو أنها كانت سابقة وكان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس هذا تلميذاً لأبي هاشم كما

(١) اختلاف المؤرخين في أيها دس له السم بعد اتفاقهم على أصل الاغتيال.

تذهب إليه النظرية العباسية..

بغض النظر عن ذلك فإن النتيجة كانت هي أن سرق العباسيون تلك الجهود وحولوها لزعامتهم، فهم أبهموا العناوين مثل (الرضا من آل محمد) والحال أنه لا أحد منهم هو من آل محمد، ثم انتهى الأمر إلى أنه من ارتضاه بنو العباس لا غير. وكانت البداية في الكوفة والعراق حيث التشيع لآل علي، فانتهى التغيير إلى الابتعاد عن هذه المناطق والذهاب إلى خراسان، وقد نقل صاحب كتاب أخبار الدولة العباسية عن محمد بن علي قوله لبعض دعائه من اقترح عليه أن يعمل في الشام:

«أبى الله أن يأتي بالشمس من المغرب، وأحبّ أن يأتي بها من المشرق، وإنّ أهل الشام أعوان الظالمين، وآفة هذا الدين، وشيعة الملاعين، وقد ابتعثوا بنصرة بني أمية، وأغري أكثر أهل العراق بمشايعة بني أبي طالب، وقد خصّنا الله بأهل خراسان، فهم أنصارنا وأعواننا وذخائرنا»^(١). وفي تأكيد آخر على إبعاد الحركة عن آل علي وشيعتهم، نجد هذا النص منه «أما الكوفة وسواها فهناك شيعة علي وولده..»^(٢).

والثاني: أن هذه الحركة التي لم يكن لها مبرر ديني (كما يقول الشيعة مثلاً ذلك بالنسبة لأئمتهم من كونهم خلفاء النبي وأنه نص

(١) أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٥

(٢) أخبار الدولة العباسية ص ٢٠٦

عليهم) ولا مبرر شعبي بمعنى انتخابهم من الناس، فإن أربابها لتدعيم سلطانهم سلكوا الطريق الأعوج في القمع والعنف وهو ما تحدث عنه كبيرهم المنصور العباسي، فقال (إنهم رأونا بالأمس سوقة فليس تتمهد هيبتنا عندهم إلا بنسيان العفو..)^(١). وبالفعل فقد أغرقوا نزعاً في القمع وطاشت سهامهم فيه، حتى لقد ترحم الناس على أيام بني أمية - مع قسوتها - لما رأوا الأشد قسوة في أيام بني العباس.

وكان النصيب الأوفر من ذلك القمع والعنف على أهل البيت وأتباعهم وشيعة علي بن أبي طالب. وقد ذكرنا في بحث سابق عن سياسة المنصور وما صنع تجاه أمير المؤمنين علي عليه السلام كشخص، ومنهجه ومذهبه وفقهه..

ومن الطبيعي مع هذه الحال أن يكون موقف الإمام الصادق عليه السلام سلبياً تجاه هذه الحركة.

الثالث: كان موقف الإمام الصادق عليه السلام من (الدعوة) التي صارت عباسية، واضحا منذ البداية وحتى قبل أن تحسم الأمور بالكامل لهم، فإنه قد رد كل الدعوات التي وجهت إليه، ليكون

(١) تاريخ الإسلام للذهبي - ت بشار ٤ / ١١٠: قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ لِلْمَنْصُورِ: لَقَدْ هَجَمْتَ بِالْعُقُوبَةِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِالْعَفْوِ! قَالَ: لِأَنَّ بَنِي أُمَيَّةٍ لَمْ يُبَلِّ رَحْمَتَهُمْ، وَآلُ أَبِي طَالِبٍ لَمْ تُعَمِّدْ سَيُوفَهُمْ، وَنَحْنُ بَيْنَ قَوْمٍ قَدْ رَأَوْنَا أَمْسَ سَوْقَةٍ، وَالْيَوْمَ خُلَفَاءَ، فَلَيْسَ تَتَمَهَّدُ هَيْبَتُنَا فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا بِنَسْيَانِ الْعَفْوِ!

(قائدها) أو إمامها أو غير ذلك. وسواء كانت تلك الدعوات صادقة ساذجة أو كانت ماكرة خبيثة فإن الإمام عليه السلام قد ردها بوضوح ورفض الدخول فيها.

فقد نقل الشهرستاني في كتاب الملل والنحل أن أبا مسلم الخراساني «بعث إلى الصادق جعفر بن محمد رضي الله عنهما: إني قد أظهرت الكلمة، ودعوت الناس عن موالاته بني أمية إلى موالاته أهل البيت، فإن رغبت فيه، فلا مزيد عليك. كتب إليه الصادق رضي الله عنه: ما أنت من رجالي، ولا الزمان زمانني»^(١).

وذكر ابن الطقطقي في كتابه الفخري: أن أبا سلمة الخلال (كبير دعاة الدعوة) كاتب ثلاثة من أعيان بني علي عليه السلام «جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وعبد الله المحض بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام وعمر الأشرف بن زين العابدين عليه السلام وأرسل الكتب مع رجل من مواليهم، وقال له: اقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق، فإن أجاب فأبطل الكتابين الآخرين، وإن لم يجب فالق عبد الله المحض، فإن أجاب فأبطل كتاب عمر، وإن لم يجب فالق عمر، فذهب الرسول إلى جعفر ابن محمد عليه السلام أولاً، ودفع إليه كتاب أبي سلمة فقال ما لي ولأبي سلمة وهو شيعة لغيري؟ فقال له الرسول: اقرأ الكتاب فقال الصادق عليه السلام لخدمته: أدن السراج مني، فأدناه، فوضع الكتاب على النار حتى احترق فقال الرسول:

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١ / ١٥٤

ألا تحببه؟ قال: قد رأيت الجواب!«^(١).

واستمر هذا الموقف من تلك الحركة وزعمائها الذين أصبحوا خلفاء، إلى ما بعد توليهم فكان يتعد عنهم ولا يخالطهم ولا يضيفي عليهم شرعية بحضوره الطوعي معهم والتزام مجالسهم، بل ربما أصحح بموقفه ذلك كما نقل عنه جوابه للمنصور العباسي عندما كتب «إلى جعفر بن محمد عليه السلام: لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه: ليس لنا ما نخافك من أجله ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له! ولا أنت في نعمة فنهنيك ولا تراها نقمة فنعزيك بها فما نصنع عندك؟ قال: فكتب اليه تصحبنا لتصححنا فأجابه عليه السلام من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك»^(٢).

ملاحظات جامعة:

١/ إن الذهاب إلى أصل الثورة في الوضع السياسي، وأنها الأصل الأصيل في كل عمل، وهو ما كان عليه المذهب الزيدي قديماً حيث كان قد اشترط القيام بالسيف (ومعنى ذلك الثورة المسلحة) هو شرط للإمامة، وما هو عليه الآن لدى قسم من الحركات الإسلامية وهو ما نعتقد أنه - في القسم المبالغ فيه - هو تسريب من الحركات اليسارية التي نشطت في العالم العربي خصوصاً والعالم الإسلامي عموماً، من خمسينات القرن الماضي فصاعداً وربما ساعد على ذلك أن الأنظمة المتسلطة لم تترك مجالاً

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية لابن الطقطقي ص ١٥١

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٧، السيد البروجردي، ص ٢٨٠

للتغيير والإصلاح غير أن يكون بهذه الصورة.. هذا الأصل (الموهوم) والذي وصل في ذهن بعضهم إلى درجة أن من لا يؤمن بالثورة بهذا النحو أو لا يبارسها فلا قيمة له، مهما كانت درجته في العلم أو سعيه في الإصلاح الثقافي والاجتماعي.. هذا الأصل لا نرى له أصلاً في سيرة الإمام الصادق عليه السلام لا من الناحية النظرية ولا العملية والتطبيقية. بل ربما أشار الإمام إلى خطئه تلميحا^(١) لكيلا يحسب ذلك طعنا في حركة عمه الشهيد زيد بن علي والذي سبق أن ذكرنا موقفه في تزكيته) وأشار بالصرحة^(٢) إلى خطئه في

(١) الكافي، ج ١، الشيخ الكليني، ص ٢٢٢ فقد روى بسنده عن أبان قال: أخبرني الأحول (مؤمن الطاق) أن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام بعث إليه وهو مستخف قال: فأتيته فقال لي: يا أبا جعفر ما تقول ان طرقت طارق منا أخرج معه؟ قال: فقلت له: إن كان أباك أو أخاك، خرجت معه قال: فقال لي: فأنا أريد أن أخرج أجاهد هؤلاء القوم فأخرج معي قال: قلت: لا! ما افعَل جعلت فداك، قال: فقال لي: أترغب بنفسك عني؟ قال: قلت له: إنما هي نفس واحدة فإن كان لله في الأرض حجة فالمتخلف عنك ناج والخارج معك هالك وان لا تكن لله حجة في الأرض فالمتخلف عنك والخارج معك سواء.. ومثله بنفس النص تقريبا نقل القهبائي في مجمع الرجال ٢/٢٨٧ محاوره أبي خالد القماط مع أحد الزيدية عندما سأله: ما منعك أن تخرج مع زيد؟ وقد استحسنت الإمام عليه السلام جوابها.

(٢) الكافي، ج ٥ / ١٩، في جواب الإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه الذي قال للإمام: «فإن الزيدية يقولون: ليس بيننا وبين جعفر خلاف إلا أنه لا يرى الجهاد، فقال: أنا لا أراه؟! بلى والله إني لأراه ولكن أكره أن أدع علمي إلى جهلهم» ومعنى ذلك أن الإمام عليه السلام يرى الجهاد ويؤيده سواء كان مع الكفار أو مع سلاطين الجور، ولكن ذلك شروطا واعتبارات فلا يكفي أن يكون الحاكم ظلما حتى ترفع سيفك عليه وتسوق من وراءك للاصطدام به!

رده على بعض بني الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

٢ / لا يتنافى ما ذكرناه آنفا مع ما ورد من الروايات التي تعظم من أجر الشهيد في مقابل الظالم، وأن أعظم الناس أجراً هو من قام في وجه إمام جائر فنصحه فقتله.. وما ورد في حق الإمام الحسين عليه السلام من أن الله عوضه بشهادته أن جعل الأئمة من ذريته والشفاء في تربته واستجابة الدعاء تحت قبته.

وذلك أن قضية الإمام الحسين عليه السلام متفردة من جهاتها المتعددة (قائدها، والظالم الذي واجهته، والظروف التي أحاطت بالمواجهة) ولتفردها وتميزها فإننا لا نجد تكراراً لها من أي إمام من الأئمة المعصومين مع أن الإمامة بعده عليه السلام استمرت في أبنائه المعصومين نحو قرنين من الزمان. وشهدت هذه الفترة عشرات الحركات والمواجهات الدموية بين ثائرين وبين السلطات إلا أن الأئمة عليهم السلام في كل تلك الأدوار لم يشاركوا فيها فضلاً عن قيادتها.

وأما الثواب المترتب على شهادة الثائر في مواجهة الظالم مع سلامة منطلقات الثائر فهو صحيح ولا ريب فيه، ولكن شتان بين اختيار الشخص لنفسه ذلك الاختيار وبين سوق الأمة لتقوم معه وما يترتب عليه ذلك.. وذلك فإن بإمكان الإنسان نفسه أن يختار لنفسه أعلى درجات التضحية والشهادة، فلا يمارس التقية ولا يعمل بها وإنما «يتعجل الشهادة» كما ورد في حق بعضهم، ولكن أن يقود جمعاً من الناس ليقوموا بهذا الدور طاعة له، فهذا لا يصح منه

إلا أن يكون معصوماً أو مأذوناً من المعصوم! وأما غيرهما فلا يحق لهما ذلك، لا سيما وأن في القضية انسفاك الدماء، وخسارة الأموال والتأثير على المؤمنين، فكل ذلك يقتضي أن يكون ما يؤدي إليه مشروعاً ومأذوناً فيه.

إن ما يراه البعض من أن نفس الثورة تشرع لنفسها، وأن عنوان الجهاد نفسه يسوغ للمجاهد أن يحرك الناس مثلاً في خط القتال، أو السجن أو التهجير أو غير ذلك، بالرغم من أنه يتلاقى مع النظرة العاطفية والحماسية إلا قد لا يتفق مع النظرة الشرعية.

وربما يكون هذا أحد الأسباب التي صنعت الانفصال بين الحركات الإسلامية وبين المرجعيات الدينية، وذهبت الأولى في مسالك مختلفة تبتغي من ورائها الحصول على شرعية لأعمالها.

الحياة الاسرية للإمام الصادق

قد تقدم بعض الحديث عن والدة الإمام الصادق عليه السلام أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، فلا نعيده هنا، وإنما نشير إلى بعض ما ورد في شأن أولاده ونسائه.

◀ نسائه وزوجاته:

وأول ما يلفت النظر هنا أنه عليه السلام بالرغم من وجود حرائر في نسائه بل هاشميات، إلا أن الإمام الكاظم ابنه عليه السلام، بل وخيرة أبنائه كانوا من أمهات الأولاد!^(١)

فقد ذكر النسابون والمؤرخون أنه تزوج عليه السلام فاطمة بنت الحسين (الأثرم) بن الإمام الحسن بن علي وأولدها إسماعيل وعبد

(١) ذكرنا في مواضع متعددة من سلسلة سيرة المعصومين عليهم السلام، ماذا يعني أمهات الأولاد وسر كون أمهات الأئمة عليهم السلام من بعد الإمام الصادق إلى الإمام المهدي من هذا الصنف من النساء، فراجع كتابنا كاظم الغيظ: الإمام موسى بن جعفر، والآخر عالم آل محمد: علي بن موسى الرضا، وهكذا كتاب الإمام الجواد عليه السلام.

الله (الأفطح) وبتتأ يقال لها أم فروة.

كما نكح حميدة المصفاة البربرية^(١) بملك اليمين وأنجب الإمام موسى عليه السلام ومحمداً (الديباج) واسحق (المؤتمن) وعلياً العريضي وبتتأ يقال لها فاطمة الكبرى.

وقد ورد في الروايات مدح كثير لحميدة، فقد نقل أن الإمام الصادق عليه السلام كان يُرجع النساء لها في الفتيا، كما أنها هي التي اختارت السيدة نجمة كي يتزوجها الإمام الكاظم عليه السلام؛ لتلد الإمام من بعده، وذلك بعد أن رأت النبي في رؤيا، وأمرها بهذا التزويج.

بل ورد أن الإمام عليه السلام كان يبعثها مع والدته أم فروة لقضاء حقوق أهل المدينة. ونقل عنها روايات عن الإمام الصادق فقد روى أبو بصير قال: دخلت على حميدة أُعزّيها بأبي عبدالله عليه السلام، فبكت وبكى لبعائها، ثم قالت: يا أبا محمد، لو رأيت أبا عبد الله عليه السلام عند الموت لرأيت عجباً، فتح عينيه، ثم قال: اجمعوا كل

(١) يثير السؤال ويحتاج إلى البحث، وجود امرأة في المغرب الكبير (وفي قسم البربر) الذين يعرفون حالياً بالأمازيغ، وتكون هذه المرأة بالصفات التي ذكرتها الروايات (حميدة محمودة في الدنيا وفي الآخرة) وفي رواية أخرى (حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب وما زالت الأملاك تحرسها حتى أدت إلي كرامة من الله تعالى وللحجة من بعدي) فهل نبتت هذه فجأة هكذا؟ وأنها جاءت هكذا (كمادة خام) فتعلمت ونشأت أو أنها - وأهلها - كانت على معرفة بأهل البيت عليهم السلام وكانت الأملاك تحرسها حتى وصلت إلى مستقرها من الكرامة في بيت الإمام عليه السلام؟ يحتاج الأمر إلى بحث أكثر.

مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ، قَالَتْ: فَمَا تَرَكْنَا أَحَدًا إِلَّا جَمَعْنَاهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: إِنْ شَفَاعَتُنَا لَا تَنَالُ مُسْتَخْفًا بِالصَّلَاةِ.

وقد توفيت في المدينة المنورة ويقع قبرها في مشربة أم إبراهيم الواقعة في منطقة العوالي شرقي مقبرة البقيع، وكان عليه بناء مشيد لكنه هُدم في الفترة نفسها التي هدمت فيها قبور البقيع.

◀ أولاده العشرة:

بالإضافة إلى ما ذكرنا ولد له عليه السلام عشرة من الأبناء والبنات، اختلفت مراتبهم وأدوارهم

١ / فأعظمهم شأنًا: هو الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم، ولد سنة ١٢٨ هـ وقد جاء ثالث الأبناء بعد إسماعيل وهو الأكبر ثم عبد الله المعروف بالأفطح، وكان الثالث الإمام موسى عليه السلام. وتناولنا بعض سيرته في كتابنا كاظم الغيظ.

٢ / إسماعيل بن جعفر:

وأمه فاطمة بنت الحسين الأثرم بن الإمام الحسن عليه السلام، وكان الأكبر من ولد الإمام الصادق عليه السلام، وكان أبوه يحبه حبا شديداً، وتوفي في حياة أبيه سنة ١٣٣ هـ، ونظراً لكونه الأكبر من جهة ولمحبة أبيه إياه الشديدة من جهة أخرى فقد ظن بعض الشيعة أنه هو الإمام بعد أبيه، هذا بالرغم من أن الإمام الصادق عليه السلام نفى أن يكون إماماً من بعده^(١)، لكن وفاته قبل أبيه بوقت طويل،

(١) مسند الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي / ١ / ٤٠٨ عن إسحاق

وتأكيد الإمام على ذلك في مناسبات عديدة واستشهاده من حضر جنازته (وخصوصا من كان يعتقد بإمامته) على موته^(١)، جعل الأغلب يتراجعون عن فكرة إمامته إذ لا يعقل أن يكون خليفة أبيه ويموت قبله! إلا أنه على الرغم من ذلك فقد ذهب جماعة

بن عمار الصيرفي قال وصف إسماعيل بن عمار أخي لأبي عبد الله عليه السلام دينه واعتقاده فقال إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنكم ووصفهم يعني الأئمة واحدا واحدا حتى انتهى إلى أبي عبد الله عليه السلام ثم قال وإسماعيل من بعدك قال أما إسماعيل فلا.

(١) المصدر السابق ٤١٢/١ - عنه روي عن زرارة بن أعين أنه قال دخلت على أبي عبد الله وعن يمينه سيد ولده موسى عليه السلام وقدامه مرقد مغطى فقال لي يا زرارة جئني بدواد بن كثير الرقي وحرمان وأبي بصير ودخل عليه المفضل بن عمر فخرجت فأحضرته من أمرني بإحضاره ولم يزل الناس يدخلون واحدا أثر واحد حتى صرنا في البيت ثلاثين رجلا فلما حشد المجلس قال يا داود اكشف لي عن وجه إسماعيل فكشف عن وجهه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا داود أخي هو أم ميت؟ قال داود: يا مولاي هو ميت فجعل يعرض ذلك على رجل رجل حتى أتى على آخر من في المجلس وانتهى عليهم بأسرهم كل يقول هو ميت يا مولاي! فقال: اللهم اشهد ثم أمر بغسله وحنوطه وإدراجه في أثوابه فلما فرغ منه قال للمفضل يا مفضل احسر عن وجهه فحسر عن وجهه فقال أخي هو أم ميت فقال ميت.

قال اللهم اشهد عليهم ثم حمل إلى قبره فلما وضع في لحده قال يا مفضل اكشف عن وجهه وقال للجماعة أخي هو أم ميت قلنا له ميت فقال اللهم اشهد واشهدوا فإنه سيرتاب المبطلون يريدون إطفاء نور الله بأفواههم ثم أوماً إلى موسى عليه السلام والله متم نوره ولو كره المشركون ثم حثونا عليه التراب ثم أعاد علينا القول فقال الميت المحنط المكفن المدفون في هذا اللحد من هو قلنا إسماعيل قال اللهم اشهد ثم أخذ بيد موسى عليه السلام وقال هو حق والحق منه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إلى ثبوت الإمامة له، وساقوها بعد ذلك في ابنه. وزعموا في هذا أن الإمام الصادق عليه السلام أقام جنازة وهمية! له حتى يبعد عنه نظر العباسيين! وتأسس على أثر ذلك المذهب الإسماعيلي^(١). في حين رأى أكثرية الشيعة أنه لم ينص عليه في حياته بل على العكس من ذلك ينقلون أحاديث تنفي النص عليه! ويؤكدون على أن الإمام إنما قام بكل تلك الأمور: من المشي حافياً في جنازته، والكتابة على كفنه بعد أن كشف أمام الناس وجهه ميتاً، وإشهاد نحو ثلاثين شخصاً من مشهوري أصحابه وإراءتهم إياه ميتاً، بل واستئجار من يحج عنه بعد موته^(٢).. كل ذلك من أجل القضاء على فكرة إمامته التي كان يتوقعها بعض الشيعة.

ولا يضر إسماعيل في جلالته أن اتخذه البعض إماماً من غير وجه حق، فإنه لم يدع الإمامة في حياته، ولا يضره فعل أولئك الأشخاص بعد موته، ولذلك قال السيد الخوئي: «والمتمحصل أن إسماعيل بن جعفر، جليل، وكان مورد عطف الإمام عليه السلام، على ما نطقت به صحيحة أبي خديجة الجمال»^(٣).

(١) يراجع تفصيل الأقوال وكيفية تأسيس المذهب في سلسلة حلقاتنا: من تاريخ المذاهب في الإسلام.

(٢) الكافي ٤/ ٣١٢: عن عبد الرحمن بن سنان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل فأعطاه ثلاثين ديناراً يحج بها عن إسماعيل، ولم يترك شيئاً من العمرة إلي الحج إلا اشترط عليه أن يسعى في وادي مُحَسَّر، ثم قال: يا هذا، إذا أنت فعلت هذا كان لإسماعيل حجة بما أنفق من ماله، وكانت لك تسع بما أنعبت من بدنك.

(٣) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي ٤: ٤١

٣ / عبد الله بن جعفر (الافطح):

وهو الأخ الشقيق لاسماعيل وأمهما فاطمة بنت الحسين الأثرم كما تقدم، ويتلوه في العمر وهو كما يظهر من الروايات وآراء الرجالين الشيعة غير ممدوح، وقد توفي في السنة نفسها التي توفي فيها والده الإمام الصادق بعده بمدة وجيزة (قيل ٧٠ يوماً)، ومع أنه لم يعرف بالعلم^(١) إلا أنه تصدى مع ذلك للإمامة وادعاها لنفسه، وتشير بعض الروايات الواردة عن الإمام الصادق إلى أنه كان يتوقع منه ذلك، وأنه سينزع الإمام موسى بن جعفر أخاه في الإمامة بتصديه لها، وتفيد تلك الروايات بأن الإمام الصادق عليه السلام أمر ابنه الكاظم بأن لا يدخل معه في معركة فإن عمره قصير!^(٢)

وقد أشار الكشي إلى أنه قد قال بإمامته عدد من مشايخ الطائفة، ومالوا أول الأمر إليه، لما دخل عليهم من الشبهة في أن الإمامة ينبغي أن تكون في الأكبر من ولد الإمام إذا مضى، لكن بعضهم رجع عن القول بإمامته لما امتحنه بمسائل من الحلال والحرام لم يكن عنده فيها جواب، ولما ظهر منه من الأمور التي لا ينبغي أن يظهر من الإمام^(٣)

(١) وصفه الشيخ المفيد قائلاً: بأنه كان متهما بالخلاف على أبيه في الاعتقاد ويقال إنه كان يخالط الحشوية ويميل إلى مذاهب المرجئة.

(٢) روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لموسى يا بني إن أخاك سيجلس مجلسي ويدعي الإمامة بعدي فلا تنازعه بكلمة فإنه أول أهلي لحوقاً بي.

(٣) اختيار معرفة الرجال قال الكشي: الفطحية هم القائلون بإمامة عبد الله بن جعفر بن محمد.

وسمي أتباعه بالفطحية لأنه قيل إنه كان أفتح الرأس أو الرجلين.

٤ / علي بن جعفر الصادق:

يتمتع علي بن جعفر بمكانة عالية عند رجالي الشيعة وفقهائهم، لما كان عليه من العلم والمعرفة من جهة ومن إقراره للأئمة المعصومين بالإمامة مع كونه أكبر منهم سنّاً، وكونه ابن إمام معصوم، الأمر الذي ربما سقط في امتحانه قسم من أبناء المعصومين فاعتبروا مجرد انتسابهم للأئمة كافياً لأن يدعوا الإمامة، وأن يتبعهم الناس!

فقد اعترف أولاً لأخيه الشقيق موسى بن جعفر بالإمامة ونقل الحديث عنه حتى كتب كتاباً مهماً في مسائل الفقه بروايته عنه عرف باسم/ مسائل عليّ بن جعفر. كما أقر لابن أخيه علي بن موسى الرضا بالإمامة واتبعه ودعا إليه، وناصره على من ناواه من الواقفية! بل واعترف للإمام محمد الجواد عليه السلام^(١) وهو في ذلك الوقت يتجاوز به بأضعاف عمره حيث تولى الجواد الإمامة وهو

(١) عن علي بن جعفر بن محمد عليه السلام، قال، قال لي رجل أحسبه من الواقفة ما فعل أخوك أبو الحسن قلت قد مات، قال وما يدريك بذلك قلت اقتسمت أمواله وأنكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده، قال ومن الناطق من بعده قلت ابنه علي، قال فما فعل قلت له مات، قال وما يدريك أنه مات. قلت قسمت أمواله ونكحت نساؤه ونطق الناطق من بعده، قال ومن الناطق من بعده قلت أبو جعفر ابنه، قال، فقال له أنت في سنك وقدرك وابن جعفر بن محمد عليه السلام تقول هذا القول في هذا الغلام قال، قلت ما أراك إلا شيطاناً، قال، ثم أخذ بلحيته فرفعها إلى السماء ثم قال فما حيلتي إن كان الله رآه أهلاً لهذا ولم ير هذه الشيبة لهذا أهلاً.

صغير السن في حين كان علي بن جعفر شيخاً كبيراً، فكان بيدي من مظاهر الاحترام والتقدير لابن أخيه ما يدهش من يراه وكان يعلل ذلك بأنه يفعل ذلك له لأن الجواد إمامه!^(١)

ومن هنا فقد رفضنا الرواية التي تروى عنه في حياة الإمام الرضا والجواد عليهما السلام والتي ورد فيها في المقدمة أنه ومعه بنو هاشم قد ظلموا الإمامين.. وانتهت إلى الحديث عن عرض الجواد على القافة.. فإنها نسبت إليه ظلم الإمامين وهو على خلاف سيرته معهم^(٢)..

قال عنه الشيخ المفيد «وكان علي بن جعفر رضي الله عنه راوية للحديث شديد الطريق شديد الورع كثير الفضل ولزم أخاه موسى عليه السلام وروى عنه شيئاً كثيراً من الاخبار».

ويعرف بالعريضي (مصغراً) كما يعرف نسله بذلك، وهي منطقة في أطراف المدينة، وكان مدفن علي بن جعفر فيها وله مقام

(١) الكافي ١/ ٣٧٠ عن محمد بن الحسن بن عمار قال: كنت عند علي بن جعفر بن محمد جالسا بالمدينة وكنت أقيمت عنده سنتين أكتب عنه ما يسمع من أخيه - يعني أبا الحسن عليه السلام - إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام المسجد - مسجد الرسول ﷺ - فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام: يا عم اجلس رحمك الله فقال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم، فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون: أنت عم أبيه وأنت تفعل به هذا الفعل؟ فقال: اسكتوا إذا كان الله عز وجل - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون، بل أنا له عبد!

(٢) راجع كتابنا: الأعظم بركة الإمام محمد الجواد عليه السلام.

مشيد قبل أن يتم هدمه.

٥ / محمد بن جعفر الصادق: ت ٢٠٣

يستفاد من تاريخه أنه كان في خط الثورة الزيدية، وأنه كان يرى الخروج المسلح على السلطة، ولأجل ذلك فلم يكن على انسجام مع خط الأئمة المعصومين عليهم السلام بل يستفاد من بعض الروايات أن ابن أخيه الإمام الرضا عليه السلام كان مقاطعاً له، لكيلا ينقل عنه ما لا يصح وفي هذا إشارة إلى سوء حاله^(١). وكما سيأتي فيما بعد فإنه لما صالح المأمون وتراجع عن ثورته عليه، ووفد عليه تعجب من أن الإمام الرضا كيف يعلم هذه العلوم ولم يختلف إلى عالم يدرس عليه!^(٢) وهذا يشير إلى عدم معرفته بمقام الإمام فضلاً عن قبوله وتصديقه!

(١) كنت عند أبي الحسن الرضا عليه السلام فذكر محمد بن جعفر بن محمد عليهما السلام فقال إنني جعلت على نفسي أن لا يظلني وإياه سقف بيت فقلت في نفسي هذا يأمرنا بالبر والصلة ويقول هذا لعمه فنظر إليّ فقال هذا من البر والصلة إنه متى يأتيني ويدخل عليّ فيقول فيّ يصدقه الناس وإذا لم يدخل عليّ ولم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال.

(٢) لما سأل المأمون الرضا عليه السلام عن الآيات المنافية للعصمة ظاهراً فأجابها عنها كلها قال ابن الجهم: فقام المأمون إلى الصلاة وأخذ بيد محمد بن جعفر بن محمد، وكان حاضر المجلس وتبعتهما فقال المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ قال: عالمٌ ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم فقال المأمون: إن ابن أخيك من أهل بيت النبوة الذين قال فيهم النبي ﷺ ألا إن أبرار عترتي وأطياب أرومتي أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم؛ لا يخرجونكم من باب هدى، ولا يدخلونكم في باب ضلال! انظر إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الحر العاملي، ٢ / ٥٢

بينما المأمون وهو المحسوب على أعدائهم يفهم تلك الحقائق؟

وبالرغم من أن الإمام الرضا عليه السلام نصحه أول دعوته لنفسه وتسميه بأمر المؤمنين (!) بترك ذلك إلا أنه لم يترجع، وأعلن ثورته على المأمون العباسي سنة ١٩٩ هـ في مكة، وعندها أرسل له المأمون أحد قواده العسكريين فهزمه، وأسر محمدا هذا، الذي خلع نفسه من الخلافة وإمرة المؤمنين ولبس شعار العباسيين، ثم أرسله القائد العباسي إلى خراسان فكان المأمون يأذن له بالدخول عليه باستمرار ويسترفقه معه في أسفاره، وفي إحدى سفراته من خراسان إلى جرجان وكان معه محمد بن جعفر توفي فجأة هكذا!

ويقال إنه لما مات نادى منادي المأمون: ألا لا تسيئ الظن بأمر المؤمنين فان محمد بن جعفر جمع بين أشياء في يوم واحد، وكان سبب موته انه جامع واقتصد ودخل الحمام ومات^(١).

ونحن لا نستبعد أن يكون قد اغتيل بالسم، بعدما وأن ما نادى به منادي المأمون هو من باب: يكاد المرعب أن يقول خذوني! فإنه بعدما أعلن ثورته وتسمى باسم أمير المؤمنين! وكان يركب للمأمون في حاشيته من بني هاشم (أشبه ما يكون بالاستعراض) وقالوا إن المأمون كان يحتمل منه ما لا يحتمل من سائر الناس من الرعية، نحتمل أن يكون محمد بن جعفر قد شكل ملفاً مزعجاً للمأمون بهذه الطريقة ولا يعتقد أنه كان مخلصاً لهم وإنما هُزم في

(١) مسند الإمام الصادق عليه السلام / ١ / ٤٣٨

مواجهة عسكرية، وهم لا يأمنون بعد أن يشتد أمره أن يعاود الكرة، ما دام ينهج منهج الزيدية من أن من شروط الإمامة النهوض بالسيف!

نحتمل هنا أن المأمون أمر بأن يتم تسميمه! وفي تلك الازمان لا يوجد مجال للفحص الطبي أو كشف أسباب الوفاة أو ما شابه، ولكن الأمر مثير للتهمة وهذا ما دعا منادي المأمون لمثل ذلك النداء! وقد ذكرنا في موضع آخر من هذه السلسلة كيف أن الحكام العباسيين قد استخدموا السم على نطاق واسع للقضاء على إخوتهم ومنافسيهم في العرش فضلا عن خصومهم.

٦ / إسحاق بن جعفر الصادق (المؤمن)

مدح ممن ترجمه من رجالي الطائفتين فقد قال فيه المفيد: كان إسحاق بن جعفر من أهل الفضل والصلاح والورع والاجتهاد وروى عنه الناس الحديث والآثار وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول حدثني الثقة الرضي إسحاق بن جعفر وكان إسحاق يقول بإمامة أخيه موسى بن جعفر عليه السلام وروى عن أبيه النص بالإمامة على أخيه موسى عليه السلام. كما كان من شهود وصية الإمام موسى بن جعفر لابنه علي بن موسى عليه السلام. وفي هذين الأمرين من التزكية له بعد اعترافه بإمامتهما عليهما السلام ما يكفي.

ويذكر أنه قدم إلى مصر في سنة ١٩٣ هـ، ومعه زوجته السيّدة

نفيسة بنت الحسن بن زيد الحسيني^(١) وبقيت معه هناك إلى أن توفيت في سنة ٢٠٨ هـ ولها المقام المعروف بالست نفيسة والذي يعتقد فيه المصريون الاعتقاد الكبير لجلالة صاحبتة ولما رأوا من الكرامات التي حصلت على أثر التوسل بالسيدة نفيسة عند الله في قضاء حوائجهم. وهو أيضا توفي في مصر.

٧ / عباس بن جعفر الصادق

لم نعر على معلومات عنه في الكتب سوى أنه من أولاد الإمام وأنه كما قال المفيد كان فاضلا نبيلًا. وقال أبو نصر البخاري: أما العباس بن جعفر بن محمد عليه السلام فما ولد له ولد، لا ذكر ولا أنثى، عليه جميع النسابة.

(١) المقفى الكبير، تقي الدين المقرئزي ٣ / ١٧٨

علوم الإمام الصادق

ما أن يذكر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، حتى يتبادر إلى السامع أو القارئ صورة الإمام العالم المحيط بعلوم مختلفة. ويرتاح البعض من شيعة الإمام أيما ارتياح عندما يتحدث المتحدثون أو يكتب المؤلفون عن إحاطة الإمام عليه السلام بالعلوم الطبيعية لا سيما الكيمياء والفيزياء والطب بل والفلسفة، وحين يتعرض أحد إلى سبق الإمام عليه السلام في نظرياته في نشأة الكون وتعليمه جابر بن حيان الطرطوسي الكيمياء وتأليف جابر مئات الرسائل في هذا الجانب فهو الذي ينعش أسمع السامعين.

ولا ريب أن ذلك كله حق، وأن علم الأئمة عليهم السلام ومنهم الإمام الصادق لا يشكّل «جميع ما لديه، بل إنّ الامام على رأي الإمامية يجب أن يكون عالماً بكلّ شيء وأعلم الناس في كلّ علم وفنّ ولسان ولغة، كما يقتضيه حكم العقل، ولو نظرنا الى الدليل السمعي من دون أن نثبت له الإمامة الإلهية لفهمنا منه أن في كلّ زمان عالماً من العترة بالكتاب والسنة كما هو مفاد حديث الثقلين

وأن عالم الكتاب الذي نزل على الرسول تبياناً لكل شيء يجب أن يكون عالماً بكل شيء»^(١).

وبالتالي فلسنا بحاجة كبيرة لأن نرد على المستشرقين أو تلامذتهم فضلاً عن المتطرفين من أتباع المدرسة الأخرى حين ينكرون وجود جابر وأمثاله من التلامذة تارة أو يرفضون وجود صلة بين الإمام عليه السلام وبينهم أخرى، أو ينسبون التلامذة لشخص آخر ثالثة!

إلا أننا مع ذلك لا نعتقد أن هذه العلوم لها الأولوية أو الأهمية الكبرى في حياة الإمام الصادق عليه السلام، ونرى أنها بالقياس إلى ما سيأتي الكلام عليه تقع في ذيل القائمة من حيث أهميتها الدينية بل والحياتية.

وذلك لأننا نعتقد أن مثل هذه العلوم أقصى غايتها - عند الناس - هي أن تحسن أمور حياتهم الدنيوية، وتضفي مزيداً من الرفاهية عليها ليس أكثر! ذلك أن نتائج العلوم الطبيعية من الفيزياء والكيمياء والطب وغيرها، إنما تتجسد في «أدوات» وآلات وأجهزة تجعل حياة الإنسان الدنيوية أكثر راحة ورفاهية. فإذا كان يستغرق مرضه في السابق فترة أطول وتكون معاناته أكبر أو حتى يموت على إثر وجود بعض الأمراض فإن نتائج النظريات والحقائق العلمية الطبية تمكنه من تقليص كل ذلك وتساعده على

(١) الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ محمد حسن المظفر، ١ / ١٨٥

تحصيل الشفاء وطول العمر مثلا. وهكذا نتائج علم الميكانيك وسواه تجعل السفر أسهل عندما تبتكر وتصنع وسائل في الانتقال أكثر راحة وأسرع.. وهكذا.

وهذه الأهداف في المقياس العام الكوني ليست بأهمية معرفة خالق الحياة والأحياء، بل ولا بأهمية معرفة هدف حياة الانسان في مدة عمره، ولا بأهمية معرفة ما يقرب من الله ويكسب الإنسان الخلود الأخروي في النعيم!

وقد يكون هذا المنطق غريبا على بعض الناس فإن القيمة الكبرى عندهم هي لـ (الحضارة الغربية) وما أنتجته، وأكسبتهم السعادة والرفاه كما يعتقدون بنتائج أدواتها وآلاتها. إلا أن غرابة المنطق على هؤلاء الناس لا يعني أنه ليس صحيحا! فقد رضعوا حب هذه الأم بالتدرج من صغرهم.. وهل يلام المرء على حب أمه؟

ومن خلال هذه النظرة التي قدمناها في تأخر مرتبة هذه العلوم الطبيعية الدنيوية التي أقصى نتيجتها زيادة رفاهية الإنسان نعتقد أن العلم الإلهي وحملته (بل حتى الرواة عنهم) يتقدمون مرتبة على حملة العلوم الطبيعية وإن كان ذلك منقولا عن المعصومين عليهم السلام، فنعتقد أن هشامًا بن الحكم مثلا أو مؤمن الطاق اللذين كانا متخصصين في المعارف العقائدية الدينية، وزرارة بن أعين ومحمدا بن مسلم الثقفي الفقيهين البارعين في الأحكام الشرعية، وما يحملان من

علم هم متقدمون على مثل جابر بن حيان الكوفي^(١) (الطرطوسي).
 كما نعتقد أن الكتب التي احتوت على هذه المعارف عن
 الإمام عليه السلام كالكافي في أقسامه الموضوعية: الأصول والعقائد، ثم
 الفروع والأحكام الفقهية ثم طريقة الحياة والتوصيات الأخلاقية،
 وأمثاله من الكتب أولى بالتقديم من تلك الكتب التي شرحت

(١) ترجمه ابن النديم في الفهرست ص ٤٣٥ فقال: هو أبو عبد الله جابر بن حيان
 بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفي، واختلف الناس في أمره: فقالت
 الشيعة إنه من كبارهم وأحد الأبواب، وزعموا أنه كان صاحب جعفر
 الصادق رضي الله عنه، وكان من أهل الكوفة. وزعم قوم من الفلاسفة أنه
 كان منهم. وله في المنطق والفلسفة مصنفات. وزعم أهل صناعة الذهب
 والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره وأن أمره كان مكتوماً، وزعموا أنه
 كان يتنقل في البلدان ولا يستقر في بلد خوفاً من السلطان على نفسه، وقيل
 إنه من جملة البرامكة وكان منقطعاً إلى جعفر بن يحيى، فمن زعم هذا قال إنه
 عني بسيد جعفر بن يحيى البرمكي وقالت الشيعة إنما عني جعفر الصادق..
 «وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الوراقين إن هذا الرجل يعني جابراً، لا
 أصل له ولا حقيقة، وبعضهم قال إنه ما صنف، إن كان له حقيقة، إلا كتاب
 الرحمة وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها، وأنا أقول إن رجلاً
 فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة، يتعب قريحته
 وفكره لإخراجه ويتعب يده وجسمه لنسخه ثم ينحله لغيره إما موجوداً أو
 معدوماً ضرب من الجهل، وإن ذلك لا يستمر على أحد، ولا يدخل تحته من
 تحلى ساعة واحدة بالعلم، وأي فائدة في هذا وأي عائدة؟ والرجل له حقيقة
 وأمره أظهر وأشهر وتصنيفاته أعظم وأكثر، ولهذا الرجل كتب في مذاهب
 الشيعة أنا أوردتها في مواضعها، وكتب في معاني شتى من العلوم قد ذكرتها في
 مواضع من الكتاب، وقد قيل إن أصله من خراسان والرازي يقول في كتبه
 المؤلفة في الصنعة: قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان».

ما أثر عن الإمام (أو الأئمة) في علم الضوء، والتشريح والطب، أو أن «العناصر الموجودة في الأرض وعددها (١٠٢) مئة وإثنان موجودة في جسم الإنسان بدرجات متفاوتة» وأمثال ذلك.

بطبيعة الحال لا يعني هذا أن هذه العلوم ليست مهمة أو لا نفع لها! وإنما الكلام هو في رتبها بالقياس إلى علم الدين.

ولعل الحديث المنقول عن الإمام جعفر الصادق، وهو مقبول في المدرستين، يشير إلى أهمية هذه العلوم الإلهية وتقدمها على غيرها وهو قوله: «وجدت علم الناس كلهم في أربع أولها أن تعرف ربك والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك عن دينك»^(١).

(١) الكافي ١ / ٩٨ والخصال، الشيخ الصدوق، ص ٢٥٣ والإرشاد، للشيخ المفيد، ٢ / ٢٠٣ والأمال للشيخ الطوسي، ص ٦٨١.. ولا يضر كون الراوي عن الإمام الصادق عليه السلام سفيان بن عيينة، فإنه بالإضافة إلى ما ذكره السيد الخوئي في معجم الرجال من أنه وقع في إسناد تفسير القمي، وهذا على مسلكه يقتضي توثيقه، فإن الحديث على المسلك المشهور وقد ورد في كتب المشايخ المحدثين الثلاثة: الكليني والصدوق والطوسي، تام. فضلا عن مضمونه القوي العالي الذي يرى بعض أعلام الطائفة أنه هو السند، بل هو الذي يصحح السند!

كما ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١ / ٦٢: وابن حمدون البغدادي في التذكرة الحمدونية ١ / ١١٣ ناسبا إياه إلى الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام. كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعن الإمام موسى بن جعفر / تحرير المواعظ العددية، الشيخ علي المشكيني، ص ٣٢٢

. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعائم الأيمان أربعة: الأولى: أن تعرف ربك. الثانية: أن تعرف

ومعنى الحديث هو أن علم الناس يجب أن ينتهي إلى: معرفة الله تعالى. ومعرفة النفس والذات. ومعرفة وظيفة الإنسان في الحياة. ومعرفة مسببات الانحراف والضياح.

فإن هذه الأمور الأربعة هي غاية الغايات، وإذا لم ينته إليها الإنسان فكأنه ليس بعالم مهها كانت معارفه ومعلوماته، وفي المقابل فإن من عرفها وسار على وفقها فهو العالم الحقيقي وإن كان لا يملك من الشهادات الأكاديمية شيئاً.

ولعل هذا ما أراده الشيخ المفيد بقوله في شرح الحديث: هذه اقسام تحيط بالمفروض من المعارف لأنه أول ما يجب على العبد معرفة ربه جل جلاله فإذا علم أن له إلهًا وجب ان يعرف صنعه إليه فإذا عرف صنعه إليه عرف نعمته فإذا عرف نعمته وجب عليه شكره، فإذا أراد تادية شكره وجب عليه معرفة مراده، ليطيعه بفعله وإذا وجبت عليه طاعته وجبت معرفة ما يخرج عنه دينه ليحجته فيخلص به طاعة ربه وشكر انعامه.

ويمكن أن يكون نظير الاله ما نقل عن رسول الله ﷺ من أنه: «إنما العلم ثلاثة آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة» حيث «فسرت (الآية المحكمة) بأصول العقائد التي براهينها الآيات

ما صنع بك. الثالثة: أن تعرف ما أراد منك. الرابعة: أن تعرف ما يخرجك من دينك

وقد نقلها في موسوعة الكلمة، السيد حسن الحسيني الشيرازي، ٣/ ١١٥ عن ناسخ التواريخ ولم أجده منسوباً للنبي في كتب الحديث.

المحكّمات. و(الفريضة العادلة) بفضائل الأخلاق وعدالتها كناية عن توسطها. و(السنة القائمة) بتشريع الأحكام ومسائل الحلال والحرام»^(١).

وسنعرض شيئاً من أحاديثه عليه السلام في هذه الصفحات، بعدما علمنا بأننا لا نستطيع أن نعرضها كملاً، ولا أكثرها فإن ذلك ما تنوء به الموسوعات، ويستطيع الراغب في الاستقصاء الرجوع إليها^(٢).

أولاً: في معرفة الله تعالى.

ثانياً: في التعامل مع نعم الله وما صنع بك.

ثالثاً: أحكام الشريعة وفقهها.

رابعاً: أن تعرف ما يخرجك عن دينك.

◀ أولاً: من العلم معرفة الله تعالى

قد يتعجب البعض من التركيز على هذا الأمر، لكن لو عرفوا ما قالته مذاهب المسلمين - فضلاً عن غيرهم - في تعريف الله تعالى ومعرفة لزال عجبهم! فإن من ينظر إلى ما ذكره بعض أهل الحديث والحسوية والمجسمة في شأن الله تعالى وصفاته وأسمائه يرى كأن الآية المباركة ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(٣) تنطبق

(١) النور الساطع في الفقه النافع، الشيخ علي كاشف الغطاء، ١/ ١٧٢

(٢) فراجع مسند الإمام الصادق للعطاردي في ٢٢ مجلداً.

(٣) يوسف: ١٠٦

عليهم من دون أن يشعروا ويلتفتوا.

١ / يشير الإمام عليه السلام إلى أن أفضل الفرائض وأكثرها وجوباً هو المعرفة بالله تعالى، في قوله: «أفضل الفرائض وأوجبها على الإنسان معرفة الرب والإقرار له بالعبودية وحد المعرفة أن يعرف أنه لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير وأن يعرف أنه قديم مثبت موجود غير فقيد موصوف من غير شبيه ولا مبطل ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير»^(١).

وليست هذه المعرفة واجبة فحسب، وأنها أفضل الفرائض بل هي فوق ذلك الراحة الكبرى للإنسان، والمتعة العظمى للموحد ومتى وصل لها شخص فإنه لا يلتفت إلى كل متع الدنيا مما حواليه، فهي الأنس من كل وحشة والقوة من كل ضعف كما قال الإمام جعفر عليه السلام «لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله جلّ وعزّ وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله.

إنّ معرفة الله عز وجل أنس من كلّ وحشة وصاحب من كلّ وحدة ونور من كلّ ظلمة وقوّة من كلّ ضعف وشفاء من كلّ سقم»^(٢).

(١) مسند الإمام الصادق ١١١/٢

(٢) المصدر السابق ١٣٩/٢

٢ / فما هي تلك المعرفة التي ينتج عنها ما سبق؟

لقد جاءت أحاديث الإمام الصادق عليه السلام لتنفني بكل قوة ما كان يشيعه الحشوية والمجسمة من أهل الحديث ممن تأثروا بالمناهج اليهودية، ونقلوا تصورات الكتب المحرفة وأضفوا عليها الطابع الإسلامي أو خلطوها به، عمداً أو غفلةً وجهلاً، فكان الإمام عليه السلام محلاً للسؤال عنها من أصحابه، ومن كانوا ينقلون له ما كان يدور في ساحة المسلمين الدينية: مساجدهم وخطب جماعتهم وجمعتهم وكان يجيب على ذلك بصراحة تامة، فلا معنى هنا للمواربة ولا محل لاستعمال التقية.

- فعن يعقوب السراج قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن بعض أصحابنا يزعم أن لله صورة مثل صورة الإنسان وقال آخر إنه في صورة أمرد جعد ققط^(١) فخرّ أبو عبد الله ساجداً.

ثم رفع رأسه فقال «سبحان الله الذي ليس كمثل شيء ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم لم يلد لأن الولد يشبه أباه ولم يولد فيشبه من كان قبله ولم يكن له من خلقه كفوا أحد تعالى عن صفة من سواه علواً كبيراً»^(٢).

(١) قد ذكرنا شيئاً من التحليل لأحاديث المدرسة السلفية في التجسيم في كتابنا النقي الناصح الإمام علي الهادي. وما قالوه في باب رؤية الله يوم القيامة وأن آدم خلق على صورة الله، وأن الله - والعياذ بالله - له يدان ووجه وأصابع وقدم وساق وغير ذلك فراجع.

(٢) مسند الإمام الصادق ٢ / ١٠٩

وسواء كان التشبيه بالشاب الأمرد أو بآدم النبي كما زعموا بأن الله قد خلق آدم على صورته، فلا فرق في هذا الخطأ الفاحش بل مع العلم بما يؤدي إليه هذا التشبيه ونتائجه يكون المشبه مشرکاً بالله تعالى، إذ كما قال الإمام عليه السلام: «من شبه الله بخلقه فهو مشرک إن الله تبارک وتعالى لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيءٌ وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه»^(١).

ومن آثار الإتجاه الحشوي والتجسيمي المتأثر بالأفكار اليهودية ما نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله من أنه رأى ربه في ليلة المعراج، وبناءً على ذلك وضعت أحاديث في أن المؤمنين يرون ربه يوم القيامة، فأشار الإمام عليه السلام إلى مخالفة ذلك لآيات القرآن الكريم، وكما ذكرنا فحيث أن الإعلام الرسمي في حكومة الأمويين والعباسيين يث مثل هذه الأفكار كان أصحاب الإمام يستعلمون منه فيجبهم: فقد سأل محمد الحلبی الإمام الصادق عليه السلام فقال: رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ قال: «نعم! رآه بقلبه. فأمر ربنا جل جلاله فلا تدركه أبصار حدق الناظرين ولا يحيط به أسمع السامعين»^(٢).

وسأله آخر: هل يرى الله في المعاد؟ فقال: «سبحانه تبارک وتعالى عن ذلك علواً كبيراً إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لونٌ وكيفية والله خالق الألوان والكيفية!

(١) المصدر السابق ٢ / ١١٧

(٢) المصدر السابق ٢ / ١٠٩

بل إنه عليه السلام ينكر على بعض أصحابه كيف يسأل عن موضوع رؤية الله في القيامة! وكأنه لو ضوح امتناعه لا ينبغي أن يسأل عنه.. ولعل هذا يشير من طرف آخر إلى قوة الدعاية الرسمية التي جعلت هذا الموضوع الممتنع عقلا، جعلته مقبولا بحيث يسأل عنه مثل معاوية بن وهب؛ فعن هشام قال كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين فقال له معاوية بن وهب يا بن رسول الله ما تقول في الخبر الذي روي أن رسول الله ﷺ رأى ربه على أي صورة رآه وعن الحديث الذي رووه أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة على أي صورة يرونه؟

فتبسم عليه السلام ثم قال يا معاوية! ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته.

ثم قال عليه السلام يا معاوية إن محمدا ﷺ لم يرَ الربَّ تبارك وتعالى بمشاهدة العيان وإن الرؤية على وجهين رؤية القلب ورؤية البصر فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته لقول رسول الله ﷺ من شبه الله بخلقه فقد كفر ولقد حدثني أبي عن أبيه عن الحسين بن علي قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام فقيل يا أخا رسول الله هل رأيت ربك؟.

فقال: وكيف أعبد من لم أراه؟ لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان فإذا كان المؤمن يرى ربه

بمشاهدة البصر فإن كل من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق ولا بد للمخلوق من الخالق فقد جعلته إذا محدثاً مخلوقاً ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكاً! ويلهم: أو لم يسمعوا بقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وقوله ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا؟ وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سم الخياط فدكدكت الأرض وصعقت الجبال فخر موسى صعقاً أي ميتاً فلما أفاق ورد عليه روحه قال سبحانك تبت إليك من قول من زعم أنك ترى ورجعت إلى معرفتي بك أن الأبصار لا تدركك وأنا أول المؤمنين وأول المقربين بأنك ترى ولا ترى وأنت بالمنظر الأعلى»^(١).

٣/ وأما الأعراض التي تجري على المخلوقين: فهو منزله عنها خلافاً لما انتهى إليه أهل الحديث الذين عبدوا الألفاظ، وأبعدوا الفهم العقلي المتسق مع القرآن، وما ذلك إلا نتيجة مقدمات الإيذان بالتشبيه والابتعاد عن التنزيه، فإن الذي يعتقد بأنه سبحانه له يد وساق ووجه و.. لا بد أن ينتهي إلى أنه في صورة شاب أمرد أو صورة آدم، وسينتهي إلى أن رؤيته في الجنة متاحة بل في الدنيا في عالم الرؤيا كما زعموا!! وإذا كان كذلك فإن له رضا وغضبا وإذا غضب ثقل عرشه الذي هو جالس فوقه فأحس بثقله الملائكة، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان ومن سماء عليا إلى أخرى دنيا.. إلى

(١) المصدر السابق ٢/ ١١١

آخر هذه الجهالات التي تصور سلطانا من سلاطين الدنيا ولا تعرف رب الآخرة والأولى!

وكان دور أئمة الهدى عليهم السلام نفي هذه الضلالات من الأمة. بإخبارها بأن من التوحيد لله الإقرار بالعجز عن صفته فإن الله سبحانه، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا»^(١).

الله رضا وغضب لكن ليس كما يتصور أولئك؛ فعن هشام بن الحكم أن رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضى وسخط؟ فقال: «نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك أن الرضا والغضب دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال معتمل مركب للأشياء فيه مدخل».

وسأله آخر نفس السؤال فقال: «نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه»^(٢).

وجوامع القول في هذا ما نقله الإمام الصادق عليه السلام عن جده أمير المؤمنين علي عليه السلام، كما نقله ذلك عنه إسماعيل بن قتيبة قال: دخلت أنا وعيسى شلقان على أبي عبد الله عليه السلام، فابتدأنا فقال:

(١) المصدر السابق ١٤١/٢

(٢) المصدر ١٤٢/٢

عجبا لأقوام يدعون على أمير المؤمنين عليه السلام ما لم يتكلم به قطّ! خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة فقال الحمد لله الملهم عباده حمده وفاضلهم على معرفة ربوبيته. الدالّ على وجوده بخلقه ويحدث خلقه على أزاله وباشتباهم على أن لا شبه له المستشهد بآياته على قدرته الممتنعة من الصفات ذاته ومن الأبصار رؤيته ومن الأوهام الإحاطة به، لا أمد لكونه ولا غاية لبقائه لا تشمله المشاعر ولا تحجبه الحجب، والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم لا امتناع مما يمكن في ذواتهم ولا مكان مما يمتنع منه ولا افتراق الصانع من المصنوع والحادث من المحدود والرّب من المربوب.

الواحد بلا تأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة والبصير لا بأداة والسميع لا بتفريق آلة والشاهد لا بمماسّة والباطن لا باجتان والظاهر البائن لا بتراخي مسافة. أزلّه نهيةً لمجاول الأفكار ودوامه ردع لطامحات العقول قد حسر كنهه نوافذ الأبصار وقمع وجوده جوائل الأوهام فمن وصف الله فقد حدّه ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد أبطل أزاله ومن قال أين فقد غيّاه ومن قال علام؟ فقد أخلى منه ومن قال فيم فقد ضمّنه»^(١).

ونكتفي بهذا القدر من استعراض أحاديثه عليه السلام في أمر المعرفة بالله ولزومها وحدودها، وهذا غيض من فيض مما نقل عنه والمنقول عنه هو شيء يسير مما قاله عليه السلام.

(١) المصدر السابق ٢/١٣٣

◀ ثانيًا: نعم الله وما صنع بعبد

في الضلع الثاني من مربع أضلاع المعرفة والعلم الذي ينبغي أن ينتهي الناس إليه، أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعد معرفة الله تعالى إلى «أن تعرف ما صنع بك» من النعمة والعطاء فإذا عرف الإنسان ذلك عرف لزوم شكره وطاعته.

١/ وقد قرر الإمام عليه السلام أنه مع كثرة هذه النعمة وتواترها وأنها لا تحصى إلا أنها متفاضلة فأعظمها وهو ما ذكره الله في كتابه وأمر بذكرها بقوله فاذكروا آلاء الله هي نعمة الهداية والتمسك بالولاية^(١) لمحمد وآله. فقد «تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية فاذكروا آلاء الله قال أندري ما آلاء الله؟ قلت لا قال هي أعظم نعم الله على خلقه وهي ولايتنا»^(٢).

وفي رواية أخرى قال: «نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز»^(٣).

ونعمة إنزال القرآن على هذه الأمة هي النعمة الكبرى، به

(١) وإلى ذلك تمت الإشارة في الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام علي الهادي عليه السلام كما في تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ١٠٠/٦ «وبكم أخرجنا الله من الذل وفرج عنا غمرات الكرب، وأنقذنا بكم من شفا جرف الهلكات ومن النار، بآبي أنتم وأمي ونفسي بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا. وأصلح ما كان فسد من دنيانا بموالاتكم تمت الكلمة. وعظمت النعمة، واتلفت الفرقة وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة»

(٢) مسند الإمام الصادق عليه السلام ٢/ ٥٣٩

(٣) ميزان الحكمة، محمد الريشهري ١٢/ ٢٧٥

يكرم الله من أكرم القرآن، ومن أهان القرآن يهينه الله في يوم القيامة، كما أخبر بذلك الإمام عليه السلام فقال: «إذا جمع الله عز وجل الأولين والآخرين إذا هم بشخص قد أقبل لم يرقط أحسن صورة منه فإذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا: هذا منّا؟ هذا أحسن شيء رأينا فإذا انتهى إليهم جازهم (إلى أن قال): حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار عز وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأكرم من اليوم من أكرمك ولأهين من أهانك»^(١).

٢ / ولو التفت الإنسان إلى بدنه وما حوله من الكائنات لرأى عظيم نعمة الله سبحانه عليه، فقد سخر الكون بما فيه من شمس وقمر وأفلاك ونجوم وأنهار وبحار وطبيعة وأشجار من أجله وبالتالي فإنه سبحانه ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَعَاتَلَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾^(٢).

هذا فضلا عما أنعم عليه في بدنه من أعضاء متكاملة، جميلة القوام وفعالة الأداء من دون أن يستحقها الإنسان على الله ومن دون أن ينفق فيها شيئا، لكنها نعمة الله سبحانه وما صرف عنه من البلاء والحوادث، وحماء من الطوارق والمصائب وغير ذلك مما نرى

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ١٦٩/٦

(٢) إبراهيم ٣٢-٣٤

شيئاً من تفصيله في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة^(١).

وقد فرض على الإنسان هذا الذي يستشعر نعمة الله عليه وما صنع به من الخير، أن يظهر نعم الله عليه وأن يحدث بها بإظهارها وإعلانها وحينئذ يكون حبيباً لله، وفي مقابله من يكتمها ويخفيها فإنه بغيض الله تعالى.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدِهِ بِنِعْمَةٍ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ سُمِّيَ حَبِيبَ اللَّهِ مُحَدَّثًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ، وَإِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ بِنِعْمَةٍ فَلَمْ تَظْهَرْ عَلَيْهِ سُمِّيَ بَغِيضَ اللَّهِ مُكَذِّبًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ».

ولذلك ف «إِنِّي لَأَكْرَهُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ فَلَا يُظْهَرُهَا».

وهذا ليس أمراً كمالياً، وإنما يتصل بمسألة الاعتقاد والمعرفة بالله، ومن المعرفة به سبحانه أنه جميل ولذلك يجب التجميل: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْجَمَالَ وَالتَّجْمِيلَ، وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّبَاؤُسَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ يَرَى عَلَيْهِ أَثَرَهَا. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: يُنْظَفُ ثَوْبُهُ، وَيُطَيَّبُ رِيحُهُ، وَيُحْصَصُ دَارُهُ، وَيَكْسُسُ أَفْنِيَّتَهُ، حَتَّى إِذَا السَّرَاجُ قَبَلَ مَغِيبَ الشَّمْسِ يَنْفِي الْفَقْرَ وَيَزِيدُ فِي الرِّزْقِ» كما روي عن الإمام عليه السلام^(٢)، وهذه الأمور إنما هي أمثلة ولا ينحصر أمر الجمال والتجميل بها.

(١) إقبال الأعمال، السيد ابن طاووس ٧٦/٢

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري ٢٩٥/١٢

٣/ المفروض أن الله سبحانه إنما أنعم على الإنسان النعمة لكي تستمر وتدوم بحسب طبعها ومقتضاها، فلا تنقطع قبل أوان انتهائها، ولكن بعض الناس لا يحسن مجاورة النعمة فتفر منه، وتنتهي من حياته، والعاقل هو الذي يعرف كيف يحتفظ بنعمة الله عليه مستمرة بل زائدة، ودوامها يكون بسلوك طريق حدده الإمام عليه السلام بخطوات متعددة فقد قال: لا تدوم النعم إلا بثلاث: معرفة بما يلزم لله سبحانه فيها، وأداء شكرها، والتعب فيها».

وينبغي أن يحذر كل الحذر من احتجاجها لنفسها وعدم نفع غيره بها، فإنما أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بما يزيد عن حاجاته وكمالياته من أجل أن يكون واسطة لإيصال النعمة لغيره، فينبغي أن يحتمل مؤونتهم وأن يرفع بعض ثقلها ببعض ما أفاء الله عليه من كثير، ولذا قال عليه السلام: «مَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ اشْتَدَّتْ مَوْؤَنُهُ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَاسْتَدِيمُوا النِّعْمَةَ بِاحْتِمَالِ الْمَوْؤَنَةِ وَلَا تُعَرِّضُوهَا لِلزَّوَالِ، فَقَلَّ مَنْ زَالَتْ عَنْهُ النِّعْمَةُ فَكَادَتْ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ»^(١).

٤/ وأسوأ ما يتعامل به البعض مع نعم الله سبحانه أن يجعلها طريقاً للمعصية أو لزيادة المعصية وأن ينفقها في تحدي أوامر الله تعالى! وكأنه يجارب الله بالسلاح الذي زوده به، ويصارعه بالقوة التي أعطاه! فيوصي إمامنا عليه السلام العباد الذين أنعم الله عليهم بأن يعظموا حق الله ولا يبذلوا نعمه عليهم في معاصيه: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يُحْتَمَ بِخَيْرِ عَمَلِكَ حَتَّى تُقْبَضَ وَأَنْتَ فِي أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ، فَعِظَّمْ لِلَّهِ

حَقُّهُ أَنْ لَا تَبْدُلَ نِعْمَاءَهُ فِي مَعَاصِيهِ».

وليحذر أن لا تكون نعم الله عليه فخاً منصوباً له، فيكون مذنباً ويرى نعم الله لم تنقطع عنه فيتمادى في الذنب ويسرف فيه وينخدع عن الاستغفار، ويستدرج نحو حثفه وقد لا يكون هذا الصنف قليلاً فـ «كَمْ مِنْ مَغْرُورٍ بِمَا قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكَمْ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِسْتَرِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ!»!

وقد سئل عليه السلام عن الاستدراج في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هو: العبدُ يُذنبُ الذَّنْبَ، فُتَجَدَّدُ لَهُ النِّعْمَةُ مَعَهُ، تُلْهِمُهُ تِلْكَ النِّعْمَةُ عَنِ الاسْتِغْفَارِ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ.

وفي موضع آخر قال: هو العبدُ يُذنبُ الذَّنْبَ، فَيُمْلَى لَهُ وَيُجَدَّدُ لَهُ عِنْدَهَا النِّعْمُ، فَتُلْهِمُهُ عَنِ الاسْتِغْفَارِ مِنَ الذُّنُوبِ، فَهُوَ مُسْتَدْرِجٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ^(١).

◀ ثَالِثًا: أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ

تلخص الآيتان المباركتان ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٥٦) مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ^(٥٧) ﴿^(٢) هذا الضلع الثالث وتختصران فيه حزمة كبيرة من التشريعات الدينية في العبادة والمعاملة، التي جاء بتفاصيلها الأنبياء وشرحها بعدهم الأوصياء.

(١) ميزان الحكمة ١٢/ ٢٩٢

(٢) الذاريات: ٥٦- ٥٧

والآية الأولى المباركة تبين للإنسان غاية خلقته وهدف وجوده الذي لو تحقق، كان لذلك الوجود معنى، وبدونه لا معنى له. ولم يرد الله من عباده العبادة إلا ليوصلهم لكمالهم، وجعل لهم في ذلك طريقا يسيرا منسجما مع فطرتهم، إذ أنه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(١)، بل ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(٢).

وعلى عكس أعداء الإنسان الذين يريدون أن يغرقوه في مستنقع الشهوات ف ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾^(٣)، وفي طريق ذلك ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ وَعَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٤).

سوف نقل هنا شيئا يسيرا مما نقل عنه في الفقه والتشريع، مع علمنا بأنه لا يمكن الإفتاء على طبقها هكذا إلا للمتخصص لوجود أبحاث رجالية فيها ووجود روايات قد تكون مخصصة أو شارحة أو معارضة! إلا أنها تضيء بوضوح طريق الطالب للمعرفة الدينية بالتشريع، وتضعه في جو الأحكام من جهة كما أنها تعلن بوضوح دور الإمام جعفر الصادق عليه السلام في تبين وشرح شريعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وتفصيلها، بحيث لو لا مثل هذه الأحاديث

(١) البقرة: ١٨٥

(٢) النساء: ٢٨

(٣) النساء: ٢٧

(٤) المائة: ٦

لتطرت الظنون البشرية إلى هذه الأحكام العبادية وأفسدتها.

لا يقال: أن أئمة المذاهب الأخرى أيضاً أثر عنهم أحاديث وفتاوى، سواء في زمان الإمام الصادق أو ما بعده، فإننا نقول: الفرق عظيم! بين الأخذ من الأصل والأخذ من الفرع هذا بناء على أخذهم عنه أو أخذهم ممن أخذ عنه. وقد تقدم شيء من هذا فيما سبق من الصفحات.

ونقول أيضاً: بالفرق العظيم في كل فتوى وحديث، فإننا نعتقد أن ما قاله الإمام الصادق عليه السلام هو «آثار من رسول الله صلى الله عليه وآله، أصل علم نتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم»^(١) ولذلك كان يعجز غيرهم عن الجزم بأن الحكم الشرعي هو هكذا وأن رسول الله قال كذا، ويحيلون الأمر على أصحابهم وأساتذتهم^(٢). وهذه الأحاديث المعتبرة التي سنقلها لا تشكل نسبة من كل أحاديثه عليه السلام وإنما هي نماذج في كل باب:

١ / في طهارة الماء بأنواعه: ما رواه حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الماء كله طاهر حتى يعلم أنه قدر^(٣).

(١) جامع أحاديث الشيعة، السيد البروجردي ١ / ٣٩

(٢) قد مرت علينا قصة أبي كهمس مع ابن أبي ليلى عندما رد شهادة محمد بن مسلم الثقفي فأمر الإمام الصادق أبا كهمس قائلاً: إذا صرت إلى الكوفة فأنت ابن أبي ليلى، فقل له: أسألك عن ثلاث مسائل لا تفتني فيها بالقياس ولا تقل قال أصحابنا، فأعجزه فيها.

(٣) الكافي ٣ / ٥

٢ / هل يبطل النوم الوضوء؟ وما حد ذلك؛ روى عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخفقة والخفقتين؟ فقال: ما أدري ما الخفقة والخفقتان إن الله يقول: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^(١) إن علياً عليه السلام كان يقول: من وجد طعم النوم قائماً أو قاعداً فقد وجب عليه الوضوء^(٢).

٣ / وهل يجب الوضوء من القبلة أو مس العضو التناسلي؟ أو حين تنزل الرطوبات على أثر الشهوة وهل يبطل ذلك الوضوء؟ يقول الإمام عليه السلام: «ليس في المذي من الشهوة ولا من الانعاض ولا من القبلة ولا من مس الفرج^(٣) ولا من المضاجعة وضوء، ولا يغسل منه الثوب ولا الجسد»^(٤).

٤ / فماذا نصح فيما جاء في القرآن من قوله تعالى ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾؟ وخصوصاً مع فتوى مدرسة الخلفاء به؟ أجاب الإمام على من سأله: «أتوضأ، ثم أدعو الجارية فتمسك بيدي، فأقوم

(١) القيامة: ١٤

(٢) الكافي ٣ / ٤١

(٣) هذا في مقابل ما ذهب إليه أتباع مدرسة الخلفاء من تكثير نواقض الوضوء، وإليك ما قاله في مختصر المزني ٨ / ٩٦ في تعداد النواقض: «وَمَلَامَسَةُ الرَّجُلِ الْمَرْأَةَ وَالْمَلَامَسَةُ أَنْ يُفِضِيَ بَشْيءٍ مِنْهُ إِلَى جَسَدِهَا أَوْ تُفِضِيَ إِلَيْهِ لَا حَائِلَ بَيْنَهُمَا أَوْ يَقْبَلَهَا وَمَسَّ الْفَرْجَ بِبَطْنِ الْكَفِّ مِنْ نَفْسِهِ وَمِنْ غَيْرِهِ وَمِنْ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْحَيِّ وَالْمَيِّتِ وَالذَّكْرَ وَالْأُنْثَى وَسَوَاءٌ كَانَ الْفَرْجُ قُبْلًا أَوْ دُبْرًا أَوْ مَسَّ الْحَلْقَةَ نَفْسِهَا مِنَ الدُّبْرِ»

(٤) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي ١ / ٦٩

فأصلي، أعليّ وضوء؟ قال: لا، قال: فإنهم يزعمون أنه اللمس؟ قال: لا والله، ما اللمس إلا الوقاع - يعني الجماع - ثم قال: كان أبو جعفر عليه السلام - بعد ما كبر - يتوضأ، ثم يدعو الجارية، فتأخذ بيده، فيقوم فيصلي»^(١).

٥ / إذن ما الذي يوجب الوضوء للصلاة؟ وماذا يبطله لو كان الشخص متوضئاً؟ روى زرارة الشيباني قال: قلت لأبي جعفر ولأبي عبد الله عليه السلام: ما ينقض الوضوء؟ فقالا: ما يخرج من طرفيك الأسفلين من الدبر والذكر، غائط أو بول أو مني أو ريح والنوم حتى يذهب العقل وكل النوم يكره إلا أن تكون تسمع الصوت^(٢).

٦ / لكن الذي يخرج من العضو التناسلي أكثر من سائل فماذا نصنع معها بالنسبة للغسل والوضوء والتطهير؟ أجاب عليه السلام قال: يخرج من الإحليل المنى، والوذى، والمذي، والودي، فأما المنى فهو الذي يسترخي له العظام، ويفتر منه الجسد، وفيه الغسل، وأما المذي يخرج من شهوة ولا شيء فيه، وأما الودي فهو الذي يخرج بعد البول، وأما الوذى فهو الذي يخرج من الأدواء ولا شيء فيه»^(٣).

٧ / وأبسط صورة لكيفية الوضوء هي ما قاله الإمام عليه السلام:

(١) وسائل الشيعة (آل البيت) ١/ ٣٨٥

(٢) الكافي ٣/ ٤٠

(٣) وسائل الشيعة ١/ ٣٩٠

تغسل وجهك ويدك، وتمسح رأسك ورجليك^(١). وقد ذكر الإمام هذا في موازنة الأحاديث البيانية المفصلة لكيفية وضوء رسول الله ﷺ والتي أخبر عنها وبها والد الصادق الإمام محمد الباقر عليه السلام.

وقد حذر عليه السلام من غسل الرأس والرجلين، بعدما جاء القرآن بمسحهما، وأشار إلى أن إصرار بعض رموز الخلفاء على مخالفة القرآن في ذلك ومخالفة رسول الله سيئته مع التعمد إلى عدم قبول الصلاة فقال: إنه يأتي على الرجل ستون وسبعون سنة ما قبل الله منه صلاة، قلت: كيف ذلك؟ قال: لأنه يغسل ما أمر الله بمسحه^(٢).

٨ / وقد سأله محمد بن مسلم الثقفي عن متى يجب الغسل على الرجل والمرأة؟ فقال: «إذا أدخله فقد وجب الغسل والمهر والرجم»^(٣). يعني إذا أدخل الرجل عضوه في فرج المرأة أو دبرها، فإنه يجب عليهما الاغتسال -بمجرد الادخال سواء أمني أو لم يمن- وكذلك يجب عليه المهر لو كان عن نكاح شرعي فتستحق كامل المهر، وعليه الحد (الرجم إن كان محصنا) لو كان الادخال عن زنا.

٩ / ويحظر على المجنب (رجلا أو امرأة) أن يمكث في المساجد

(١) المصدر السابق ١ / ٤٩٩

(٢) المصدر السابق ١ / ٥٣١

(٣) الكافي ٣ / ٥٠

(إلا عابر سبيل) لكنه بالنسبة للمسجدين: الحرام ومسجد الرسول لا يجوز له حتى المرور فقد سأل الإمام الصادق جميل عن الجنب يجلس في المساجد؟ قال: لا ولكن يمر فيها كلها إلا المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ^(١).

١٠ / وكيفية غسل الجنابة (وسائر الأغسال هي هكذا أيضا): «تبدأ بكفيك فتغسلها ثم تغسل فرجك ثم تصب الماء على رأسك ثلاثا ثم تصب الماء على سائر جسدك مرتين فما جرى عليه الماء فقد طهر»^(٢).

١١ / والطهارة مطلوبة شرعا لكن الوسوسة مذمومة، وذلك أن الله يريد بالمؤمنين اليسر لا العسر، ولذا فقد أخبر الإمام الصادق أنه «توضأ رسول الله ﷺ بمُدِّ واغتسل بصاع»^(٣) ويقدر خبراء معاصرون المد بسبعمئة مللتر، أي حوالي ثلاثة أرباع اللتر، والصاع وهو أربعة أمداد بألفين وثمانمائة مللتر (٢٨٠٠ مللتر) أي أقل من ثلاثة لترات!

وكما يستطيع المؤمن الاغتسال ترتيبا بغسل رأسه ورقبته، ثم سائر بدنه (وعند بعض العلماء بالترتيب بين القسم الأيمن والأيسر)، كل ذلك بما دون ثلاث لترات، فإنه يستطيع أن يرمس

(١) الكافي ٣/ ٥٤

(٢) تهذيب الأحكام ١/ ٤٢٠

(٣) الكافي ٣/ ٤٧

ارتماسه واحده في الماء ويكفيه ذلك في الغسل كما أخبر الإمام عليه السلام بقوله: «إذا ارتمس الجنب في الماء ارتماسه واحده أجزأه ذلك من غسله»^(١).

١٢ / وبينما فرض بعض فقهاء مدرسة الخلفاء الوضوء قبل الغسل لاستباحة الصلاة، ضحك الإمام من هذا الأمر، حيث لم يقم عليه دليل، وهو على خلاف الاعتبار، فهذا مثل أن يكون بين يديك الشمس للإضاءة فتذهب لإحضار شمعة! فقد سأله حكم بن حكيم عن الغسل إلى أن قال: «.. قلت إن الناس يقولون: يتوضأ وضوء الصلاة قبل الغسل! فضحك وقال: أيُّ وضوء أنقى من الغسل وأبلغ»^(٢).

١٣ / وقد اشترط الدين الطهارة في أثناء الصلاة لزوماً واستحب ذلك في غيرها، فعرف عدداً من النجاسات، وأمر بغسل الثوب والبدن منها فقال الإمام الصادق في تعريف ذلك: «اغسل ثوبك من أبوال ما لا يؤكل لحمه». ولكن «لا تغسل ثوبك من بول شيء يؤكل لحمه»^(٣).

فهذه النجاسات تخل بالصلاة مع العلم بها قبل البدء بالصلاة، أما لو علم بذلك بعد فراغه من الصلاة فلا يعيد، فقد سأل العيص

(١) نفس المصدر السابق والصفحة

(٢) تهذيب الأحكام ١/ ١٨٩

(٣) الكافي ٣/ ٦١

بن القاسم أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن رجل صلى في ثوب رجل أياماً ثم إن صاحب الثوب أخبره أنه لا يصلي فيه (يعني أنه نجس) فقال: لا يعيد شيئاً من صلاته^(١).

وبشكل أوضح يقول في عدم تأثير النجاسات في بطلان الصلاة، ما لم يعلم، فقد سأل عبد الله بن سنان أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الرجل يصلي وفي ثوبه عذرة من إنسان أو سنور أو كلب أيعيد صلاته؟ فقال: إن كان لم يعلم فلا يعيد^(٢).

١٤ / وما سبق كله إنما كان مقدمة للصلاة والتي هي عمود الدين، وطاردة الشيطان، وحصن إيمان المؤمن، فلا بد أن يحافظ عليها تمام المحافظة فإنه لو قصر في ذلك فقد انهار خط الدفاع الأساسي للإيمان فقد روى الإمام عن جده رسول الله قوله: «لا يزال الشيطان ذِعراً من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس فإذا ضيعهن تجرأ عليه فأدخله في العظام»^(٣).

١٥ / وبينما أصر فقهاء مدرسة الخلفاء على أوقات خمسة للصلوات ولم يقبلوا بأن تصلى العصر إلا في وقتها بعد نحو ثلاث ساعات! ولا يصح أداؤها قبل ذلك. وهكذا الحال في صلاة المغرب والعشاء إلا أن فقه أهل البيت يرفض ذلك ويرى أن

(١) المصدر السابق ٣/ ٤٠٨

(٢) المصدر السابق ٤٠٩

(٣) المصدر السابق ٢٧٣

الالتزام بتلك الأوقات على سبيل الاستحباب حسن، لكنه ليس لازماً، ولذلك فقد أجاب الإمام عليه السلام عبيد بن زرارة عندما سأله عن وقت الظهر والعصر فقال الإمام: «إذا زالت الشمس دخل وقت الصلاتين الظهر والعصر جميعاً إلا أن هذه قبل هذه ثم أنت في وقت منهما جميعاً حتى تغيب الشمس»^(١).

١٦ / ولما كان أمر الجمع بين الصلاتين غير مألوف عندهم فقد بين الإمام الصادق عليه السلام أن رسول الله ﷺ قد فعله في الظهرين والعشائين، وشرح أن حكمة ذلك هي التوسعة على الأمة. فقد روى عبد الله بن سنان، عن الصادق أن رسول الله ﷺ جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علة بأذان واحد وإقامتين^(٢). وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: إن رسول الله ﷺ صلى الظهر والعصر في مكان واحد من غير علة ولا سبب، فقال له عمر - وكان أجراً القوم عليه - : أحدث في الصلاة شيء؟ قال: لا، ولكن أردت أن أوسع على أمتي^(٣).

١٧ / ويلتزم مذهب أهل البيت عليهم السلام بأن السجود لا يصح إلا على الأرض حيث جعلت مسجداً وطهوراً أو ما أخرجت من نبات، ولا يصح السجود على القماش والفرش وأمثالها، وبهذا اختلفت المذاهب عن مذهب آل محمد، ففي حديثه عليه السلام لهشام بن

(١) الوافي، الكاشاني ٧/ ٢٤٣

(٢) وسائل الشيعة ٤/ ٢٢١

(٣) نفس المصدر

الحكم الذي سأله: أخبرني عما يجوز السجود عليه؟ وعما لا يجوز؟ فقال: «السجود لا يجوز إلا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلا ما أكل أو لبس»^(١).

١٨ / وينصح الإمام المصلي بأن يؤذن ويقيم للصلاة، فإن ذلك ينتهي إلى صلاة الملائكة خلفه، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الثواب، ولذا يقول: «إذا أذنت وأقمت صلي خلفك صفان من الملائكة وإذا أقمت صلي خلفك صف من الملائكة»^(٢).

١٩ / ويقدم الإمام عليه السلام صورة وصفية للصلاة الكاملة من ركعتين حتى تكون نموذجا أفضل لمن أراد الصلاة، وهو ما رواه حماد في حديث طويل إلى أن يقول: «فقام أبو عبد الله عليه السلام مستقبل القبلة منتصبا فأرسل يديه جميعا^(٣) على فخذه قد ضم أصابعه وقرب بين قدميه^(٤) حتى كان بينهما ثلاث أصابع مفرجات، فاستقبل بأصابع رجليه جميعا لم يجر فهما عن القبلة بخشوع واستكانة فقال: «الله أكبر» ثم قرأ الحمد بترتيل وقل هو الله أحد^(٥)، ثم صبر هنيئة بقدر ما يتنفس وهو قائم، ثم قال: «الله أكبر» وهو قائم، ثم

(١) تهذيب الأحكام ٢/ ٢٣٤

(٢) الكافي ٣/ ٣٠٧

(٣) وهذا يشير إلى أن ما اعتاد عليه قسم من المسلمين من قبض أيديهم على صدورهم أو بطونهم يخالف منهاج أهل البيت.

(٤) وهذا أيضا مشير إلى أن ما استحسنته بعض المسلمين من التفريغ الواسع بين القدمين حتى ليكاد يبلغ نصف متر لا ينسجم مع منهاج آل محمد.

(٥) حيث ورد عنه عليه السلام: لا تقرأ في المكتوبة بأقل من سورة ولا بأكثر.

ركع وملا كفيه من ركبتيه مفرجات، ورد ركبتيه إلى خلفه حتى استوى ظهره حتى لو صب عليه قطرة ماء أو دهن لم تنزل لاستواء ظهره ورد ركبتيه إلى خلفه ونصب عنقه وغمض عينيه، ثم سبح ثلاثاً بترتيل وقال: «سبحان ربي العظيم وبحمده» ثم استوى قائماً، فلما استمكن من القيام قال: «سمع الله لمن حمده» ثم كبر وهو قائم ورفع يديه حيال وجهه وسجد ووضع يديه إلى الأرض قبل ركبتيه فقال: «سبحان ربي الأعلى وبحمده» ثلاث مرات، ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه، وسجد على ثمانية أعظم: الجبهة والكفين وعيني الركبتين وأنامل إبهامي الرجلين والأنف. فهذه السبعة فرض، ووضع الأنف على الأرض سنة وهو الارغام ثم رفع رأسه من السجود فلما استوى جالساً قال: الله أكبر «ثم قعد على جانبه الأيسر ووضع ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى وقال: «استغفر الله ربي وأتوب إليه» ثم كبر وهو جالس وسجد الثانية، وقال كما قال في الأولى ولم يستعن بشيء من بدنه على شيء منه في ركوع ولا سجود، وكان مَجْنَحاً ولم يضع ذراعيه على الأرض، فصلى ركعتين على هذا، ثم قال: يا حماد هكذا صل ولا تلتف ولا تعبت بيديك وأصابعك، ولا تبرق عن يمينك ولا يسارك ولا بين يديك»^(١).

٢٠ / ونهى عليه السلام عن بعض الممارسات التي لا أصل شرعي لها في الصلاة مثل قول أمين بعد الفاتحة، ومثل قراءة سورة السجدة في الصلاة، الأولى لعدم الدليل على جوازها، والثانية لاستلزامها

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ١ / ٣٣٤

السجود حيث هو واجب على من قرأ وسمع، ويلزم منه زيادة سجدة في صلاة الفريضة، فقال عن الأول: إذا كنت خلف إمام فقرأ الحمد وفرغ من قراءتها فقل أنت: «الحمد لله رب العالمين» ولا تقل: آمين^(١) وعن الثاني قال: لا تقرأ في المكتوبة بشيء من العزائم فإن السجود زيادة في المكتوبة^(٢).

ومثل ذلك من الممارسات التي لا دليل عليها: التكفير أو القبض ووضع اليدين بحيال البطن أو الصدر وقد يسميه بعضهم بالتكفف، فإنه تم النهي عنه^(٣) من قبل الإمام الصادق عليه السلام وأبيه الباقر، بل ورد في بعض الروايات أن أصله من المجوس^(٤) فقد سأل محمد بن مسلم الثقفني أحدهما عليهما السلام^(٥) قال قلت: الرجل يضع يده في الصلاة وحكى اليمنى على اليسرى؟ فقال: ذلك التكفير فلا تفعل^(٦).

(١) الكافي ٣/٣١٧

(٢) المصدر السابق ٣٢٢

(٣) لتفصيل المطلب ننصح بمراجعة كتاب: الإرسال والتكفير بين السنة والبدعة، للشيخ نجم الدين الطبسي.

(٤) الكافي ٣/٣٠٣ عن الإمام الباقر عليه السلام: لا تكفّر فإنها يفعل ذلك المجوس.

(٥) يتكرر هذا التعبير في كتب الحديث وبالذات بالنسبة لبعض الرواة كمحمد بن مسلم ووزارة وأبي بصير ونظرائهم، وهو راجع إلى أن هؤلاء قد عاصروا الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وأخذوا عنهما، وما داموا يروون عن أحدهما فلا فرق! على أنه ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «إن حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي» وروي عنه أيضا: «أبي أعلم مني وعلم أبي لي».

(٦) تهذيب الأحكام ٢/٨٤

٢١ / وصلاة العيدين هي احتفاء شكر الله تعالى على أن أعان عبده على القيام بما وجب عليه من الصوم لعامة الناس، والحج لمن استطاع إليه سبيلا، فكأن العيد الذي يستحق الاحتفاء به هو العبادة، وشكره أيضا عبادة. فكانت صلاة العيدين لذلك ونلاحظ أنها وإن كانت ركعتين إلا أنها تحتوي على اثنتي عشرة تكبيرة: سبع في الأولى وخمس في الثانية.. فهل لهذا العدد ارتباط بالأئمة الاثني عشر؟ لا نستطيع الجزم بذلك وإن كان ليس بعيدا! فقد سأل أبو الصباح الإمام الصادق عليه السلام عن التكبير في العيدين، قال: اثنتا عشرة تكبيرة: سبع في الأولى، وخمس في الأخيرة^(١).

٢٢ / ويقدم عليه السلام حلا لمشكلة الوسوسة والشك الذي يعرض على المصلي، منه ما يرتبط بتعامل المصلي كشخص مع وسوسات الشيطان للتخلص منها ومنه، ومنها ما يطبقه من القواعد الفقهية التي يعمل بمقتضاها؛ أما الأول فهو ما قاله عليه السلام لزرارة، وأبي بصير عندما سألاه: «الرجل يشك كثيرا في صلاته حتى لا يدري كم صلى ولا ما بقي عليه؟ قال: يعيد، قلنا له: فإنه يكثر عليه ذلك كلما عاد شك؟ قال: يمضي في شكه ثم قال: لا تعودوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاة فتطمعوه فإن الشيطان خبيث يعتاد لما عود فليمض أحدكم في الوهم ولا يكثرن نقض الصلاة فإنه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك، قال زرارة ثم قال: إنما يريد الخبيث أن يطاع فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم»^(٢).

(١) وسائل الشيعة ٧/ ٤٣٥

(٢) الكافي ٣/ ٣٦٢

ومنها القواعد التي يلجأ إليها حين الشك، فإذا شك في العمل وهو في محله فيجب عليه الاتيان به، وإذا شك بعدما فرغ في أنه هل أتى به أو لا، أو أنه هل أتى به صحيحاً أو خطأً، فسيبيله في كلا الحالين عدم الاعتناء بالشك لتجاوزه المحل^(١) في الأول وفراغه منه في الثاني^(٢).

ولكن في موضوع الشك في عدد الركعات في الرباعية إذا لم يستقر ظن المصلي على جهة، فإنه يبني على العدد الأكثر^(٣) ويكمل الصلاة ثم يقوم ويأتي بركعة احتياط أو ركعتين بحسب مقدار الشك^(٤).

وقد كان بودي أن استمر في عرض أمهات الاحاديث في أبواب العبادات كالصوم والحج والخمس والزكاة، فضلاً عن المعاملات لكن هذا يخرج بنا عن طبيعة وضع الكتاب من حيث حجمه والفئة المستهدفة به، فلنقتصر على هذا المقدار.

(١) هي مفاد قول الإمام الصادق عليه السلام: «يا زرارة إذا خرجت من شيء ثم دخلت في غيره فشكك ليس بشيء»

(٢) ناقش علماء الطائفة في أن قاعدة التجاوز وقاعدة الفراغ هل هما واحدة في الواقع أو اثنتان؟ وبحث ذلك في بحوث الخارج.

(٣) الكافي، ٣/ ٣٥٧ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا لم تدر ثلاثاً صليت أو أربعاً ووقع رأيك على الثلاث فابن على الثلاث وإن وقع رأيك على الأربع فسلم وانصرف وإن اعتدل وهمك فانصرف وصل ركعتين وأنت جالس.

(٤) المصدر السابق ٣٥٥ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إن استوى وهمه في الثلاث والأربع سلم وصل ركعتين وأربع سجدة بفاتحة الكتاب وهو جالس يقصد في التشهد.

◀ رابعاً: من أصول العلم ودعائم الإيمان: معرفة ما يخرجك من دينك

كما أن للدين العظيم بوابة للدخول تتمثل في الشهادتين والإيمان بمؤداهما، ثم الالتزام بلوازمها من الواجبات والاجتناب عن نواهيها، فكذلك توجد بوابة للخروج منه.

مع أنه يوجد فرق بين الأمرين، فإن الدخول لا يحتاج إلا إلى الاعتقاد والتلفظ بتلك الشهادتين، ويكفي التلفظ في الحكم الظاهري على القائل بأنه مسلم وله ذمة الإسلام وحقوقه. بينما بالنسبة للخروج فإنه لا يمكن الحكم على الشخص بمجرد التلفظ بما يخالف تلك الشهادات، بل لا بد أن تنتفي الشبهة في حقه، وأن يكون مصمماً على ذلك معتقداً إياه.

وإذا أردنا أن نشبه أهمية هذا الجانب بشيء معروف فهو يشبه علم الأمراض، فإنه لا يكفي لصيانة البدن أن يعرف الطبيب الغذاء المناسب والفيتامينات اللازمة له، بل بالإضافة إلى ذلك وربما بنحو أهم أن يعرف ما الذي يهدم هذا البدن من الأمراض والمتاعب.

وربما لأجل ذلك استحب الدعاء في كل جمعة مع الاغتسال أن يسأل المؤمن ربه تطهير قلبه من كل الآفات التي تمحق دينه وتبطل عمله، فقد ورد عنهم عليهم السلام: «تقول في غسل الجمعة: «اللهم طهر قلبي من كل آفة تمحق بها ديني وتبطل بها عملي»^(١).

(١) الكافي، ج ٣، الشيخ الكليني، ص ٤٧

عن مسند الإمام الصادق

أمام ناظريّ كتاب مسند الإمام الصادق للمرحوم العلامة الشيخ عزيز الله العطاردي، وهو يمثل جزءاً مما أثار عن الإمام عليه السلام وهذا بدوره إنما يشكل جزءاً بسيطاً مما قاله عليه السلام، وأما الكثير من ذلك فلم ينقل، أو لم يحفظ.

ومع هذا فإنه شيء مذهل، فهذا الكتاب الذي جمع روايات الإمام الصادق عليه السلام حصراً، جاء في ٢١ مجلداً (الثاني والعشرين ذكر فيه أسماء الأصحاب).

وكان عدد الاحاديث الصادقية التي أوردها في المسند هو: ٣٨٥٥٩ حديثاً.. أعد قراءة الرقم من جديد وتأمل معي في دلالاته.

١ / وأول دلالاته هذا العدد الضخم، أكثر من ثمانية وثلاثين ألف حديث ورواية وبعضها يأخذ عدة صفحات. وهذا من إمام واحد من اثني عشر إماماً معصوماً، وهو يعني الزيادة على

ما في (صحيح البخاري، وصحيح مسلم وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارمي وموطأ مالك) مجتمعة مع المكررات فيها من الأحاديث.

٢ / وثاني الدلالات هذا التنوع الهائل في مواضيعها بين مباحث عقائدية دقيقة في وجود الله وصفاته، وغاية الخلق ونبوة الأنبياء والحاجة إلى الأئمة وقيام الإمام المهدي عليه السلام، بالإضافة إلى بحوث القضاء والقدر، والجبر والاختيار، ومناظرات متنوعة مع الملحدين والزنادقة المشككين، وغيرها من البحوث العقائدية وسترى بعض عناوينها عن قريب. إلى بحوث الفقه والأحكام الشرعية التي تبدأ من مقدمات العبادات وإلى نهاية الحدود والديات والمواريث مروراً بالمعاملات والأحوال الشخصية وقضايا الزواج والأسرة والطلاق، إلى المواعظ والأخلاق وتهذيب النفس وقد تحتوي أجزاء هذا المسند العشرون على نحو ألف وخمسمائة حديث في الجزء الواحد، في هذه المواضيع.

وهذا عرض إجمالي للعناوين التي تناولتها أحاديث الإمام عليه السلام ورواياته، وقد اضطررنا لاختصارها اختصاراً شديداً، إذ الغاية الإشارة العامة لهذه العناوين لمن أراد المراجعة التفصيلية لها. وسنشير إلى عدد الأحاديث بجانب كل مجلد بحسب ما جاء في نهاية فهرس الجزء الحادي والعشرين، ويظهر أن هذا الإحصاء من جهة المؤلف العطاردي رحمه الله.

فقد جاء في:

١- المجلد الأول: / ١١٢٤ حديثا: في سيرته، حياته الشخصية، وأولاده.

ثم كتاب العقل: فضله وجنوده وأنه حجة الله على الخلق، وكتاب العلم فضل العلم وطلبه وصفات العلماء وفضلهم، ولزوم التمسك بالكتاب والسنة، باب ذم الرأي والقياس.

٢- المجلد الثاني: / ١٤٠٠ حديث: باب ان الله لا يوصف، باب العرش والكرسي، باب القضاء والقدر، باب الأسماء والصفات، في أنه ليس بجسم ولا صورة، باب التوحيد ونفي التشبيه، باب حق الله وجوامع التوحيد.

ويحتوي كذلك على كتاب النبوة والأنبياء عليهم السلام من آدم إلى محمد رسول الله.

وكذلك كتاب الإمامة بما فيه الاضطرار إلى الحجة، النصوص على الأئمة عليهم السلام.

٣- المجلد الثالث: / ١٧٩٣ حديثا: التفصيل في ذكر مقامات الأئمة وصفاتهم وعرض الأعمال عليهم، وعلمهم وأن عندهم علم الأنبياء والكتب السابقة واسم الله الأعظم، ومعاجزهم ولزوم معرفة الإمام. وعقوبة ادعاء الإمامة.

كما تعرض في أحاديث كثيرة إلى الإمام المهدي عجل الله

فرجه، وما فيه من سنن الأنبياء، وعلامات ظهوره وصفاته أعوانه. وما يرتبط بغيبته.

٤ - المجلد الرابع: / ١١٨٤ حديثاً: جاء فيه ذكر فضائل المعصومين عليهم السلام إلى الإمام موسى بن جعفر، ثم ما ذكر في شأن ١٥٧ من أصحاب الإمام الصادق

٥ - المجلد الخامس: / ١٩٣١ حديثاً: وتناول فيه صفات الشيعة وفضائلهم، وابتلاءاتهم، وأخلاقهم.

كما تناول تحت عنوان كتاب الايمان والكفر، باب الاسلام والايان وخصال المؤمن وخصائصه من الرضا والصبر والإخلاص والورع والعفة والخوف والرجاء واجتناب المحارم والشكر وحسن الخلق والصدق والأمانة والعفو والحلم وحفظ اللسان.. وعشرات الصفات الأخر.

كما تطرق في الطرف الآخر إلى الذنوب والكبائر بل أركان الكفر، وما يفسد الإيeman من الرياء والنفاق وطلب الرئاسة والكبر والعجب وسوء الخلق والبذاء وقطع الرحم والعقوق واحتقار المؤمن والغيبة والتهمة والنميمة والإذاعة.. وعشرات الصفات الأخر السيئة.

٦ - المجلد السادس: / ١١٨٤ حديثاً.. وجاء في هذا الجزء مواعظه ووصاياه عليه السلام الخاصة لأفراد أو تلك العامة للجميع، والتأكيد على الآداب المطلوبة، ثم أورد ما يرتبط بالقرآن الكريم،

فبدأ بذكر الأحاديث في فضل القرآن، ثم في علومه كنزوله وناسخه ومنسوخه، وفي موضوع التفسير بالرأي، وفي أنه تبيان لكل شيء وبيان علاقة الأئمة بالقرآن، ثم أورد ما جاء في تفسير آيات القرآن عن الإمام الصادق بدءاً من الفاتحة إلى سورة الأعراف.

٧ - المجلد السابع: / ١٢٩٩ حديثاً ويحتوي على تفسير آيات القرآن من التوبة إلى سورة المجادلة.

٨ - المجلد الثامن: / ١٢٤٩ حديثاً ويحتوي على تفسير آيات القرآن إلى سورة الناس، ثم يتعرض إلى الدعاء فيلاحظ آثاره وشروطه، وما ينبغي أن يكون عليه، ويورد الأدعية المروية عنه عليه السلام

٩ - المجلد التاسع: / ٨٨٥ حديثاً ويحتوي هذا الجزء على الأدعية ومناسباتها الزمانية والمكانية في الأشهر وبعد الأفعال كالصلوات، وغيرها ونقل عنه أدعية الأنبياء.

ثم أخذ في ذكر احتجاجاته ومناظراته فأورد نحو ١٤ مناظرة.

ثم أورد أحاديثه في باب الطهارة والمياه.

١٠ - المجلد العاشر: / ٢١٩٦ حديثاً وقد استكمل في هذا أبواب الطهارات، من الوضوء والغسل والتيمم، ثم أحاديثه في مكان المصلي وهكذا بقية واجبات الصلاة من القراءة والركوع والسجود.

١١ - المجلد الحادي عشر: / ٢٣٣٣ حديثاً وجاء فيه

الأحاديث عن صلاة العيدين والجماعة والمسافر.

وبعدها أورد ما جاء عنه في أبواب الصوم، والمفطرات وأحكامها.

١٢ - المجلد الثاني عشر: / ٢٠٤٠ حديثا وأورد فيه مسائل الزكاة، وفيه تجب وما أحكامها، ثم تعرض إلى مسائل في لزوم الكسب الحلال، واجتناب المكاسب المحرمة كالربا وأمثاله.

١٣ - المجلد الثالث عشر: / ٢١٤٧ حديثا وقد أورد فيه ما يرتبط بالمعاملات ولا سيما البيع، ثم أورد مسائل ترتبط بالسفر كمقدمة للحديث عن فريضة الحج وفضل الحج والعمرة، وتطرق إلى حج الأنبياء عليهم السلام.

١٤ - المجلد الرابع عشر: / ٢٤٤٢ حديثا وفي هذا الجزء أورد المؤلف جملة أحاديث الإمام الصادق عليه السلام المرتبطة بالحج بدءا من الإحرام والتلبية وإلى نهاية أعمال الحج.

١٥ - المجلد الخامس عشر: / ٢٢٩٢ حديثا جاء فيه أحاديث الإمام عن زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقبور أهل البيت في المدينة، ثم زيارات المعصومين عليهم السلام في غير المدينة.

كما ضم هذا الجزء أحاديث الإمام في الجهاد؛ وجوبه ووجوهه، وقضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذا الجزء نجد أيضا كتاب النكاح والعلاقة الزوجية،

ومناكحة فئات صالحة وغير صالحة من المجتمع.

١٦ - المجلد السادس عشر: / ٢٣٠٧ أحاديث، أكمل فيه المؤلف أحاديث العلاقة الزوجية، وحقوق الزوجين، وأحكام النكاح المؤقت، وفي قسم آخر تعرض لأحكام الطلاق وأنواعه، وختم الجزء بكتاب الأولاد.

١٧ - المجلد السابع عشر: / ٣١٨٠ حديثا، وقد أورد المؤلف في هذا الجزء الأحاديث التي ترتبط بقضايا الزي واللباس والتجمل، وآداب التنظيف، كما تناول أيضا ما يرتبط بالبيت والمنزل من أحكام. وكذلك أحكام الدواب والحيوانات الأليفة التي يربها الشخص أيضا كان لها حضور في هذا الكتاب، وأحكام الأطعمة والضيوف، وكيفية الانتفاع بالطعام بشكل مناسب، سواء كان مصدره حيوانيا أو نباتيا.

١٨ - المجلد الثامن عشر: / ١٨٨٦ حديثا ونقل المؤلف في هذا الجزء ما جاء من أحاديث عن الإمام الصادق عليه السلام في الأشربة المحللة والأخرى المحرمة، وأورد أحاديثه في مسائل الصيد والذبابة، وشروط الذبح.

ثم أورد كتاب الشهادات، وبعدها كتاب القضاء وشروط القاضي وكيفية القضاء ومثبتات الدعاوي.

١٩ - المجلد التاسع عشر: / ١٩٨٤ حديثا في تنمة ما سبق

من كتاب القضاء أورد المؤلف أحاديث الإمام عليه السلام في الحدود والتعزيرات، ثم تعرض لمسائل الديات وأحكامها.

وأضاف إلى هذا الجزء كتاب الوصايا والميراث.

٢٠ - المجلد العشرون / ١٦١٩ حديثاً، أتم في هذا الجزء بقية مسائل الميراث، ثم شرع في كتاب الجنائز وما يرتبط بالموتوفى بدءاً من حالات قبض روحه إلى تجهيزه تغسيلاً وتكفيناً، ودفنه وما بعد ذلك من إقامة المأتم، ثم أورد أحاديث الإمام في ما يرتبط بالبعث والنشور ونعيم الجنة وعذاب النار.

ثم أورد أحاديث كثيرة بعنوان النوادر قد لا ينظمها عنوان واحد. فترى فيها أحاديث حول أبي طالب عليه السلام، وأخرى حول المنصور العباسي، وأحاديث عن أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه.. وهكذا.

٢١ - المجلد الحادي والعشرون / ٢٠٨٤ حديثاً، ونفس الأمر يجري في هذا الجزء فإنه لا ينظم رواياته ناظماً، بل هي متفرقة، بعضها أخلاقي ومواعظ وبعضها الآخر تاريخي، وقسم منها عقائد ومناظرات، وقسم آخر على طريقة الخصال العديدة.. وهكذا.

٢٢ / المجلد الثاني والعشرون / ترجم فيه لـ ٢١٤٤ من أصحاب الإمام عليه السلام ورواته. بالطبع هذا لا يحوي كل أصحاب الإمام عليه السلام، فإن المشهور أن عدد الذين أخذوا عنه يبلغون ٤٠٠٠ كما ذكر ذلك الشيخ المفيد ناقلاً عن ابن عقدة.

الوصايا والرسائل الصادقية

يلحظ المتابع لأحاديث الإمام عليه السلام وسيرته أن جانب الوصايا يحتل موقعاً كبيراً في هذه الأحاديث وتلك السيرة، ولو أريد جمع كل ما ينطبق عليه عنوان الوصايا، لجاءت في كتاب كبير. وسنحاول هنا الإشارة إلى مختصرات وعناوين لتلك الوصايا عبر نقاط هي التالية:

١ / إننا نلاحظ تنوع هذه الوصايا، فمنها ما هو وصية لفرد ومنها ما هو وصية للشيععة والمجتمع، وفي القسمين ما هو مختصر في بضعة سطور وما هو مفصل ومستوعب.

فمن الفردي: وصية الإمام عليه السلام لعبد الله بن جندب، ووصيته لمؤمن الطاق محمد بن النعمان، ووصيته لرجل نقلها أبان الأحمر، ووصيته لعبد الله النجاشي الذي أصبح والياً على الأهواز.. وغيرها. ومن الاجتماعي أو العام، ووصيته التي كتبها لشيعته وأصحابه وأمرهم بمدارسها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها، فكانوا

يضعونها في مساجد بيوتهم، فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها وهي مفصلة للغاية وسيأتي الحديث عنها، ومنها ما هو مختصر كوصيته التي أوصى بها المفضل الجعفي وقال: أوصيك بست خصال تبلغهن شيعتي وهي شديدة الاختصار. ووصيته التي أوصى بها أبا سعيد المدائني حين قال له الإمام: أقرئ موالينا السلام وأعلمهم بكذا وكذا.

٢ / تكتسب هذه الوصايا أهمية من جهة التركيز على الأمور المرتبطة بالشخص أو الجهة التي يوصيها الإمام، فإن صاحب الوصية - عادة - ينظر إلى أهم القضايا التي يحتاجها طرف الخطاب (الموصى) ويوجه إليها في تلك الوصية، فمثلا لا يوصيه بالأحكام الفقهية غالبا وإنما بالأمور الأخلاقية والاجتماعية، وإذا كان مثل عبد الله النجاشي (الوالي) فإنه يركز على المشكلات التي تعترض الوالي على البلد أكثر مما يركز على المواضيع المتفرقة. وهي تختلف مثلا بعض الشيء عن وصية عبد الله بن جندب.

وصحيح إن بعضها كان بطلب من الشخص للإمام أن يوصيه بوصية أو يعظه بموعظة^(١)، إلا أن الغالب فيها هو أن الإمام عليه السلام

(١) عن عمر بن سعيد بن هلال قال: قلت: لأبي عبد الله أوصني! فقال: أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه وانظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك وكثيرا ما قال عز ذكره لرسوله ﷺ ﴿قُلْ تُعْجِبُكُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ وقال عز ذكره لرسول الله ﷺ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

كان يبدأ الشخص بالوصية ولا شك والحال هذه أن الإمام يوجهه إلى ما يراه أكثر أهمية بالنسبة له. وهكذا حينما يوجه الوصية إلى المجتمع الشيعي فإنه يستحضر الحاجات الأساسية في هذا المجتمع ويعالجها بالنصيحة.

٣/ سوف نلاحظ أن بعض الوصايا هي من وصايا المعصوم لمعصوم بعده كوصية النبي المصطفى ﷺ لأمر المؤمنين ﷺ والتي نقلها الإمام الصادق، ووصيته نفسه لابنه الإمام موسى عليه السلام، وهنا يذهب العلماء إلى مذاهب في تفسيرها مع كون علمهم عليهم السلام واحداً، فقد يقال أن: هذه الوصايا هي مما علمه رسول الله إياهم وينطبق عليه (حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث رسول الله)، فهذا هو مما علمهم رسول الله ومما يعلمه الامام السابق إلى اللاحق. وقد يمكن تفسير ذلك بأن هذه المعاني قد أريد التأكيد عليها، من معصوم لمعصوم، ونقل المعصوم التالي لها لغيره ناسبا إياها لأبيه أو جده لبيان هذا الجانب والتأكيد عليه. ومن هذا ما نقله المحدثون في وصية الإمام جعفر لابنه موسى عليه السلام.

فإن نازعتك نفسك إلى شيء من ذلك فاعلم أن رسول الله ﷺ كان قوته الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف وإذا أصبت بالمصيبة فاذكر مصابك برسول الله ﷺ فإن الناس لم يصابوا ولن يصابوا بمثلته ثم قال إن أمير المؤمنين عليه السلام كان ليجلس جلسة العبد ويأكل أكل العبد ويطعم الناس الخبز واللحم ويرجع إلى رحله فيأكل الخل والزيت وكان ليشتري القميصين السبلانيين ثم يغير غلامه خيرهما.

٣/ بمراجعة ما سبق من المواضيع نستطيع أن نضع اتجاهات لهذه الوصايا، فمنها ما يدخل في إطار تحقيق الوحدة الاجتماعية للطائفة وتوجيه السلوك العام (وقد يدخل في هذا السلوك العبادي، والعلاقة مع الآخرين) وسنلاحظ هذا جلياً في الوصية - الرسالة المفصلة التي نقلها الشيخ الكليني عن الإمام عليه السلام. وقد يدخل الفردي منها في تحقيق المستوى الأعلى من الإيمان والعمل وهو ما ينتظر من طلائع المجتمع الشيعي وقياداته، وقد يكون بعضها ناظراً إلى المستويات العادية لعامة الناس.

وسوف نركز على الوصية - الرسالة العامة الشيعية، على طول عبارتها وتفصيلها، لأنه أشبه بمنشور خاص يحدد برامج عمل المؤمنين الشيعة قد وضعه لهم الإمام الصادق، واهتم بتلك الوصية وأمرهم بالاهتمام بها. وذلك بعد التعرض إلى بعض المواضيع التي وردت في قسم من الوصايا الفردية.

نشير هنا إلى أن عملنا هنا هو شبيه بعض الشيء لما صنعه آية الله المظفر في كتابه الامام الصادق حيث أفرد قسماً خاصاً للوصايا، وهو وإن لم يشرحها كاملة إلا أنه قد سلط الضوء على بعض جوانبها. وكذلك صنع بتفصيل أكثر العلامة الشيخ أسد حيدر في كتابه الإمام الصادق والمذاهب الأربعة.

◀ **الأولى: وصية الامام الصادق لأبي جعفر محمد بن النعمان (الأحول)**

مؤمن الطاق:

لمعرفة الشخص الذي أوصاه الإمام بهذه الوصية، سأنقل

بعض ما كتبه عنه في كتابي (رجال حول أهل البيت)^(١) قبل سنوات. بعنوان:

مؤمن الطاق محمد بن علي بن النعمان البجلي الكوفي.

بالرغم من أنه كان صيرفياً يعمل في طاق المحامل بالكوفة، إلا أنه لم يشتهر بها إنما اشتهر بتصريف الكلام، ونقد العقائد والنحل، مدافعاً في ذلك عن منهج أهل البيت عليهم السلام، فلا تراه قائماً من جلسة حوار إلا ليجلس - إلى حلقة نقاش وهكذا فما أن يصل إلى مكان حتى يستلمه أهل ذلك المكان بالأسئلة.

وبالرغم من أن مسكنه الكوفة إلا أنه - تبعاً لتجارته ومسؤولياته - كان ينتقل بين المدن الإسلامية وفي طليعتها المدينة المنورة حيث مركز الثقل الديني، المتمثل في وجود الإمام الصادق عليه السلام حيث كان يتزود من علمه وفقهه، ثم يعود إلى مركز عمله. وفي كل تلك المناطق لم يكن مجهولاً ولا نكرة.

ولدقته في النقد للدرهم، والعقائد، فقد لقبه أعداؤه بشيطان الطاق، ذلك أنه لاحاه قوم في درهم، فقال إنه أصيل، وقال إنه ستوق أي مزيف وبيننا أجمع أولئك على صحة الدرهم أصر ابن النعمان على أنه مزيف، وبعد الفحص تبين صحة كلامه وبطلان كلامهم، الأمر الذي حيرهم وأدهشهم فسموه شيطان الطاق (أي طاق المحامل حيث يعمل)، وفي العقائد كذلك فقد تفوق عدداً من

(١) رجال حول أهل البيت، فوزي آل سيف، ٢/٧١

المرات على منافسه أبي حنيفة فسماه بشيطان الطاق.

ولمعرفة الإمام الصادق عليه السلام باستيعاب مؤمن الطاق لمعالم الشريعة، وتفوقه فيها، وفنه في إدارة الحوار مع مخالفه في العقيدة، لذلك فإنه قد سمح له بأن يدخل في الحوار كيف ومع من شاء وبينما منع الإمام آخرين من هذا الأمر، نظراً لعدم كفاية قدرتهم على مواجهة الخصوم مما يحسب أنّذ على أصل المذهب.

فعن أبي خالد الكابلي قال رأيت أبا جعفر صاحب الطاق وهو جالس في المسجد وأهل المدينة قطعوا إزاره، وهو دائب يجيهم ويسألونه، فدنوت منه وقلت: إن أبا عبد الله هنا عن الكلام، فقال: أو أمرك أن تقول لي؟! فقلت: لا ولكنه أمرني أن لا أكلم أحداً.

قال: فاذهب وأطعه فيما أمرك. فدخلت على أبي عبد الله فأخبرته بقصة صاحب الطاق فتبسم أبو عبد الله وقال: يا أبا خالد إن صاحب الطاق يكلم الناس فيطير وينقض وأنت إن قصوك لن تطير.

وإذا كان الجدال العقيم الذي لا يهدف الوصول إلى العلم مرفوضاً وغير محبذ، و(ما أراد الله بقوم شراً إلا ابتلاهم بالجدل)، فإن النقاش العلمي، والدفاع عن العقيدة، والاحتجاج لها أمر مطلوب، وهو أحد مصاديق ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. ولعل هذا أحد أسباب تشجيع الأئمة عليهم السلام لأصحابهم الكفوئين، للنقاش والدفاع عن ثقافة أهل البيت.

وكان متنوع المواهب فكما ناقش أبا حنيفة مرارا وتفوق عليه، كذلك ناقش ابن أبي العوجاء في الإيمان والاحاد وفاقه، وإذا استعصى عليه شيء كان يستعين بأجوبة إمامه الصادق عليه السلام، كما ناظر ابن أبي خدرة الخارجي وأعجزه، وناقش السيد الحميري فجعله من أتباع جعفر بن محمد الصادق^(١) بعدما كان كيسائياً، وهكذا.

وكان في كل ذلك قوي الحجة سريع البديهة ظريف الجواب، فقد لقيه خارجي (وقيل أنه شهر سيفه عليه) فقال: ما أفارقك أو تبرأ من عليّ، فقال: أنا من عليّ ومن عثمان بريء. يريد أنه من عليّ، وأنه بريء من عثمان!^(٢)

هذا العالم الجليل هو الذي كان يوصيه الإمام عليه السلام! ولنا أن نتساءل هل هذه الوصايا كانت له باعتبار موقعه كمحاور دائم مع هذه الفئات المختلفة؟ وبالتالي يمكن أن يكشف من الأفكار والأمور حين التحدي والمشاكسة ما لا ينبغي كشفه؟ فيحتاج إلى تأكيدات من الإمام على ما سيأتي ذكره من المواضيع أكثر من غيره.

أو أن هذه التوصيات كانت له ظاهراً، ولسائر الشيعة واقعاً؟ على طريقة (إياك أعني واسمعي يا جارة)؟ أو كلا الأمرين؟

أيّاً يكن، فإننا سنعرض على سبيل الفهرسة لمواضيع الوصية ثم نقل نصها:

(١) لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني ٥ / ٣٠١

(٢) عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري ٢ / ٢٢٢

- محور هذه الوصية وموضوعها الأساس هو الالتزام بالتقية والكتمان، وتقبيح أمر الإذاعة والإفشاء! سواء كان ذلك للأسرار التابعة لعمل الإمام عليه السلام وحركة الشيعة في عهده، أو في ذلك النمط من الأحاديث التي يعسر على كثير من الناس استيعابها وتفهم معانيها! وقد تعرض لهذا الموضوع من جهاته المختلفة، العقائدية والأخلاقية وأشار إلى منافذ خروج السر المتعددة..

- وبدأ سلام الله عليه بالتأكيد على أن الله سبحانه ذم صفة الإذاعة والإفشاء، كما سيأتي في ذكره للآية المباركة. بل صعد من الذم إلى حد أنه جعل مذيع سرهم كالشاهر بسيفه عليهم.

- وأكد على ضرورة النظر إلى خواتم الأمور ونتائجها وتجنب الاكتفاء بالنظر لمظاهر الأمور وقوادمها، فقد يكون ظاهر الأمر سيئاً ولكن نتيجه حسنة كما قص القرآن الكريم قصة الخضر مع النبي موسى عليه السلام، وكما حصل مع الإمام الحسن المجتبي عليه السلام في انتقاد بعض أصحابه للصلح^(١).

- ولقاومة صفة الإذاعة وإفشاء السر فقد ركز الإمام - بل الأئمة - على أهمية التقية إلى حد أنها وصفت بأنها دينه ودين آبائه، بل بأنه لولا التقية لما عبد الله! ولكيلا لا يستنكر البعض هذا المعنى ويستعظمونه، فإن أسهل تفسير لها أنه لولا أن الأنبياء مارسوا الحكمة مع قومهم لما نجحت دعوتهم وما عبد الله، وأن النبي

(١) لتفصيل النتائج المهمة التي ترتبت على اتخاذ قرار الصلح الحسنی راجع كتابنا: سيد الجنة الإمام الحسن المجتبي.

المصطفى عليه السلام، لولا أنه بدأ دعوته سرا وبالتقية والحكمة، لكان الكفار يقتلونه ليومه فلا يكون هناك عبادة لله.

- وللقضاء على صفة الإذاعة والإفشاء السيئة في النفس الإنسانية، لا بد من اجتناب منافذها المتعددة ومنها: المراء، والجدال، والخصومات. وهذه الثلاث وإن كانت تشترك في وجود طرف آخر إلا أن كلا منها لها ميزة تختلف عن الأخرى.

وفي المقابل لتركيز صفة التقية، ينبغي تعلم الصمت، سواء كان عن الفحشاء أو الصمت عما يوبق ويهلك عند السلطان في الموضوع السياسي.

بل وينبغي التقية حتى في الجانب العقائدي والعلمي، فإن العاقل الحكيم لا يقول كل الكلام في كل الأماكن وبأسلوب واحد، فقد يقول كلاما في مكان ويتقي قوله في مكان آخر، ويصرح بشيء أمام فئة ولا يصرح به أمام فئة أخرى. ومما ينسب إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين قوله:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى العلم ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن إلى الحسين وأوصى قبله الحسن
يا رب جوهر علم لو أبوح به لقليل لي أنت ممن يعبد الوثنا^(١)

فالأول أخلاقي، والثاني سياسي، والثالث علمي وعقائدي.

بل يترقى الإمام عليه السلام ليستفيد من صفة علم الله بالغيب وأنه لا يظهر على غيبه أحدا، في نفس الاتجاه وأن علم الله سبحانه ليس متاحا لكل طالب!

- ولأجل ذلك فإن العالم والمعصوم - مع إحاطته بكل العلم - لا يستطيع وليس من الحكمة أن يجيب على كل سؤال ولكل الناس! وكذلك هو حال العلماء من شيعتهم فإن من يقول: لا أدري ولا أعلم يكون قد ناصف العلم، إذ العلم منه ما يعلم وينبغي أن يعلم وينشر والقسم الآخر ما لا ينبغي أن يعلم وإذا علم فلا ينبغي أن ينشر.

- ولأن دخول الآخرين في مذهب أهل البيت وضمن تجمعهم وهو مما يحرص عليه المتحمسون من أبناء المذهب، قد يكون وسيلة للأعداء لكشف المذهب وأتباعه وخطط أئمتهم، فلا ينبغي المسارعة إلى هذا الحماس وترك الحكمة في الدعوة، بل ينبغي التأمل والتفكير في أنه ربما يكون الأفضل أن لا تتم الدعوة للمذهب بتلك السرعة وبعيدا عن الاحتياط، ولذلك فإن الإمام يؤكد على أتباعه أن: كفوا عن الناس واتركوا دعوتهم، فإن الله سبحانه إذا أراد بعبد خيرا جعل قلبه يطلب الحق وأنشد سيهتدي إليه، ولو بمعونة العلماء الصالحين من المذهب.

فأنت ترى عزيزي القارئ أن الإمام عليه السلام يركز على هذا الموضوع ويتناوله من جميع الجوانب والجهات، العقائدية والعلمية

والأخلاقية. فلنذهب معا إلى نص الوصية بعدما ذكرنا قسما من عناوينها وبعدها أشرنا إلى شيء من شخصية الرجل الذي أوصاه الإمام بهذه الوصية:

◀ نص الوصية

قال أبو جعفر (محمد بن النعمان): قال لي الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل عيّر أقواما في القرآن بالإذاعة، فقلت له: جعلت فداك أين قال؟ قال: قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ أَذَاعُوا بِهِ﴾^(١) «ثم قال: المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا، رحم الله عبدا سمع بمكنون علمنا فدفنه تحت قدميه. والله إني لأعلم بشراركم من البيطار بالدواب، شراركم الذين لا يقرؤون القرآن إلا هجرا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ولا يحفظون ألسنتهم. اعلم أن الحسن بن علي عليهما السلام لما طعن واختلف الناس عليه سلم الامر لمعاوية فسلمت عليه الشيعة عليك السلام يا مذل المؤمنين. فقال عليه السلام: «ما أنا بمذل المؤمنين ولكني معز المؤمنين. إني لما رأيتمكم ليس بكم عليهم قوة سلمت الامر لأبقى أنا وأنتم بين أظهرهم، كما عاب العالم السفينة لتبقى لأصحابها وكذلك نفسي وأنتم لنبقى بينهم».

يا بن النعمان إني لأحدث الرجل منكم بحديث فيتحدث به عني، فاستحل بذلك لعنته والبراءة منه. فإن أبي كان يقول: «وأي شيء أقر للعين من التقية، إن التقية جنة (درع) المؤمن ولولا التقية

ما عبد الله». وقال الله عز وجل: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾^(١) يا بن النعمان إياك والمرء، فإنه يحبط عملك. وإياك والجدال، فإنه يوبقك. وإياك وكثرة الخصومات، فإنها تبعدك من الله. ثم قال: إن من كان قبلكم كانوا يتعلمون الصمت وأنتم تتعلمون الكلام، كان أحدهم إذا أراد التعبد يتعلم الصمت قبل ذلك بعشر سنين فإن كان يحسنه ويصبر عليه تعبد وإلا قال: ما أنا لما أروم (أطلب) بأهل، إنما ينجو من أطال الصمت عن الفحشاء وصبر في دولة الباطل على الأذى، أولئك النجباء الأصفياء الأولياء حقا وهم المؤمنون. إن أبغضكم إليّ المترسّون. المشاؤون بالنمائم، الحسدة لإخوانهم ليسوا مني ولا أنا منهم.

إنما أوليائي الذين سلموا لأمرنا واتبعوا آثارنا واقتدوا بنا في كل أمورنا. ثم قال: والله لو قدم أحدكم ملء الأرض ذهباً على الله ثم حسد مؤمناً لكان ذلك الذهب مما يكوى به في النار.

يا بن النعمان إن المذيع ليس كقاتلنا بسيفه بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً. يا بن النعمان إنه من روى علينا حديثاً^(٢) فهو ممن قتلنا عمدا ولم يقتلنا خطأ. يا بن النعمان إذا

(١) آل عمران: ٢٨

(٢) بطبيعة الحال ليس المقصود هنا المنع من رواية الأحاديث كلا، فإن ذلك مما ينطبق عليه عنوان كتم العلم وهو غير جائز، والمعلوم أن تبليغ أحكام الله وهي أحاديثهم منه ما هو واجب التبليغ ومنه ما هو مستحب تبليغه.. لكن

يا ابن النعمان أبى على نفسك فقد عصيتني . لا تدع سري، فإن المغيرة بن سعيد كذب على أبي وأذاع سره فأذاقه الله حر الحديد. وإن أبا الخطاب كذب عليّ وأذاع سري فأذاقه الله حر الحديد. ومن كتم أمرنا زينّه الله به في الدنيا والآخرة وأعطاه حظه ووقاه حر الحديد وضيق المحابس . إن بني إسرائيل قحطوا حتى هلكت المواشي والنسل فدعا الله موسى بن عمران عليه السلام فقال: يا موسى إنهم أظهروا الزنا والربا وعمروا الكنائس وأضاعوا الزكاة. فقال: إلهي تحنن برحمتك عليهم، فإنهم لا يعقلون. فأوحى الله إليه أني مرسل قطر السماء ومختبرهم بعد أربعين يوماً. فأذاعوا ذلك وأفشوه. فحبس عنهم القطر أربعين سنة وأنتم قد قرب أمركم فأذعتموه في مجالسكم.

يا أبا جعفر ما لكم وللناس كفوا عن الناس ولا تدعوا أحدا إلى هذا الأمر، فوالله لو أن أهل السماوات [والأرض] اجتمعوا على أن يضلوا عبدا يريد الله هداة ما استطاعوا أن يضلوه. كفوا عن الناس ولا يقل أحدكم: أخي وعمي وجاري. فإن الله جل وعز إذا أراد بعبد خيرا طيب روحه فلا يسمع معروفا إلا عرفه ولا منكرا إلا أنكره، ثم قذف الله في قلبه كلمة يجمع بها أمره. يا ابن النعمان إن أردت أن يصفو لك ود أخيك فلا تمازحنه ولا تمارينه ولا تباهينه ولا تشارته ولا تطلع صديقك من سرّك إلا على ما لو اطلع عليه عدوك لم يضرّك. فإن الصديق قد يكون عدوك يوماً.

يا ابن النعمان لا يكون العبد مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث سنن:

سنة من الله وسنة من رسوله وسنة من الإمام، فأما السنة من الله جل وعز فهو أن يكون كتوما للأسرار يقول الله جل ذكره: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(١) وأما التي من رسول الله ﷺ فهو أن يداري الناس ويعاملهم بالأخلاق الحنيفية، وأما التي من الإمام فالصبر في البأساء والضراء حتى يأتيه الله بالفرج.

يا بن النعمان ليست البلاغة بحدّة اللسان ولا بكثرة الهذيان ولكنها إصابة المعنى وقصد الحجة. يا بن النعمان من قعد إلى سباب أولياء الله فقد عصى الله. ومن كظم غيظا فينا لا يقدر على إمضاءه كان معنا في السنام الاعلى. ومن استفتح نهاره بإذاعة سرنا سلط الله عليه حر الحديد وضيق المحابس.

يا بن النعمان لا تطلب العلم لثلاث: لتراثي به. ولا لتباهي به. ولا لتماري. ولا تدعه لثلاث: رغبة في الجهل. وزهادة في العلم. واستحياء من الناس. والعلم [ال] مصون كالسراج المطبق عليه.

يا بن النعمان إن الله جل وعز إذا أراد بعبد خيرا نكت في قلبه نكتة بيضاء فجال القلب يطلب الحق. ثم هو إلى أمركم أسرع من الطير إلى وكره.

يا بن النعمان إن حبنا - أهل البيت - ينزله الله من السماء من خزائن تحت العرش كخزائن الذهب والفضة ولا ينزله إلا بقدر

ولا يعطيه إلا خير الخلق وإن له غمامة كغمامة القطر، فإذا أراد الله أن يخص به من أحب من خلقه أذن لتلك الغمامة فتهطلت كما تهطلت السحاب. فتصيب الجنين في بطن أمه^(١).

◀ الثانية: وصية الإمام الصادق لعبد الله بن جندب البجلي

عبد الله بن جندب البجلي الكوفي

ذكره صاحب كتاب أحسن التراجم لأصحاب الإمام موسى الكاظم فقال: «محدث إمامي ثقة، مجتهد جليل القدر. روى كذلك عن الامامين الصادق عليه السلام والرضا عليه السلام، وكان من وكلاء الامامين الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام، وشريكا لصفوان بن يحيى وعلي بن النعمان. جاء اسمه في ٣٥ موردا في أسناد الروايات. روى عنه ١٥ راويا أمثال: ابراهيم بن هاشم، وإبراهيم بن أبي البلاد، وصفوان بن يحيى وغيرهم. كان على قيد الحياة قبل سنة ٢٠٣ هـ^(٢).

وأشار بقوله كان شريكا لصفوان بن يحيى وعلي بن النعمان إلى ما تعاقدوا عليه من أن من يموت منهم قبل صاحبه يقضي عنه الباقي، فكان آخرهم موتا صفوان بن يحيى ولذا كان يصلي في اليوم مائة وخمسين ركعة ويصوم ثلاثة أشهر.

وقد نقل عنه دعاؤه بظهر الغيب لإخوانه أهل الولاية في

(١) تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام، ابن شعبة الحراني، ص ٣١٣

(٢) أحسن التراجم لأصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام، عبد الحسين

صحراء عرفات، فعن علي بن إبراهيم، عن أبيه قال: رأيت عبد الله بن جندب بالموقف فلم أر موقفاً كان أحسن من موقفه، ما زال ماداً يديه إلى السماء ودموعه تسيل على خديه حتى تبلغ الأرض، فلما انصرف الناس قلت له: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك، قال: والله ما دعوت [الله] إلا لإخواني، وذلك أن أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أخبرني أنه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مائة ألف ضعف مثله، فكرهت أن أدع مائة ألف ضعف مضمونة لواحد لا أدري يستجاب أم لا^(١).

ولهذا ومثله روي عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام ان عبد الله بن جندب لمن المخبتين.

وقد روى عن الإمام موسى وابنه علي الرضا عددا من الروايات منها، ما جاء بالسند المعتبر في أسماء المعصومين عليهم السلام وهو المستحب ذكره في سجدة الشكر كما نقله الصدوق بسنده عن عبد الله بن جندب، عن موسى بن جعفر أنه قال: «تقول في سجدة الشكر: اللهم إني أشهدك واشهد ملائكتك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله ربي، والإسلام ديني، ومحمدا نبيي، وعليا والحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، والحجة بن الحسن بن علي، أئمتي بهم

(١) الكافي، الكليني ٥٠٨/٢

أتولى ومن أعدائهم أتبرأ»^(١).

يبقى أن نشير إلى أننا لم نعثر على رواية مباشرة منه عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، سوى هذه الوصية، وإن كان قد روى عنه بالواسطة. فإن الروايات التي رأيناها هي عن الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام، مع أن كلا من الشيخ الطوسي والبرقي عداه من أصحاب الصادق، وفي تعبير الرجالين (من أصحاب الصادق..) تقتضي المعاصرة لا أكثر.

وإذا فرضنا أنه بقي حيا إلى سنة ٢٠٣ هـ كما ذكر الشيخ الشبستري آنفا، فمعنى ذلك أن ما بين شهادة الإمام الصادق ووفاته هو نحو ٥٥ سنة، ولم نعثر على تحديد لعمره، فلو فرضنا أنه توفي وهو من أبناء الثمانين لقلنا إنه ربما يكون قد سمع هذه الوصية من الإمام وهو بحدود ٢٥ سنة من العمر أو نحوها.

وهذا يثير بعض الأسئلة، بعد تسليم أن الإمام قد أوصاه بهذه الوصية في ذلك السن المبكر، مع العلم أنه لم يتردد أحد في هذا الأمر فكل من نقل الوصية أشار إلى أنها وصية الإمام الصادق إلى عبد الله بن جندب.. ولم أجد من أشار إلى أنها هي الرواية الوحيدة المفصلة عن ابن جندب عن الإمام بقدر ما بحثت (وهو بحث ليس بمستوعب).

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ١/ ٣٦١ ولاحظ أيضا رسالة المرحوم الشيخ التبريزي: رسالة في النصوص الصحيحة على إمامة الأئمة الاثني عشر.

بالطبع ليست هذه عقدة، فإن بعض أصحاب الإمام الصادق المقربين كهشام بن الحكم كان أصغر من هذا السن عندما تقدم بين أصحاب الإمام. وكذلك فإن هذه الوصية وهي شاملة في النواحي الأخلاقية قد يكون مبررها أن ابن جندب لما كان في مقتبل عمره فهو بحاجة إليها بشكل أكيد. واستفاد الإمام من هذه الجهة ليعده بتربيته الأخلاقية ليكون من الوكلاء المهمين لابنه الكاظم وحفيده الرضا عليهما السلام.

◀ توجيهات وصية الإمام الصادق لابن جندب:

- يبدأ الإمام عليه السلام بإظهار التشوق إلى أولياء الله سبحانه الذين حشيت قلوبهم نورا، فزادت بصيرتهم ورأوا الدنيا بزخارفها وشهواتها على حقيقتها كالأفعى السامة الضارة.. ولا ريب أن ذلك سيلفت نظر ابن جندب حيث يرى إمام زمانه وحجة الله على خلقه يشتاقي إلى أولئك الأولياء، وعندها سيفكر أن يجذو حذوهم.

- ولكي يصل هذا الرجل أو غيره إلى المراتب العالية والسامية فإن هناك طريقا سالكا وهو محاسبة الانسان نفسه في كل يوم وليلة، فإذا رأى حسنة استزاد منها وكررها في يومه الآخر، وإن رأى سيئة استغفر الله عنها، وعزم على عدم العود إليها.

- والدنيا غرارة، لا بمعنى أنها تأتي للإنسان وتغره، وإنما يزينها أهل الدنيا في نظر سائر الناس، (وهذا ما نراه اليوم في ما ينشره الخاطئون وعبدة الدنيا من التظاهر بما هو عند الله معصية

فيتصور غير الواعين أن هذا هو النعيم والسعادة فيلهثون خلفهم ويفقدون قيمهم وإيمانهم) لذلك يقول الإمام طوبى لمن لم يغبط الخاطئين على ما أوتوا من نعيم الدنيا. وإنما يُغَبَطُ من طلب الآخرة وسعى لها سعيها، ولم يكتف بالأمنيات.

- وإذا ألقى الانسان نظره على المجتمع المسلم سيرى أتباع أهل البيت عليهم السلام مظلومين فيجب الإمام عليه السلام إن ذلك بسبب عدم الاستقامة والاستمرار فإنه لا يكفي وجود المنهج الصحيح وإنما لا بد من الاستمرار عليه حتى يثمر ثمرة، تماما مثلما هي البذرة الصالحة لا يكفي مجرد زراعتها أو سقيها وإنما الاستمرار على ذلك.

- وإذا أخطأ البعض في تطبيق ما يجب عليهم فلا يصح للباقيين أن (يهرّجوا) عليهم ويشنعوا عليهم مسقطين بذلك شخصيتهم، وإنما يقللون عثرتهم ما استطاعوا ويسددونهم بمقدار ما يتمكنون، فإن أصل الاتجاه إذا كان سليما وحصل خطأ في التطبيق ف(لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلا خيرا).

- إذا كان إقالة العثرة وتجنب التهريج على المؤمنين أول الخطوات في تحقيق التماسك الداخلي، فإن ادخال بعضهم السرور على البعض الآخر من أعظم القربات وفيه الثواب العظيم من الله تعالى، والتتويج بالنور الإلهي.

- والمؤمن لكي يصل إلى المراتب العالية لا يكفي أن يدعي أنه

من أتباع أهل البيت بل لا بد أن يحقق ذلك من خلال ترك الكسل والإقلال من النوم قدر الإمكان ليستثمر وقته في عبادة ربه وما هو نافع من الأعمال الصالحة ولذلك يستشهد الإمام عليه السلام بقول أم سليمان النبي لابنها وتحريضها إياه على الاقلال من النوم. لأن الإكثار منه يفقر العبد يوم القيامة.

- ويحذره الإمام من المهلكات: الحسد والغش والتحقير. بينما يوجهه اللهم الأساس والهدف العالي وهو فكك رقبتك من النار.

- ولأن الاكتفاء بالعناوين ولو كانت كاذبة، هو من الأمراض الخطيرة التي تصيب التجمعات، فإن الإمام يحذره - ويحذر جميع أبناء المذهب - بأن لا تذهب بهم المذاهب ويخدعوا أنفسهم بالشعارات الفارغة، إنما يصدق العنوان حيث تحصل الصفات، فما الشيعة إلا من حقق هذه الصفات في نفسه وسلوكه، وهي متنوعة فمنها صفات أخلاقية، ومنها أحكام شرعية، ومنها سيرة حياة وطريقة عيش.

- ثم ينشر الإمام عليه السلام له درر المواعظ والوصايا، فتحتار أيها تختار! لكن الأفضل أن نذهب إلى نفس النص الصادقي حتى نتفاعل مع معناه ونستضيء بضياه.

◀ نص وصيته لعبد الله بن جندب

روي أنه عليه السلام قال: يا عبد الله لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور فما يقصد فيها إلا أوليائنا ولقد حلت الآخرة في أعينهم

حتى ما يريدون بها بدلا. ثم قال: آه آه على قلوب حشيت نورا
وإنما كانت الدنيا عندهم بمنزلة الشجاع الأرقم (الأفعى) والعدو
الأعجم، أنسوا بالله واستوحشوا مما به استأنس المترفون، أولئك
أوليائي حقا وبهم تكشف كل فتنة وترفع كل بلية.

يا بن جنذب حق على كل مسلم يعرفنا أن يعرض عمله في كل
يوم وليلة على نفسه فيكون محاسب نفسه، فإن رأى حسنة استزاد
منها. وإن رأى سيئة استغفر منها لئلا يخزى يوم القيامة. طوبى
لعبد لم يغبط الخاطئين على ما أوتوا من نعيم الدنيا وزهرتها طوبى
لعبد طلب الآخرة وسعى لها، طوبى لمن لم تلهه الأماني الكاذبة.

ثم قال عليه السلام: رحم الله قوما كانوا سراجا ومنارا، كانوا دعاة
إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم، ليس كمن يذيع أسرارنا.

يا بن جنذب إنما المؤمنون الذين يخافون الله ويشفقون أن
يسلبوا ما أعطوا من الهدى، فإذا ذكروا الله ونعماءه وجلوا وأشفقوا.
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا مما أظهره من نفاذ قدرته. وعلى
رهبهم يتوكلون.

يا بن جنذب قديما عمر الجهل وقوي أساسه وذلك لا تخاذم
دين الله لعبا حتى لقد كان المتقرب منهم إلى الله بعلمه يريد سواه
أولئك هم الظالمون.

يا بن جنذب لو أن شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة
ولأظلمهم الغمام ولأشرقوا نهارا ولأكلوا من فوقهم ومن تحت

أرجلهم ولما سألوا الله شيئاً إلا أعطاهم.

يا بن جندب لا تقل في المذنبين من أهل دعوتكم إلا خيراً. واستكينوا إلى الله في توفيقهم وسلوا التوبة لهم. فكل من قصدنا ووالانا ولم يوال عدونا وقال ما يعلم وسكت عما لا يعلم أو أشكل عليه فهو في الجنة.

يا بن جندب يهلك المتكل على عمله. ولا ينجو المجترئ على الذنوب الواثق برحمة الله. قلت: فمن ينجو؟ قال: الذين هم بين الرجاء والخوف، كأن قلوبهم في مخلب طائر شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العذاب.

يا بن جندب من سره أن يزوجه الله الحور العين ويتوجه بالنور فليدخل على أخيه المؤمن السرور.

يا بن جندب أقل النوم بالليل، والكلام بالنهار. فما في الجسد شيء أقل شكراً من العين واللسان، فإن أم سليمان قالت لسليمان عليه السلام: يا بني إياك والنوم، فإنه يفقرك يوم يحتاج الناس إلى أعمالهم.

يا بن جندب إن للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاموا شبابه ومصائده. قلت: يا بن رسول الله وما هي؟ قال: أما مصائده فصد عن بر الاخوان. وأما شبابه فنوم عن قضاء الصلوات التي فرضها الله. أما إنه ما يعبد الله بمثل نقل الاقدام إلى بر الاخوان وزيارتهم. ويل للساهين عن الصلوات، النائمين في الخلوات، المستهزئين بالله

وآياته في الفترات ﴿أُولَئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

يا بن جندب من أصبح مهموما لسوى فكاك رقبتة فقد هون عليه الجليل ورغب من ربه في الريح الحقير. ومن غش أخاه وحقره وناواه جعل الله النار مأواه. ومن حسد مؤمنا اثاث الايمان في قلبه كما ينمات الملح في الماء.

يا بن جندب الماشي في حاجة أخيه كالساعي بين الصفا والمروة، وقاضي حاجته كالمتشطح بدمه في سبيل الله يوم بدر وأحد. وما عذب الله أمة إلا عند استهانتهم بحقوق فقراء إخوانهم.

يا بن جندب بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الاخوان في الله. وليس من شيعتنا من يظلم الناس.

يا بن جندب إنما شيعتنا يعرفون بخصال شتى: بالسخاء والبذل للإخوان وبأن يصلوا الخمسين^(٢) ليلا ونهارا. شيعتنا لا يهرون هرير الكلب ولا يطمعون طمع الغراب ولا يجاورون لنا

(١) آل عمران: ٧٧

(٢) مجموع ركعات الفرائض ١٧ والنوافل ٣٤، وهي وإن كانت احدى وخمسين بالدقة وقد وردت بهذا العدد في بعض الروايات إلا أنها وردت في روايات أخر بعنوان الخمسين (بعد معروفة الأمر). وفي هذا الموضع وردت بعنوان الخمسين.

عدوا ولا يسألون لنا مبغضا ولو ماتوا جوعا. شيعتنا لا يأكلون الجري (نوع من السمك الحرام) ولا يمسخون على الخفين ويحافظون على الزوال ولا يشربون مسكرا.

قلت: جعلت فداك فأين أطلبهم؟ قال عليه السلام: على رؤوس الجبال وأطراف المدن. وإذا خلت مدينة فسأل عمن لا يجاورهم ولا يجاورونه فذلك مؤمن كما قال الله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾^(١) والله لقد كان حبيب النجار وحده.

يا بن جنذب كل الذنوب مغفورة سوى عقوق أهل دعوتك. وكل البر مقبول إلا ما كان رثاء.

يا بن جنذب أحب في الله واستمسك بالعروة الوثقى واعتصم بالهدى يقبل عملك فإن الله يقول: ﴿لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٢). «فلا يقبل إلا الايمان. ولا إيمان إلا بعمل. ولا عمل إلا بيقين. ولا يقين إلا بالخشوع وملاكها كلها الهدى، فمن اهتدى يقبل عمله وصعد إلى الملكوت متقبلا» ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٣).

يا بن جنذب إن أحببت أن تجاور الجليل في داره وتسكن الفردوس في جواره فلتهن عليك الدنيا واجعل الموت نصب عينك.

(١) يس: ٢٠

(٢) طه: ٨٢

(٣) البقرة: ٢١٣

ولا تدخر شيئاً لغد. واعلم أن لك ما قدمت وعليك ما أخرت.

يا بن جندب من حرم نفسه كسبه فإنما يجمع غيره. ومن أطاع هواه فقد أطاع عدوه. من يثق بالله يكفه ما أهمه من أمر دنياه وأخرته ويحفظ له ما غاب عنه.

وقد عجز من لم يعد لكل بلاء صبرا ولكل نعمة شكرا. ولكل عسر يسرا. صبر نفسك عند كل بلية في ولد أو مال أو رزية، فإنما يقبض عاريتته ويأخذ هبته ليلو فيها صبرك وشكرك. وارح الله رجاء لا يجزيك على معصيته وخفه خوفاً لا يؤيسك من رحمته. ولا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتكبر وتجب بعملك، فإن أفضل العمل العبادة والتواضع. فلا تضيع مالك وتصلح مال غيرك ما خلفته وراء ظهرك. اقنع بما قسمه الله لك. ولا تنظر إلا إلى ما عندك. ولا تتمن ما لست تناله. فإن من قنع شبع ومن لم يقنع لم يشبع. وخذ حظك من آخرتك. ولا تكن بطرا في الغنى، ولا جزعا في الفقر. ولا تكن فظا غليظا يكره الناس قربك ولا تكن واهنا يحقرك من عرفك. ولا تشار من فوقك ولا تسخر بمن هو دونك. ولا تنازع الامر أهله.

ولا تطع السفهاء. ولا تكن مهينا تحت كل أحد. ولا تتكلن على كفاية أحد. وقف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل أن تقع فيه فتندم. واجعل قلبك قريبا تشاركه. واجعل عمالك والدا تتبعه. واجعل نفسك عدوا تجاهده وعارية تردها، فإنك قد

جعلت طيب نفسك وعرفت آية الصحة وبُيِّن لك الداء ودلت على الدواء. فانظر قيامك على نفسك. وإن كانت لك يد عند إنسان فلا تفسدها بكثرة المن والذكر لها ولكن اتبعها بأفضل منها، فإن ذلك أجمل بك في أخلاقك وأوجب للثواب في آخرتك. وعليك بالصمت تعد حليها - جاهلا كنت أو عالما - فإن الصمت زين لك عند العلماء وستر لك عند الجهال.

يا بن جندب إن عيسى ابن مريم عليه السلام قال لأصحابه: «أرأيتم لو أن أحدكم مر بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن بعض عورته أكان كاشفا عنها كلها أم يرد عليها ما انكشف منها؟ قالوا: بل نرد عليها. قال: كلا، بل تكشفون عنها كلها - فعرفوا أنه مثل ضربه لهم - فقيل: يا روح الله وكيف ذلك؟ قال: الرجل منكم يطلع على العورة من أخيه فلا يسترها. بحق أقول لكم إنكم لا تصيبون ما تريدون إلا بترك ما تشتهون. ولا تنالون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون. إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة. طوبى لمن جعل بصره في قلبه ولم يجعل بصره في عينه. لا تنظروا في عيوب الناس كالأرباب وانظروا في عيوبكم كهيئة العبيد. إنما الناس رجلان: مبتلى ومعافى فارحموا المبتلى واحمدوا الله على العافية».

يا بن جندب صل من قطعك. وأعط من حرمك. وأحسن إلى من أساء إليك. وسلم على من سبك. وأنصف من خاصمك. واعف عمن ظلمك، كما أنك تحب أن يعفى عنك، فاعتبر بعفو الله

عنك، ألا ترى أن شمسك أشرقت على الأبرار والفجار. وأن مطره ينزل على الصالحين والخاطئين.

يا بن جندب لا تتصدق على أعين الناس ليزكوك، فإنك إن فعلت ذلك فقد استوفيت أجرك، ولكن إذا أعطيت يمينك فلا تطلع علينا شمالك، فإن الذي تتصدق له سرا يجزيك علانية على رؤوس الأشهاد في اليوم الذي لا يضرك أن لا يطلع الناس على صدقتك. واخفض الصوت، إن ربك الذي يعلم ما تسرون وما تعلنون، قد علم ما تريدون قبل أن تسألوه. وإذا صمت فلا تغتب أحدا. ولا تلبسوا صيامكم بظلم. ولا تكن كالذي يصوم رياء الناس، مغبرة وجوههم، شعثة رؤوسهم، يابسة أفواههم لكي يعلم الناس أنهم صيام.

يا بن جندب الخير كله أمامك، وإن الشر كله أمامك. ولن ترى الخير والشر إلا بعد الآخرة، لأن الله جل وعز جعل الخير كله في الجنة والشر كله في النار، لأنهما الباقيان. والواجب على من وهب الله له الهدى وأكرمه بالإيمان والهمة رشده وركب فيه عقلا يتعرف به نعمه وآتاه علما وحكما يدبر به أمر دينه ودنياه أن يوجب على نفسه أن يشكر الله ولا يكفره وأن يذكر الله ولا ينساه وأن يطيع الله ولا يعصيه، للقديم الذي تفرد له بحسن النظر، وللحديث الذي أنعم عليه بعد إذ أنشأه مخلوقا، للجزيل الذي وعده، والفضل الذي لم يكلفه من طاعته فوق طاقته وما يعجز عن القيام به وضمن له العون على تيسير ما حمله من ذلك وندبه إلى الاستعانة على قليل ما

كلفه وهو معرض عما أمره وعاجز عنه قد لبس ثوب الاستهانة فيما بينه وبين ربه، متقلدا لهواه، ماضيا في شهواته، مؤثرا لندياه على آخرته وهو في ذلك يتمنى جنان الفردوس وما ينبغي لاحد أن يطمع أن ينزل بعمل الفجار منازل الأبرار. أما إنه لو وقعت الواقعة وقامت القيامة وجاءت الطامة ونصب الجبار الموازين لفصل القضاء وبرز الخلائق ليوم الحساب أيقنت عند ذلك لمن تكون الرفعة والكرامة وبمن تحل الحسرة والندامة: فاعمل اليوم في الدنيا بما ترجو به الفوز في الآخرة. يا بن جندب قال الله عز وجل في بعض ما أوحى: «إنما أقبل الصلاة ممن يتواضع لعظمتي ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي ويقطع نهاره بذكري ولا يتعظم على خلقي ويطعم الجائع ويكسو العاري ويرحم المصاب ويؤوي الغريب فذلك يشرق نوره مثل الشمس، أجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما أكلاه بعزتي واستحفظه ملائكتي، يدعوني فألبيه ويسألني فأعطيه، فمثل ذلك العبد عندي كمثل جنات الفردوس لا يسبق أثمارها ولا تتغير عن حالها».

يا بن جندب الاسلام عريان فلباسه الحياء وزينته الوقار ومروءته العمل الصالح وعماده الورع، ولكل شيء أساس وأساس الاسلام جينا أهل البيت.

يا بن جندب إن الله تبارك وتعالى سورا من نور، محفوفًا بالزبرجد والحريز، منجدا بالسندس والديياج، يضرب هذا السور بين أوليائنا وبين أعدائنا فإذا غلى الدماغ وبلغت القلوب الحناجر

ونضجت الأكباد من طول الموقف ادخل في هذا السور أولياء الله، فكانوا في أمن الله وحرزه، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين. وأعداء الله قد أجمهم العرق وقطعهم الفرق وهم ينظرون إلى ما أعد الله لهم، فيقولون: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾^(١) فينظر إليهم أولياء الله فيضحكون منهم، فذلك قوله عز وجل: ﴿أَتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾^(٢) وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾^(٣) «فلا يبقى أحد ممن أعان مؤمنا من أوليائنا بكلمة إلا أدخله الله الجنة بغير حساب»^(٤).

٣/ المنشور الشيعي برنامج عمل عام

◀ وصية الإمام عليه السلام للشيعة

١/ يتميز نص الوصية الذي سننقله بتمامه على طوله، بميزات فريدة، فهو كتابة مباشرة من الإمام عليه السلام، حيث أنه كتب بهذه الرسالة إلى أصحابه «ومن المعلوم أن إمكانيات التركيز في الشيء المكتوب - عادة - هي أكثر منها في الشيء المفوظ».

كما أنه يظهر من الرواية أنه هو عليه السلام بادر بالكتابة، بخلاف بعض الوصايا الفردية التي كان بعضهم يطلب من الإمام موعظة

(١) سورة ص: ٦٢

(٢) سورة ص: ٦٣

(٣) المطففين: ٣٤ - ٣٥

(٤) تحف العقول: ابن شعبة الحراني ٣٠٩

أو نصيحة، وعندما نقول بادر بالكتابة والتوجيه فلا بد أن يكون عليه السلام قد رصد بعض الأمور التي تحتاج إلى توجيه وتفهم.

ويستفاد من مقدمة الرسالة والرواية التي أوردتها، أن الإمام أمر أصحابه «بمدارستها والنظر فيها وتعاهدتها» وأنهم على أثر ذلك «كانوا يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها» ولا يخفى الإشارة الروحية الموجودة في هذه الجهة، فمثلما يعقبون بعد انتهاء الصلاة بتلاوة القرآن، وقراءة الدعاء، كانوا يتعاملون مع هذه الوصية بهذا النحو.

٢ / إن هذه الرسالة والوصية أشبه بخطة عمل دائمة للشيعة. وهي من الأهمية بمكان، فقد رأينا في هذه السنين كيف أن بعض الشيعة ربما عملوا أمورا غير لازمة في مكان أمانهم، فعوقب إخوتهم بها في مكان خوفهم! ورأينا أن البعض اتخذ سياسة من المهاجمة الصريحة في ظرفٍ فإذا بها تترد على الشيعة الآخرين بالسوء في ظرف آخر. وهكذا. فإن الناظر الفاحص لا تخطئ عينه مقدار الاضطراب الموجود في الساحة الشيعية الإسلامية! ولولا توجيهات المرجعية العليا الجامعة لكان الوضع أسوأ بكثير مما هو عليه.

تأتي هذه الرسالة - الوصية حيث أنها من الإمام المعصوم لتقطع سبيل الاجتهادات، فضلا عن الأمزجة في إدارة الأمر العام فلننظر إلى بعض فقراتها ونضع لها العناوين المقربة للمعنى.

٣ / بدأ الإمام عليه السلام بالحديث عن أن الشيعة لما كانوا يعيشون

في دولة الباطل ومع أهل الباطل والاتجاهات المنحرفة، فلا بد لهم من مجاملتهم وعدم استفزازهم، لا سيما مع أكثرية أولئك وأقلية هؤلاء سواء من جهة العدد أو القوة. ومع وجود الاختلاف الفكري والروحي ووجود الجوار فإن ذلك لو لم يؤطر بإطار المجاملة والتقية يكون نذير حرب بين الفئتين، وبطبيعة الحال فإن تلك الفئة المعادية تنمر وتؤذي شيعة آل محمد.

إن هذا يرد على القائلين بأنه انتهى زمان التقية! فإن هذا يساوي أن يقول شخص: انتهى زمان الحكمة! ولا حاجة للتعقل!

٤ / إن وجود هذا التجاور في أتباع المذاهب المتعددة، يفرض بشكل طبيعي وجود حوار وأسئلة ومناقشات، وهنا ينصح الإمام أتباعه إذا اضطروا لذلك أن يجتنبوا مزالق اللسان (من السب والشتم والعنف اللفظي) كما أن يتجنبوا طريق الزور والبهتان والذي رأيناه في بعضهم ممن كذبوا على الأئمة وشيعتهم ونسبوا لهم ما هم منه براء.

٥ / هذا مع أن الإمام عليه السلام يفضل لأصحابه، الصمت قدر الإمكان وعدم الانجرار والانزلاق لتلك المواجهات، وليشغلوا لسانهم بالذكر من تسبيح وتهليل وتقديس، ويعلقوا قلوبهم بالدعاء الصالح فما أدرك المسلمون أفضل من الدعاء في قضاء الحوائج.

٦ / ولئن يتبرم ويتضجر من الحالة التي يعيشها الانسان الشيعي حيث يحارب في رزقه ويبتلى من طرف أهل الباطل

ودولتهم في كل أموره، فلا تراه إلا عسيرة، ولا تولد إلا بعملية
قيصرية! يؤكد الإمام عليه السلام أن هذه هي سنة الحياة وأنه لا يتم الأمر
إلا بالابتلاء وبالتالي فإنهم ليسمعن أذى كثيرا! والعلاج هو **﴿إِنْ
تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** (١).

٧ / وفي التفريق بين المنهجين الأساسيين يفصل الإمام عليه السلام
بين منهج أهل البيت عليهم السلام وغيرهم، بأن هذا المنهج يرفض طريق
الهُوى والآراء الشخصية في الدين واستعمال القياس البشري، ذلك
أن القرآن بعدما كان فيه تبيان كل شيء فلا حاجة لغيره. وأهل
البيت هم العالمون بالقرآن والمحيطون بأسراره، وهم أهله وأهل
الذكر الذين أمر الناس بالرجوع إليهم وسؤالهم! وأما غيرهم فلما
فقدوا هذه الميزة من الإحاطة بعلم القرآن كان من الطبيعي أن
يحتاجوا إلى قياسات بشرية وآراء شخصية، وحينها أحلوا الحرام
وحرّموا الحلال من حيث لا يعلمون!

ويتعجب الإمام عليه السلام من هذا الاتجاه مبينا أن القياس
والاجتهاد البشري الذي كان ممنوعا في زمان رسول الله ﷺ، هو
ممنوع بعد وفاته عليه السلام.

٨ / وفي لفظة واضحة وتعني الكثير يأمر الإمام عليه السلام أتباعه
بترك بعض المستحبات التي قد تكشفهم أمام مناوئهم، وذلك لدرء
الخطر عنهم، وذلك أن من الحكمة التخلي عن بعض الأمور غير

(١) آل عمران: ١٨٦

الواجبة للحفاظ على النفس والمال والعيال.. نعم لو كانت الظروف ظروف حرية كاملة وكان كل إنسان يتعبد بالطريقة التي يراها من دون خطر أو ضرر فلا مانع من تلك. لهذا فقد أمر الإمام أتباعه بأن يتخلوا عن تكرار رفع اليد للإحرام حال الصلاة لأن ذلك يشهرهم بين الناس^(١) ويكشفهم! «دعوا رفع أيديكم في الصلاة إلا مرة واحدة حين تفتتح الصلاة فإن الناس قد شهروكم بذلك».

٩ / وكما أمر بالتحية - في الجهة السلبية - فقد حذر أشد التحذير من الهجوم على رموز الطرف الآخر وسبهم! لأن ذلك يجر إلى سب الله سبحانه! وذلك أن الطرف المقابل عندما يسمع سب رموزه سيسب أولياء الله ويتهجم عليهم، وهذا في مرتبة سب الله^(٢) سبحانه! وهذا مبدأ أشار إليه القرآن الكريم ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾^(٣).

١٠ / كما أشار عليه السلام إلى جملة من التعاليم الأخلاقية والدينية؛ منها النهي عن الابتداع في العبادة، فإن الإتيان للسنة وما جاء به النبي والأئمة وإن قلت العبادة، هو خير من الابتداع فيها وإن كثرت.

(١) قال في حاشية الكافي ٧ / ٨ ناقلا عن الثوري وأبي حنيفة وإبراهيم النخعي: لا رفع الا عند الافتتاح.

(٢) مناقب علي لابن المغازلي ص ٤٦٠ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب: «يا علي من سبك فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله عز وجل، ومن سب الله عز وجل كبه الله على منخره في النار».

(٣) الأنعام: ١٠٨

وإذا أراد الإنسان التطوع فلا يقتصر على الجانب العبادي، بل يوجد في الجانب الاجتماعي الكثير مما يستطيع المرء التقرب به، كالاهتمام بالمساكين، والحرص على الصلاة الوسطى (العصر)، والامتناع عن الإعانة على المسلم المظلوم، والابتعاد عن العظمة والكبر.

١١ / وأكد على الاجتناب عن السعي بأهل الإصلاح وتخريب سمعتهم بين المؤمنين وعند الإمام، لأن في ذلك إسقاط شخصياتهم وإفساد الوضع الداخلي للمؤمنين، وقد وجدنا هذه الصفة السيئة عند بعض الأشخاص فتراهم ينقلون للإمام عليه السلام أن فلانا يقول من العقائد الفاسدة كذا! وقد افترى ذلك على هشام الحكم وغيره.. ومن الطبيعي أن يتبرأ الإمام من تلك المقالة الباطلة فيتناقل الخبر على أن الإمام تبرأ من مقالة فلان! وهو ما سماه عليه السلام إياكم ومحرج الإمام.

١٢ / والمنجى من ذلك هو الولاية لله وللرسول والأئمة والانتفاء إليهم، وتمامية ذلك في الوفاء بشروط تلك الولاية. واجتناب ما نهى الله عنه.

وإليك نص هذه الوصية - الرسالة المهمة^(١)

خرجت هذه الرسالة من أبي عبد الله عليه السلام إلى أصحابه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فاسألوا ربكم العافية وعليكم بالدعة

والوقار والسكينة وعليكم بالحياء والتنزه عما تنزه عنه الصالحون قبلكم وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم وإياكم ومماظتهم (منازعتهم) دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام، فإنه لا بد لكم من مجالستهم ومخالطتهم ومنازعتهم الكلام بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم فإذا ابتليتم بذلك منهم فإنهم سيؤذونكم وتعرفون في وجوههم المنكر ولولا أن الله تعالى يدفعهم عنكم لسطوا بكم وما في صدورهم من العداوة والبغضاء أكثر مما يبدون لكم، مجالسكم ومجالسهم واحدة وأرواحكم وأرواحهم مختلفة لا تأتلف، لا تحبونهم أبدا ولا يحبونكم غير أن الله تعالى أكرمكم بالحق وبصركموه ولم يجعلهم من أهله فتجاللونهم وتصبرون عليهم وهم لا مجاملة لهم ولا صبر لهم على شيء وحيلهم وسواس بعضهم إلى بعض فإن أعداء الله إن استطاعوا صدوكم عن الحق، فيعصمكم الله من ذلك فاتقوا الله وكفوا ألسنتكم إلا من خير.

وإياكم أن تزلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والاثم والعدوان فإنكم إن كفتتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان خيرا لكم عند ربكم من أن تزلقوا ألسنتكم به فإن زلق اللسان فيما يكرهه الله وما [ري] نهى عنه مرداة (مهلكة) للعبد عند الله ومقت من الله وصم وعمي وبكم يورثه الله إياه يوم القيامة فتصبروا كما قال الله: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١) يعني ﴿لَا يَنْطِقُونَ﴾

وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿١﴾.

وإياكم وما نهاكم الله عنه أن تركبوه وعليكم بالصمت إلا فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه أحد، فاشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلودا في النار من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها، وعليكم بالدعاء فإن المسلمين لم يدركوا نجاح الحوائج عند ربهم بأفضل من الدعاء والرغبة إليه والتضرع إلى الله والمسألة [له] فارغبوا فيما رغبكم الله فيه وأجيبوا الله إلى ما دعاكم إليه لتفلقوا وتنجوا من عذاب الله وإياكم أن تشره أنفسكم إلى شيء مما حرم الله عليكم فإنه من انتهك ما حرم الله عليه ههنا في الدنيا حال الله بينه وبين الجنة ونعيمها ولذتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنة أبد الأبدين.

واعلموا أنه بسئس الحظ الخطر لمن خاطر الله بترك طاعة الله وركوب معصيته فاختر أن ينتهك محارم الله في لذات دنيا منقطعة زائلة عن أهلها على خلود نعيم في الجنة ولذاتها وكرامة أهلها، ويل لأولئك ما أخيب حظهم وأخسر كرتهم وأسوأ حالهم عند ربهم يوم القيامة، استجروا الله أن يجيركم في مثالمهم أبداً وأن يبتليكم بما ابتلاهم به ولا قوة لنا ولكم إلا به.

فاتقوا الله أيتها العصابة الناجية إن أتم الله لكم ما أعطاكم به فإنه لا يتم الامر حتى يدخل عليكم مثل الذي دخل على الصالحين قبلكم وحتى تبتلوا في أنفسكم وأموالكم وحتى تسمعوا من أعداء الله أذى كثيرا فتصبروا وتُعرِّكوا بجنوبكم وحتى يستذلوكم ويغضوكم وحتى يحملوا [عليكم] الضيم فتحملوا منهم تلتمسون بذلك وجه الله والدار الآخرة وحتى تكظمو الغيظ الشديد في الأذى في الله عز وجل يجترمونه إليكم وحتى يكذبوكم بالحق ويعادوكم فيه ويغضوكم عليه فتصبروا على ذلك منهم ومصداق ذلك كله في كتاب الله الذي أنزله جبرئيل عليه السلام على نبيكم صلوات الله وسلامته: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَرْشِ مِنْ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾^(١) «ثم قال: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾^(٢)، ﴿فَصَبِّرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾^(٣) فقد كذب نبي الله والرسول من قبله وأوذوا مع التكذيب بالحق فإن سرهم أمر الله فيهم الذي خلقهم له في الأصل - أصل الخلق - من الكفر الذي سبق في علم الله أن يخلقهم له في الأصل ومن الذين ساهم الله في كتابه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى التَّارِكِ﴾^(٤) فتدبروا هذا واعقلوه ولا تجهلوه فإنه من يجهل هذا وأشباهه مما افترض الله

(١) الاحقاف: ٣٥

(٢) فاطر: ٤

(٣) الأنعام: ٣٤

(٤) القصص: ٤١

عليه في كتابه مما أمر الله به ونهى عنه ترك دين الله وركب معاصيه فاستوجب سخط الله فأكبه الله على وجهه في النار.

وقال: أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقائيس قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شئ وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلا لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقائيس أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمهم بها وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسؤالهم وهم الذين من سألهم - وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم - أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدي به إلى الله بإذنه وإلى جميع سبل الحق وهم الذين لا يرغب عنهم وعن مسألتهم وعن علمهم الذي أكرمهم الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظلة فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقائيسهم حتى دخلهم الشيطان لأنهم جعلوا أهل الايمان في علم القرآن عند الله كافرين وجعلوا أهل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين وحتى جعلوا ما أحل الله في كثير من الامر حراما وجعلوا ما حرم الله في كثير من الامر حلالا فذلك أصل ثمرة أهوائهم وقد عهد إليهم رسول الله ﷺ قبل

موته فقالوا: نحن بعد ما قبض الله عز وجل رسوله يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأي الناس بعدما قبض الله عز وجل رسوله ﷺ وبعد عهده الذي عهدته إلينا وأمرنا به مخالفنا لله ولرسوله ﷺ فما أحد أجراً على الله ولا أبين ضلالة ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه والله إن الله على خلقه أن يطيعوه ويتبعوا أمره في حياة محمد ﷺ وبعد موته هل يستطيع أولئك أعداء الله أن يزعموا أن أحداً ممن أسلم مع محمد ﷺ أخذ بقوله ورأيه ومقائيسه؟ فإن قال: نعم، فقد كذب على الله وضل ضلالاً بعيداً وإن قال: لا، لم يكن لاحد أن يأخذ برأيه وهواه ومقائيسه فقد أقر بالحجة على نفسه وهو ممن يزعم أن الله يطاع ويتبع أمره بعد قبض رسول الله ﷺ وقد قال الله وقوله الحق: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١) وذلك لتعلموا أن الله يطاع ويتبع أمره في حياة محمد ﷺ وبعد قبض الله محمداً ﷺ وكما لم يكن لاحد من الناس مع محمد ﷺ أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه خلافاً لأمر محمد ﷺ فكذلك لم يكن لاحد من الناس بعد محمد ﷺ أن يأخذ بهواه ولا رأيه ولا مقائيسه.

وقال: دعوا رفع أيديكم في الصلاة إلا مرة واحدة حين تفتتح الصلاة فإن الناس قد شهروكم بذلك والله المستعان ولا حول

(١) آل عمران: ١٤٤

ولا قوة إلا بالله. وقال: أكثروا من أن تدعوا الله فإن الله يحب من عباده المؤمنين أن يدعوه وقد وعد الله عباده المؤمنين بالاستجابة والله مصير دعاء المؤمنين يوم القيامة لهم عملاً يزيدهم به في الجنة فأكثروا ذكر الله ما استطعتم في كل ساعة من ساعات الليل والنهار فإن الله أمر بكثرة الذكر له والله ذاكر لمن ذكره من المؤمنين، واعلموا أن الله لم يذكره أحد من عباده المؤمنين إلا ذكره بخير فأعطوا الله من أنفسكم الاجتهاد في طاعته فإن الله لا يدرك شيء من الخير عنده إلا بطاعته واجتناب محارمه التي حرم الله في ظاهر القرآن وباطنه فإن الله تبارك وتعالى قال في كتابه وقوله الحق: ﴿وَذُرُوا ظَاهِرَ الْأَيْمِ وَبَاطِنَهُ﴾^(١).

واعلموا أن ما أمر الله به أن تجتنبوه فقد حرمه، واتبعوا آثار رسول الله ﷺ وستته فخذوا بها ولا تتبعوا أهواءكم وآراءكم ففضلوا فإن أضل الناس عند الله من اتبع هواه ورأيه بغير هدى من الله، وأحسنوا إلى أنفسكم ما استطعتم ف ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(٢)، وجاملوا الناس ولا تحملوهم على رقابكم، تجمعوا مع ذلك طاعة ربكم. وإياكم وسب أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقد ينبغي لكم أن تعلموا حد سبهم لله كيف هو؟ إنه من سب أولياء الله فقد انتهك سب الله ومن أظلم عند الله ممن أستسب لله ولأولياء الله، فمهلاً

(١) الأنعام: ١٢٠

(٢) الإسراء: ٧

مهلا فاتبعوا أمر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال: أيتها العصاة الحافظ الله لهم أمرهم عليكم بآثار رسول الله ﷺ وسنته وآثار الأئمة الهداة من أهل بيت رسول الله ﷺ من بعده وسنتهم، فإنه من أخذ بذلك فقد اهتدى ومن ترك ذلك ورغب عنه ضل لأنهم هم الذين أمر الله بطاعتهم وولايتهم وقد قال أبونا رسول الله ﷺ: المداومة على العمل في اتباع الآثار والسنن وإن قل أرضى الله وأنفع عنده في العاقبة من الاجتهاد في البدع واتباع الأهواء، ألا إن اتباع الأهواء واتباع البدع بغير هدى من الله ضلال وكل ضلالة بدعة وكل بدعة في النار ولن ينال شيء من الخير عند الله إلا بطاعته والصبر والرضا لان الصبر والرضا من طاعة الله، واعلموا أنه لن يؤمن عبد من عبده حتى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه وصنع به على ما أحب وكره ولن يصنع الله بمن صبر ورضي عن الله إلا ما هو أهله وهو خير له مما أحب وكره، وعليكم بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين كما أمر الله به المؤمنين في كتابه من قبلكم وإياكم، وعليكم بحب المساكين المسلمين فإنه من حقرهم وتكبر عليهم فقد زل عن دين الله والله له حاقر ماقت وقد قال أبونا رسول الله ﷺ: أمرني ربي بحب المساكين المسلمين [منهم]، واعلموا أن من حقر أحدا من المسلمين ألقى الله عليه المقت منه والمحقرة حتى يمقتة الناس والله له أشد مقتا، فاتقوا الله في إخوانكم المسلمين المساكين فإن لهم عليكم حقا أن تجوهم فإن الله أمر رسوله ﷺ بحبهم فمن لم يجب

من أمر الله بحبه فقد عصى الله ورسوله ومن عصى الله ورسوله ومات على ذلك مات وهو من الغاوين.

وإياكم والعظمة والكبر فإن الكبر رداء الله عز وجل فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة، وإياكم أن يبغى بعضكم على بعض فإنها ليست من خصال الصالحين فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه وصارت نصرة الله لمن بغى عليه ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله، وإياكم أن يحسد بعضكم بعضاً فإن الكفر أصله الحسد، وإياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم فيدعو الله عليكم ويستجاب له فيكم فإن أبانا رسول الله ﷺ كان يقول: إن دعوة المسلم المظلوم مستجابة، وليعن بعضكم بعضاً فإن أبانا رسول الله ﷺ كان يقول: إن معونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وإياكم وإعسار أحد من إخوانكم المسلمين أن تعسروه بالشيء يكون لكم قبله وهو معسر فإن أبانا رسول الله ﷺ كان يقول: ليس لمسلم أن يعسر مسلماً ومن أنظر معسراً أظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله.

وإياكم أيتها العصابة المرحومة المفضلة على من سواها وحبس حقوق الله قبلكم يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة فإنه من عجل حقوق الله قبله كان الله أقدر على التعجيل له إلى مضاعفة الخير في العاجل والآجل، وإنه من أخر حقوق الله قبله كان الله أقدر على تأخير رزقه ومن حبس الله رزقه لم يقدر أن يرزق نفسه فأدوا إلى الله حق ما رزقكم يطيب الله لكم بقيته وينجز لكم ما وعدكم

من مضاعفته لكم الأضعاف الكثيرة التي لا يعلم عددها ولا كنه فضلها إلا الله رب العالمين.

وقال: اتقوا الله أيتها العصابة وإن استطعتم أن لا يكون منكم محرّج الامام فإن محرّج الامام هو الذي يسعى بأهل الصلاح من أتباع الامام، المسلمين لفضله، الصابرين على أداء حقه، العارفين لحرّمته، واعلموا أنه من نزل بذلك المنزل عند الامام فهو محرّج الامام، فإذا فعل ذلك عند الامام أخرج الامام إلى أن يلعن أهل الصلاح من أتباعه، المسلمين لفضله، الصابرين على أداء حقه العارفين بحرّمته، فإذا لعنهم لإخراج أعداء الله الامام صارت لعنته رحمة من الله عليهم وصارت اللعنة من الله ومن الملائكة ورسله على أولئك.

واعلموا أيتها العصابة أن السنة من الله قد جرت في الصالحين قبل. وقال: من سره أن يلقي الله وهو مؤمن حقاً فليتول الله ورسوله والذين آمنوا وليبرأ إلى الله من عدوهم ويسلم لما انتهى إليه من فضلهم لان فضلهم لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دون ذلك، ألم تسمعوا ما ذكر الله من فضل أتباع الأئمة الهداة وهم المؤمنون قال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١) فهذا وجه من وجوه فضل أتباع الأئمة فكيف بهم وفضلهم؟.

ومن سره ان يتم الله له إيمانه حتى يكون مؤمناً حقاً حقاً فليف
 لله بشر وطه التي اشترطها على المؤمنين فإنه قد اشترط مع ولايته
 وولاية رسوله وولاية أئمة المؤمنين إقام الصلاة وإيتاء الزكاة
 وإقراض الله قرضاً حسناً واجتناب الفواحش ما ظهر منها وما
 بطن فلم يبق شيء مما فسر مما حرم الله إلا وقد دخل في جملة قوله،
 فمن دان الله فيما بينه وبين الله مخلصاً لله ولم يرخص لنفسه في ترك
 شيء من هذا فهو عند الله في حزبه الغالبين وهو من المؤمنين حقاً،
 وإياكم والاصرار على شيء مما حرم الله في ظهر القرآن وبطنه وقد
 قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

كلمة شكر

لكل الإخوة والأخوات المساهمين والمساهمات في إنجاز هذا الكتاب بنحو من الأنحاء، وأخص بالذكر سماحة الشيخ سمير الربح، والأخ أبي علي، والأخوات الفاضلات: رقية الطويل، وأم سيد رضا، وسلمى بوخمسين، وليلى الشافعي.

المصادر

تمت الاستفادة في كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام من موقع مكتبة أهل البيت على الانترنت (ablibrary.net) وتمت الاستفادة في كتب مدرسة الخلفاء من تطبيق المكتبة الشاملة.

١. إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب، علي بن الحسين المسعودي، انصاريان - قم

٢. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تعليق علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت

٣. الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، ت السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف ١٩٦٦ م

٤. اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة)، ت السيد مهدي الرجائي، مؤسسة

آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ١٤٠٤

٥. أحسن التراجم لأصحاب الإمام موسى الكاظم عليه السلام، عبد الحسين الشبستري، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد - إيران ١٤١١ هـ

٦. أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، المؤلف مجهول، ت عبد العزيز الدوري، دار الطليعة، بيروت

٧. أخبار فخر وخبر يحيى بن عبد الله وأخيه إدريس بن عبد الله، أحمد بن سهل الرازي، ت: ماهر جرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٥

٨. أخبار القضاة، مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفِ بْنِ حَيَّانَ الْبَغْدَادِيِّ «وَكَيِّع»، ت عبد العزيز مصطفى المراغي، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٧ م

٩. الأخبار الموفقيات، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي، ت سامي مكي العاني، عالم الكتب - بيروت ١٩٩٦ م

١٠. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ه محمد بن محمد بن النعمان العكبري (الشيخ المفيد) ت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث

١١. الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، ت سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية - بيروت ٢٠٠٠

١٢. أسماء المعتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، محمد بن

حبيب البغدادي، ت سيد كسروي، دار الكتب العلمية ١٤٢٢

]

١٣. أصول الدين، الشيخ محمد حسن آل ياسين، مؤسسة قائم آل محمد ١٤١٣ هـ

١٤. الأعظم بركة الإمام محمد الجواد عليه السلام، فوزي آل سيف، دار المحجة البيضاء بيروت ٢٠٢١

١٥. إعلام الوري بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قم ١٤١٧

١٦. أعلام من الأسرة النبوية، فوزي آل سيف، دار المحجة البيضاء بيروت

١٧. إقبال الأعمال، السيد علي بن موسى بن طاووس، ت جواد القيومي الاصفهاني، مكتب الإعلام الإسلامي ١٤١٤

١٨. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (شيخ الطائفة)، ت قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم ١٤١٤

١٩. الأمالي، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الشيخ الصدوق)، قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة

٢٠. الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ محمد حسن المظفر، دار الزهراء

للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٨ م

٢١. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، تعريب د. نور الدين

آل علي، دار القارئ- بيروت ٢٠٠٧ م

٢٢. الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، اسد حيدر، دار التعارف -

بيروت ١٤٢٢

٢٣. الأوائل، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار البشير،

طنطا

٢٤. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المولى الشيخ

محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٣

٢٥. تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير

الطبري، دار التراث - بيروت

٢٦. تحرير المواعظ العددية، الشيخ علي المشكيني، نشر الهادي - قم

٢٧. تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن الحسين

بن شعبة الحراني، تعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر

الاسلامي قم ١٤٠٤

٢٨. التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن حمدون، دار صادر،

بيروت ١٤١٧ هـ

٢٩. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي، دار

صادر بيروت

٣٠. التقية في الفكر الإسلامي، مركز الرسالة قم، ١٤١٩
٣١. التوحيد، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الشيخ الصدوق)،
ت السيد هاشم الحسيني الطهراني، جماعة المدرسين في الحوزة
العلمية
٣٢. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد
البر القرطبي، ت بشار وآخرين، مؤسسة الفرقان للتراث
الإسلامي - لندن ٢٠١٧ م
٣٣. تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين يحيى بن شرف النووي،
دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان
٣٤. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، ت السيد حسن
الموسوي الخراسان، دار الكتب الإسلامية طهران
٣٥. جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين الطباطبائي البروجردي،
المطبعة العلمية - قم ١٣٩٩
٣٦. جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر القرطبي، ت
أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي - السعودية ١٤١٤ هـ
٣٧. جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، ت: سهيل
زكار، دار الفكر - بيروت ١٩٩٦ م

٣٨. جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية بيروت

٣٩. جواهر التاريخ (سيرة الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق ع)، الشيخ علي الكوراني العاملي، دار الهدى ١٤٢٨

٤٠. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله الحنفي، مير محمد كتب خانه - كراتشي

٤١. الخصال، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (الصدوق) تعليق علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية

٤٢. دعائم الإسلام، القاضي النعمان المغربي، ت آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣ م

٤٣. دلائل الامامة، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي)، تحقيق وطباعة قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم ١٤١٣

٤٤. رجال حول أهل البيت، فوزي آل سيف، دار الصفوة بيروت ١٤١٤

٤٥. رسائل ابن حزم الأندلسي، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري ت: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر

٤٦. رسالة في النصوص الصحيحة على إمامة الأئمة الاثني عشر،

- الشيخ ميرزا جواد التبريزي، دار الصديقة الشهيدة ١٤١٩
٤٧. السجود على الأرض، الشيخ علي الأحدي، مركز جواد
للصف والطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - ١٩٩٣ م
٤٨. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، الطبعة:
السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣١١ هـ،
٤٩. صفات الشيعة، محمد بن علي بن بابويه (الشيخ الصدوق)
كانون انتشارات عابدي - تهران
٥٠. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد
بن محمد حجر الهيتمي، ت عبد الرحمن بن عبد الله التركي،:
مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٧ م
٥١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البغدادي المعروف
بابن سعد، ت إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٩٦٨ م
٥٢. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، عبد
الرحمن بن بن خلدون، ت خليل شحادة، دار الفكر، بيروت
١٩٨١ م
٥٣. عيون الأخبار، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار
الكتب العلمية - بيروت ١٤١٨ هـ
٥٤. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم ابن أبي
أصيبيعة، ت نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت

٥٥. الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، محمد بن علي بن طباطبا (ابن الطقطقي)، ت عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي - بيروت ١٩٩٧ م

٥٦. فرحة الغري، السيد عبد الكريم بن طاووس، ت تحسين الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية ١٩٩٨ م

٥٧. فضائل الصحابة ومناقبهم، علي بن عمر الدارقطني، مكتبة الغرباء الأثرية، المملكة العربية السعودية ١٩٩٨ م

٥٨. الفهرست، محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (ابن النديم) ت إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت ١٩٩٧ م

٥٩. فهرست أسماء مصنفي الشيعة (رجال النجاشي)، أحمد بن علي بن العباس النجاشي، ت: الحجة السيد موسى الشبيري الزنجاني، مؤسسة النشر الإسلامي

٦٠. قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث

٦١. قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي قم

٦٢. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨

٦٣. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ت الشيخ جواد

القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة ١٤١٧

٦٤. الكامل في التاريخ، علي بن محمد الجزري، ابن الأثير، ت عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٧ م

٦٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٧ هـ

٦٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي، دار الأضواء بيروت

٦٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر - بيروت

٦٨. لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢ م

٦٩. مجمع الأمثال، أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، ت محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت

٧٠. مجمع الرجال، المولى عناية الله على القهپائي، ت السيد ضياء الدين الاصفهاني، مؤسسة اسماعيليان

٧١. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، العلامة محمد تقي المجلسي، ت هاشم رسولى محلاتى، دار الكتب الإسلامية - تهران ١٤٠٤

٧٢. مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين المسعودي،

منشورات دار الهجرة ايران - قم ١٩٨٤

٧٣. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري

الطبرسي، تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء

التراث - بيروت - ١٩٨٧ م

٧٤. مسند الإمام الصادق عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي، المجمع

العالمي لأهل البيت عليه السلام، نشر عطاردي

٧٥. معجم رجال الحديث، أبو القاسم الموسوي الخوئي (زعيم

الحوزة)، ١٤١٣

٧٦. مقاتل الطالبين، علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني، ت

السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت

٧٧. المقفى الكبير، تقي الدين المقرئ، ت محمد اليعلاوي، دار

الغرب الاسلامي، بيروت ٢٠٠٦ م

٧٨. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد

الشهرستاني، مؤسسة الحلبي

٧٩. مناظرات الإمام الصادق عليه السلام، الحاج حسين الشاكري،

١٤١٨

٨٠. مناظرات في العقائد والأحكام، الشيخ عبد الله الحسن،

انتشارات دليل ١٤٢١ هـ

٨١. مناقب آل أبي طالب، الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني، المطبعة الحيدرية في النجف ١٩٥٦ م

٨٢. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، علي بن محمد بن محمد، ابن المغازلي، ت تركي الوادعي، دار الآثار - صنعاء ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٨٣. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي، ت محب الدين الخطيب

٨٤. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن بابويه (الصدوق)، مؤسسة النشر الإسلامي قم، تعليق علي أكبر الغفاري

٨٥. الموطأ، مالك بن أنس، ت محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٥ م

٨٦. موسوعة الكلمة، السيد حسن الحسيني الشيرازي، دار العلوم - بيروت ١٤٢٧

٨٧. مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد علي بن موسى بن طاووس، كتابخانه سنائی

٨٨. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث قم

٨٩. النور الساطع في الفقه النافع، الشيخ علي كاشف الغطاء، مطبعة الآداب النجف ١٩٦١ م

٩٠. نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق صبحي الصالح،
١٩٦٧ م

٩١. هشام بن الحكم، الشيخ عبد الله نعمة، دار الفكر اللبناني -
بيروت ١٩٨٥ م

٩٢. الوافي، محسن الفيض الكاشاني، ت ضياء الدين الحسيني
الأصفهاني، مكتبة الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة -
أصفهان ١٤٠٦

٩٣. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن
الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث بقم

٩٤. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، أبو الحسن السمهودي، دار
الكتب العلمية - بيروت ١٤١٩

٩٥. مواقع وصفحات الكترونية

٩٦. اعرف الحق تعرف أهله: السيد علي الميلاني نسخة الكترونية
من موقعه <http://al-milani.com/index.php> قرئت بتاريخ
٢٠٢٢ / ٦ / ١٠

٩٧. حياة عمامو (تونس). <https://fawacil.org> تم قراءة المقال
بتاريخ ٢٠٢٢ / ٦ / ٢٠

٩٨. www.mezan.net

فهرس

- مقدمة..... ٥
- الهوية الشخصية للإمام ٩
- سيرة الإمام جعفر الصادق من الميلاد إلى الاستشهاد..... ١١
- ◀ وأما علاقاته مع حكام عصره الأمويين ٣٢
- ◀ مضايقة الخلفاء للإمام الصادق عليه السلام ٣٤
- ◀ علاقة المنصور العباسي بالإمام الصادق عليه السلام ٣٨
- ◀ سم المنصور العباسي الإمام جعفر الصادق عليه السلام ٤١
- ◀ شهادته مسمومًا ٤٥
- الإمام الصادق في العصر الصعب ٥١
- ◀ مشروعية حكم العباسيين بتقويض الأسرة النبوية ٥٣
- ◀ آل الخطاب والشيخ عثمان.. لا آل علي بن أبي طالب ٦٠
- ◀ كل المذاهب إلا مذهب أهل البيت! ٦١

- ◀ لماذا قرب المنصور مالكا بن أنس؟ ٦٢
- ◀ هل كان اختيار المنصور لمالك تابعا لموقفه السلبي من الإمام علي؟ ٦٤
- ◀ وقرب المذهب الحنفي أيضا ٦٨
- ◀ إرهاب الدولة.. فصل الخطاب! ٧١
- هل أخذ أئمة المذاهب عن الإمام الصادق؟ ٧٩
- عن مناظرات الإمام الصادق وأصحابه ٩١
- الإمام الصادق والقيادة الاجتماعية للمذهب ١٠٥
- ◀ تحدي حصار المذهب وإقصائه ١٠٩
- الإمام الصادق والتأسيس الاجتماعي للقضية الحسينية ١٢٥
- ◀ ماذا يعني التأسيس الاجتماعي للقضية الحسينية؟ ١٢٨
- رأي الإمام الصادق في الثورة المسلحة ١٣٧
- الحياة الاسرية للإمام الصادق ١٥٣
- ◀ نساؤه وزوجاته ١٥٣
- ◀ أولاده العشرة ١٥٥
- علوم الإمام الصادق ١٦٥
- ◀ أولاً: من العلم معرفة الله تعالى ١٧١
- ◀ ثانياً: نعم الله وما صنع بعبده ١٧٩

- ◀ ثالثاً: أن تعرف ما أراد منك ١٨٣
- ◀ رابعاً: من أصول العلم ودعائم الإيمان معرفة ما يخرجك من دينك ١٩٨
- عن مسند الإمام الصادق ١٩٩
- الوصايا والرسائل الصادقية ٢٠٧
- ◀ الأولى وصية الامام الصادق لأبي جعفر محمد بن النعمان (الأحول) مؤمن الطاق ٢١٠
- ◀ نص الوصية ٢١٧
- ◀ الثانية وصية الإمام الصادق لعبد الله بن جندب البجلي ٢٢٢
- ◀ توجيهات وصية الإمام الصادق لابن جندب ٢٢٥
- ◀ نص وصيته لعبد الله بن جندب ٢٢٨
- ◀ وصية الإمام عليه السلام للشيعة ٢٣٦
- كلمة شكر ٢٥٣
- المصادر ٢٥٥

قنوات التواصل مع الشيخ

الايمل

fawzialsaif@gmail.com

الموقع الالكتروني

www.al-saif.net

قناة اليوتيوب

<https://m.youtube.com/user/Fawzialsaif>

تطبيق آيفون

<http://bit.ly/alsaiapp>

تطبيق أندرويد

<http://bit.ly/1zPHwFh>

قناة التلغرام

<http://bit.ly/1M8Lzhk>

المجموعة الصوتية الكاملة على دروبوكس

<https://goo.gl/VMmT7X>

روابط المقاطع القصيرة

goo.gl/XkTvmj

قناة الساوند كلاود

<https://m.soundcloud.com/fawzialsaif>

تطبيق الكتب اندرويد:

<https://play.google.com/store/apps/details?id=net.alsaif.books>

ايفون وايباد:

https://appsto.re/us/_ptClb.i

الموقع الرديف

<https://al-saif.app>

الانستغرام

https://instagram.com/fawzialsaif_shortclips?igshid=195m0v23vh9mx

قناة بودكاست الشيخ فوزي آل سيف لجوالات الايفون:

<https://apple.co/31oqGiO>

كُتِبَ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام الكثير من الكتب النافعة والمفصلة، وقد يتصور البعض أن الكتابة المفصلة والمبسوطة صعبة، غير أن قسماً من الباحثين يرى أن الكتابة المختصرة هي الأصعب! فهل تستطيع أن تحتوي ماء البحر في جرة ماء؟

ويبدو بالنظر أن هذا الأمر صادق في الكتابة عن الإمام الصادق عليه السلام، فهذا العملاق العظيم في كل جهاته.. كيف تستطيع أن تختصرها وتخزنها في صفحات قليلة؟ وكيف تستطيع أن ترسم هذه اللوحة الرائعة بتفاصيلها الجميلة في مساحة قليلة؟

ISBN 978-614-480-6203



9 786144 806203

الرويس - مفرق محلات محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ٥٤٧٩/١٤ - هاتف: ٢٨٧١٧٩/٠٣ - ٥٤١٢١١/٠١

تلفاكس: ٥٥٢٨٤٧/٠١ - E-mail : almahajja@terra.net.lb

E-mail & FB: info@daralmahaja.com

www.daralmahaja.com

